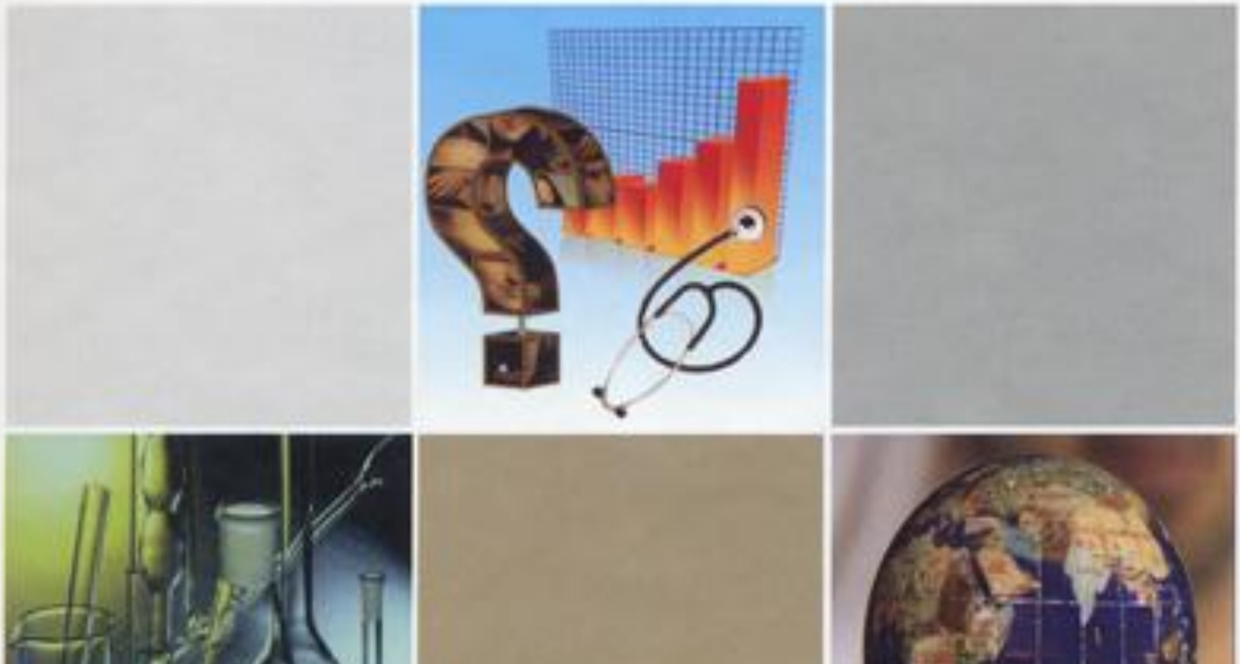
أ.د عقيل حسين عقيل

خطوات البحث العلمي

من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة



دار ابن كثير

خطوات البحث العلمي

(من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)

أ. د. عقيل حسين عقيل

بسم الله الفتاح العليم

أقدِمُ للدارسين والمتعلمين والقراء والبحاث الكرام كتابنا: **خطوات البحث العلمي** (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة) ليكون بين أيديهم مساعدا وممكِّنا من سبر أغوار ما يتناولونه من مواضيع وإشكاليات بحثية.

ولأن موضوع اهتمام الكتاب هو البحث العلمي، فقد احتوى الكتاب على مجموعة من الطرق البحثية، واحتوت كل طريقة على وفرة من المعلومات المقنَّنة والمحلَّلة، مع عرض مفصَّل للمنهج العلمي وطرق استخداماته وأدواته ومقاييسه العلمية.

ومع أن العلم واحد إلا أن طرقه متعددة ولكل منها خصوصية موضوعية تتميز بها عن بقية الخطوات الأخرى مما جعل كل طريقة من الطرق البحثية على درجة من التميُّز الذي يسند الباحث عند اختياره لها طريقة بحثية.

تحديد خطوات البحث العلمي لا لأن تكون قوالبا جاهزة بل هي ترتيبات علمية ومنهجية منظَّمة ومتَّسقة، تُحدد الأولويات وتُحدد كيفية تتبعها أثناء تقصي المعلومة من مصادرها ثم تُبيِّن كيفية تحليلها من خلال التداعيات الموضوعية لكل متغير من المتغيرات البحثية.

ولأن أول خطوة بحثية هي تحديد مشكلة البحث التي بداية تصاحبها الحيرة المقلقة للباحث أثناء تلمُّسه السبيل البحثي، الذي قد يجد نفسه منهمكا فيه وكأنه من التعب يتقلَّب على جانبيه بين إقدام وإحجام، ولكي ينفذ في سبيله إلى الخطوة المترتِّبة على خطوة تحديد المشكلة عليه بمزيد من الاطلاع والقراءة الوافرة ومناقشة ذوي الاختصاص ليرشدوه إلى المنافذ التي تُمكِّنه من الخروج من الحيرة وتُمكِّنه من تحديد مشكلة بحثه.

ومع أن تحديد مشكلة البحث يُعد الخطوة الرئيسة للباحث إلا أن تحديد المشكلة البحثية لا يُعد كل شيء، ولذا فمن المهم أن يَلُمَّ الباحث بمتغيرات البحث التي كونت المشكلة وأظهرتها بمؤثرات على الأفراد أو الجماعات مما أثار انتباه الباحث واستدعاه لأن يكون باحثا ومتقصيا لمعرفة أسبابها وعللها ومعرفة آثارها الرئيسة والجانبية.

والذي جعل مشكلة البحث هي الخطوة الأولى هو لأنها المكمن لبقية الخطوات العلمية فهي التي منها تُستمد الأهداف والفروض أو التساؤلات العلمية ومنها يُستمد المنهج المناسب والطريقة المناسبة والوسيلة الأنسب.

ولأنها خطوات البحث العلمي فهي لم تقف عند حد منهجيات وتقنيات البحث، بل تمتد إلى ما هو أهم، تمتد إلى مرحلة تحليل المعلومات لأجل معرفة أثر كل متغير من متغيرات البحث وعلاقة المتغيرات بعضها ببعض، وبمعرفة الأثر يتم الوقوف على النتائج الموضوعية التي تُمكِّن الباحث من الوقوف على الحقائق الكامنة والظاهر لمشكلة البحث، مما يُيَسِّر للباحث وصف المعالجات أو صياغة مجموعة من الحلول والبدائل للمشكلة التي تناولها بكل موضوعية.

الفصل الأول

منهج وتقنيات البحث العلمي

البحث العلمي:

البحث العلمي هو تقصي المعلومة بالمعلومة وتتبع دقيق لمكامنها وظواهرها يستوجب التوقُّف عند كل متغير من المتغيرات التي تؤثر فيها أو تتأثر بها، وهو تنقيب عن الفكرة بالفكرة عندما تكون المعلومة مجردة وتنقيب في الميادين عندما تكون المعلومات متجسدة أو منعكسة في القول والفعل والعمل والسلوك، وتنقيب في المادة في المعامل والمختبرات، ولكل قياساته واختباراته الموضوعية، فالقيم تقاس ويقاس بها وآراء المبحوثين والمُحكّمين لآرائهم تقاس ويقاس بها، ودرجات السرعة والحركة والامتداد والسكون والنمو والضغط ودرجات التماسك تقاس ويقاس بها مقارنةً، ولهذا البحث العلمي يتطلب التحليل (تحليل المعلومة بالمعلومة والحُجَّة بالحُجَّة) فلا يتوقف الباحث عند تجميع المعلومات المبعثرة ولو وزنت أطنانا، بل المعلومات تستوجب التحليل كي يتمكَّنَ الباحث من معرفة المتغيرات وأثر كل متغير على متغير آخر أو متغيرات أخرى، وبتحليل المعلومات يتمكَّن الباحث من بلوغ نتائج موضوعية ليست من بُناة أفكاره الشخصية بل هي نِتاج التحليل الموضوعي للمعلومات التي جمَّعها الباحث من مصادرها البشرية أو الوثائقية أو جمَّعها من ميادينها.

ولأنه بحث علمي فهو المؤسس على المسببات المنهجية التي تتطلب مشكلة أو إشكالية بحثية تُحيّر البحاثة بما تتركه من أثرٍ سالبي على الذين يتعلق الأمر بهم أفراد أو جماعات أو مجتمعات أو شركة أو مؤسسات دولة. وهذه الإشكالية أو تلك تتطلب من الباحث العلمي أن يصوغ لها أهدافا واضحة وفروضا أو تساؤلات تحمْل

أبعاد مشكلة البحث في أحشائها وإلا لن يبلغ الباحث نتائج موضوعية تسهم في حل تلك المعضلة التي تمركزت إشكالية أو مشكلته البحث عليها.

وللبحث العلمي وسائله أو أدواته المقننة والقابلة للتقنين باختلاف المواضيع والظروف المكانية والزمنية والموضوعية (الخاصة بالموضوع قيد البحث) فإن استخدم الباحث الوسائل المقننة كان على هداية البحث العلمي وإن لم يستخدم ذلك فلن يكون.

وعليه فالبحث العلمي يمتد بالمعلومة من إشكالية أو مشكلة أكبر وفق فروض أو تساؤلات إلى تحليل متغيرات المعلومات إلى بلوغ النتائج ثم إلى التفسير (تفسير النتائج وليس تفسير المعلومة) وقد يتطلب التفسير توصيات موضوعية من الباحث للجهة التي كلفته بالبحث تتم صياغتها في التقرير الختامي للمجهود العلمي الذي قام به الباحث أو البحَّاثة أو الباحث والفريق أو الفرق المساعدة له ليكون التقرير متضمنا للحلول والمقترحات حيال تلك المشكلة التي حيرت الباحث بداية وطمأنته نهاية.

وعلينا أن نميز بين البحث العلمي research والدراسة study فكثير من البحاثة يخلطون بين هذا وذاك فالدراسة جهود تُبذل على واقع معروف لإظهاره وافيا بين أيدي من يتعلق الأمر بهم، وهي واسعة الامتداد في المجالات المتعددة للحالة أو الظاهرة أو العميل، وقد تكون الدراسة استطلاعية للتعرف على ما يشير أو يدل على وجود مواقف موجبة أو إشكاليات سالبة أو مواضيع ذات أهمية في دائرة الممكن، وقد تكون الدراسة تتبعيه وفقا لخطة مُعدة لإنجاز أهداف من ورائها غايات إصلاحية أو علاجية بعد دراستها دراسة وافية.

مع أن الدراسة واسعة المعالم وقد تُسهم في عمليات الإصلاح الاجتماعي والنفسي والاقتصادي إلا أنها في مُعظم الأحيان لا تُضيف الجديد، فهي تُمكِّن من التعرُّف

على ما هو كائن وقد تدفع إلى إصلاحه أو إصلاح بعض منه (بعض مما فسد أو انحرف).

وتحتوي الدراسة الموضوعية خمسة عمليات مهنية هي: (عملية جمع المعلومات، وعملية تحليل المعلومات، وعملية تشخيص الحالة، وعملية العلاج، وعملية التقويم).

وتتصف الدراسة بالشمولية من حيث الموضوع ومن حيث الزمان ومن حيث المبحوثين، فمن حيث الموضوع: تمتد لتشمل المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي والذوقي والثقافي، ومن حيث الزمن: فهي لا تغفل عن الماضي وأهميته، والحاضر وواقعه، والمستقبل وما يُستهدف من أجله. ومن حيث المبحوثين: فهي تمتد من حالة الفرد إلى حالة الجماعة إلى حالة المجتمع. ولذا فإن الدراسة تهتم بمعرفة الكل وأثره على الجزء والمتجزئ وهذا ما ليس بالبحث.

البحث يتطلب فروضا أو تساؤلات وإشكالية تستوجب الحل وإلا فتفاقمت وأثرت في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، ولهذا فالبحث لا يقوم به إلا متخصص ومن هم على مهارة مهنية وفنية، أمَّا الدراسة فقد يجريها المتخصص وغير المتخصص، والبحث يركز على متغيرات البحث والدراسة تتوسع في غير ذلك فهي تميل للعموم والبحث يتمركز على الخصوص.

فالبحث خاصة في الدراسات العليا التي تعد الأكاديميين والبحاثة يستدعي متخصصين يقومون بعمليات الإشراف لتوجيه البحاثة وإرشادهم إلى ما يمكِّنهم من استيعاب منهجيات البحث ويمكنهم من استخدام وسائله أمَّا الدراسة فلا تتطلب كل ذلك.

فالبحث research جهود تُبذل للتعرف على ما لم يُعرف بالتمام مسبقا، وهو تقصي دقيق وتتبع واعي وفق خطة مؤسسة على أهداف موضوعية وفروض في

دائرة الممكن. ولأن الدراسة هي معرفة ما هو كائن، فالبحث هو معرفة ما سيكون أو ما ينبغي أن يكون.

إنه التتبع الدقيق والتقصي الواعي للعلاقات ذات الأثر السالب أو الأثر الموجب وكشف ما ستضيفه جديدا على الحياة الاجتماعية والإنسانية.

تصاغ الفروض العلمية للبحوث التي تستوعب الجزء المتعرف عليه وتتطلّع للجزء المفقود حتى تكتمل المعرفة ويتم بلوغ الحقيقة المتعلقة بموضوع البحث، مما يجعل بلوغها يؤدي إلى الإضافة الجديدة التي لم يسبق لها وإن وجدت. وقد تكون النتائج المتوصل إليها بالبحث العلمي إضافة جديد بكاملها وليس إضافة جزء مفقود لجزء معروف أو متوفر، وفي مثل هذه الحالات تصاغ التساؤلات بدلا من أن تُصاغ الفروض.

البحث يؤدي إلى إضافة جديدة لمعرفة سابقة، وقد تكون النتائج المتوصل إليها تصحيح لمعلومات سابقة أو إبطال قاعدة من القواعد التي كان يُعمل بها، فالبحث لأجل التعرف على الجديد وإضافته لدائرة المعارف الاجتماعية والإنسانية.

ولذا فإن الدراسة تجرى على الشيء الموجود، والبحث جهود تبذل من أجل معرفة الشيء الغائب. ولهذا تجرى الدراسات لأجل التعرف على ما هو كائن وتصحيح انحرافاته مع إعطاء مؤشرات لِما ينبغي إن يخضع للبحث الموضوعي، وتجرى البحوث لأجل الجديد وتتطلع إلى كل نافع ومفيد.

وعليه إذا أرت أن تعرف: (ادرس الشيء الموجود، وابحث عن الشيء الغائب).

ولذا لا ينبغي أن نطلق على رسائل الماجستير والدكتوراه مسمى الدراسة بل فقط مسمى البحث الذي لا يقوم به إلا مُتمكِّن ومتضلَّع في طرق البحث ومستوعبا لمناهجه وأساليبه العلمية.

أهمية البحث العلمي:

من أهمية البحث العلمي أنه المُثري للعلوم كما أن العلوم هي المثرية للمعارف، وهذا الأمر يجعل العلوم أوسع دائرة من البحوث والمعارف أوسع دائرة من العلوم، وتتضح أهمية البحث بإثرائه العلمي من خلال الاكتشاف وتوليد الفكرة من الفكرة وتطوير الكل بالجزء الذي يتولد منه والبرهان الذي يُقوّي البحث العلمي بالحُجَّة والنقد البناء الذي يمده بالقوة العلمية ويخرجه من دوائر السكون ليُحدث النُقلة ويمتد إلى صناعة المستقبل الأفضل والأجود والأحسن.

وترتبط أهمية البحث العلمي بمدى توفر الاطمئنان للبحث والباحث، أي توفر المناخ اللائق الذي يطمئن نفوس الباحثين ويُحفِّزهم على الإنتاج العلمي الرائع. لأن العلم كنوز، والبحث هو التفتيش عنها، والبحث بدون اطمئنان لا يُمكِّنَ الباحث من اكتشافها نتيجة الشكوك والمخاوف.

وعليه، إنْ أردنا للبحث العلمي أهمية فعلينا أن نوفِّر المناخ اللائق للبحاثة لتطمأن أنفسهم لصناعة المستقبل الأفضل والأنفع والأفيد، وعلينا بتوفير إمكاناته المتعددة والمتنوعة مادية وبشرية، وعلينا باستيعاب الآخر الذي يتقدم في ميادين البحث العلمي، وعلينا بالانفتاح عليه بما لا يؤثر سلبيا على فضائلنا وقيمنا الحميدة هذا إذا أردنا أن نوطِّنَ علماً في بلداننا أو إذا أردنا أن نُحدِثَ النُقلة التي بها تتمكن بلداننا من دخول ميادين المشاركة والمنافسة العلمية التي يخوضها بحاث العالم.

ومع ذلك فالدول المتقدمة تخشى أهمية البحوث العلمية التي تقوم بها الدول المتخلفة لكي لا تشاركها كنوز العلم فتشكل خطورة عليها، وذلك لمعرفتهم بأن البحث العلمي يؤدي إلى الاكتشاف والاختراع الذي يجعل من المتخلف متقدما ومنافسا وقد يصبح مصارعا لمن كان سببا في تخلفه، لهذا فالدول المتقدمة لا تود لغيرها من الدول أن تكون قوية مثلها، حتى لا تستوقف توسعها الاقتصادي والسياسي العسكري، أو أن تشكل خطورة عليها، ولذا تتضح أهمية البحث العلمي بتوفير الاطمئنان لا بتوفر الخائف والمخيف، وذلك لأن الخائف لا يمكن أن يكون

باحثا أو مخترعا بل الذين تطمئن نفوسهم هم الذين يبحثون ويسعون لنيل الفوائد العلمية وهم الذين يبحثون من أجلهم والآخرين، ولهذا فالبحث العلمي وإن قام به باحثا فإن ثماره تُقطف للجميع.

وإذا أردنا أن نتعرَّفَ على أهمية البحث العلمي فعلينا بتوفير:

1 . مصادره والغوص في متونها.

2 . مراجعه ودراستها.

3 . أدواته ومعرفة استخدامها.

4 . معامله وجودة إدارتها.

5 . مختبراته وتوظيفها لتأهيل البحاثة والبحاثة المساعدين.

6 . ميادين التجريب التي فيها تتجسَّد الحقائق أو تُرفض بموضوعية.

7 ـ تقنيته التي تتطلب استيعابا وافيا من قبل القائمين عليها والمتدربين والدارسين والمتعلمين.

ومن أهمية البحث العلمي أنه يُسهِّمُ في تقدم الأفراد والجماعات والمجتمعات ويجعل للدول المتقدمة مكانة وهيبة، ومن أجل هذه الأهمية ينبغي أن تتوفر له الظروف الموضوعية الخاصة بكل موضوع دراسة أو مشكلة بحث.

وكذلك ينبغي أن تتوفر له الظروف المكانية والزمانية المناسبة لنجاحه، وأن يتوفر للباحث خلوة علمية فيها يتمكَّن من التحكم في متغيرات المشكلة البحثية وفيها يتمركز فكره ووعيه وانتباهه على أثر كل متغير من المتغيرات التي يحلل عناصرها في علاقات مع متغيرات أخرى قد تكون دخيلة وقد تكون متداخلة وقد تكون تابعة للمتغيرات المستقلة، والخلوة العلمية تتطلب تهيئة الجو المناسب للباحث بحيث يكون مهيأ للبحث، لا مشاغل له، ولا همَّ له إلا البحث، والباحث العلمي المبدع هو الذي يؤمن بأن باب الازدياد العلمي مفتوحا أمام البحاثة فيبحث وهو مؤمنا بقوله

تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[1]، والخلوة العلمية تختلف عن خلوة المغارات التي ينتظر أصحابها من السماء أن تدر عليهم اللبن كما يعتقدون، ونسوا قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[2]، وقوله تعالى: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[3] ولهذا تختلف الخلوة العلمية عن خلوة البكاء والتضرع لغير الله الذي أمر بالعلم والعمل، فالأولى ميدان علمٍ وعمل، إنتاجه يراه الله عز وجل ويراه المؤمنون، ولهذا فخلوة الباحث هي مكان إدرار تفكيره، واستنباط معارفه واستعاب إلهاماته، أما الثانية مغارة كسل وبكاء لا إنتاج لها إلا الدموع والإهمال.

وبطبيعة الحال لا أقصد بذلك الذين يذكرون ربهم قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهم كذلك يسبِّحونه قبل طلوع الشمس وقبل الغروب شاكرين له الحمد على ما أحاطهم به من نعمة بل أعني الذين هم يتكئون على جرفٍ هَارٍ فليس له بدا إلا الانهيار مصداقا لقوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[4].

ومن أهمية البحث العلمي ألا يوضع سقفا للتفكير الإنساني، والسقف الذي أعنيه هو وضع كلمة (ممنوع) وكلمة (توقف) أمام المبدعين والمفكرين والبحاثة التي تجعلهم يائسين في مكانهم يراوحون لا تقدم ولا إبداع. فهكذا حال المجتمعات المتخلفة، يطلب منها أن تسير إلى الأمام دائما، ودائما يضعون أمامها إشارة قف، فكيف يمكن لها أن تتقدم والطريق من أمامها مسدودا؟ وفي مثل هذه الحالات

[1] طه 114.
[2] التوبة 105.
[3] سبأ 11.
[4] التوبة 109.

يصبح البحاثة كمن تُضرب له إبرة تنويم لتخذره ويطلب منه أن يسهر مع الساهرين أو أنْ يشترك في سباق ضاحية وينتظر منه الفوز.

ومن أهمية البحث العلمي في المجالات الاجتماعية والنفسية أن يبدأ الباحث مع المبحوث أو المبحوثين من حيث هم من أجل أن يصل بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه.

ومن أهمية البحث العلمي أيضا قبول التعامل مع ما هو كائن والتعرف عليه من أجل اكتشاف أسراره وكسب فوائده.

ومن أهمية البحث العلمي الحيادية ولذا فإن كان هناك انحيازا فهو من الباحث أو الموظف للنتائج البحثية التي تحققت على أيدي الباحث أمَّا البحث فلا انحياز فيه، أي أن البحث لا يسيطر على احدٍ بل الذي يسيطر بما وصل إليه الباحث من نتائج هو ذلك الإنسان الموظف لتلك النتائج المحايدة، ولأن من طبيعة البحث العلمي الحيادية فلا يجب على أحد الانحياز والاحتكار.

وعليه، إن الذين يعتقدون أن البحث هو وسيلتهم في السيطرة على الطبيعة مخطئون، ونسوا أن هذه المهمة ليست من مهمة المخلوق، بل إنها من مهمة الخالق جل جلاله، ومهما عمل الإنسان على الأرض لن يستطيع أن يغير مسارها، فإن بحث في الطاقة الشمسية ومهما بحث لن يستطيع أن يغير مواقيت شروق الشمس وغروبها، وبرغم أننا عرفنا الصواعق، وعرفنا الزلازل، وعرفنا أسبابها واكتشفنا إمكانية تفادي مخاطرها ولازلنا نبحث ونحاول أن نكتشف الكثير، إلا أننا لم نستطع السيطرة عليها، وعليه لن يضمن لنا أي مخلوق عدم ظهورها من جديد إلا أننا نعرف واثقين بأن الذي يعلم ذلك هو الذي خلقها وخلق الذي يبحث فيها، قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}[5].

---

[5] الزلزلة 1 . 5.

ومن أهمية البحث العلمي مواكبة التغيرات المستمرة مما يُيسِّر التعامل مع كل جديد بموضوعية.

ومن أهمية البحث العلمي يضيف الجديد النافع والاستمرار في إضافته بما يُفيد الأفراد والجماعات والمجتمعات.

ومن أهمية البحث العلمي يُثري المكتبات مما يُيسِّرَ العلوم والمعارف بين أيدي المتعلمين والباحثين في المدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات البحثية.

ومن أهمية البحث العلمي الإسهام في حل الإشكاليات والمعضلات والمشاكل التي تواجه الإنسان في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والثقافية والذوقية.

ومن أهمية البحث العلمي تحقيق أدوات التطوُّر وتقنياته وفك اللبس والغموض الذي يصاحب ظاهرة من الظواهر الاجتماعية أو الطبيعية وتفادي المترتبات السلبية التي تنجم عن ذلك.

ومن أهمية البحث العلمي يُمكِّن من كشف الأخطاء ويُمكِّن من معالجتها وإيجاد الحلول أو التعرف على المؤشرات التي إن لم ينتبه إليها قد تؤدي إلى مشكلة كما هو حال البحث باستخدام العينات المتعددة والمتنوعة التي نتائجها دائما تُعطي مؤشرات إلى ظاهرة قد تحدث إن لم تعالج الأسباب التي تم اكتشافها من خلال البحث الذي أجرى على عينة من الأفراد أو الجماعات.

ومن أهمية البحث العلمي يُحسِّن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والثقافية والصحية والتعليمية والتربوية وهكذا يُحسِّنُ كل حال في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

إشكالية أو مشكلة البحث:

إشكالية البحث في معظم الأحيان ليست معقدة كثيرا كما هو حال المشكلة البحثية، فإشكالية البحث هي معضلة تواجه الفرد أو الجماعة أو تواجه تقنية ما أو صناعة

ما أو اقتصاد أسرة في مدينة ما أو في دولة من الدول، أو هي تلك المعضلة التي تواجه أساليب التعليم والتعلم أو تواجه إدارة من الإدارات الخاصة أو العامة أو مؤسسة من المؤسسات أو إنتاج شركة من الشركات أو من أجل تجويد إدارة من الإدارات وتحسينها أو جامعة من الجامعات أو علاقة من العلاقات الاجتماعية وغيرها كثير، وهذه الإشكاليات في معظم الأحيان يتولاها الباحثين في الجامعات والأكاديميات بالبحث في نيل الشهائد العليا والتخصصية.

أمَّا المشكلة فهي الكل المعقد الذي يُحدث أزمة اجتماعية كما هو حال العولمة وما يُطرح باسمها على حساب الخصوصيات الاجتماعية، أو مشكلة اقتصادية كما هو حال الأزمة المالية العالمية التي طالت الاقتصاد العالمي ولا زال الباحثون يسعون إلى معرفة مخارج من هذه الأزمة شديدة الأثر على المال الذي بدوره قد يؤثر على الاقتصاد العالمي، أو مشكلة صحية كما هو حال مرض أنفلونزا الخنازير التي أثارت اهتمام العالم بالبحث حتى لا تكون الكارثة على المجتمع الإنساني. أو مشكلة سياسية كما هو الحال في الصومال الذي دخل العقد الثالث من الاقتتال على السلطة،

ولذا فإشكالية البحث هي التي تواجه المهتمين بالبحث العلمي مما يجعلهم يصوغونها موضوعا يستوجب البحث بعد أن تُحدد أهدافه على الوضوح وأن يتمحور على فروض وتساؤلات ينتظم عليها بوحدة منهجية تُمكِّن الباحث من الوصول إلى نتائج موضوعية في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

إذا إشكالية البحث أو مشكلته هي التي يحفُّها الغموض والتعسير مما يستوجب على الباحث أن يبحث عن مكامن وعلل وأسباب ذلك الغموض والتعسير حتى يعرفها فإن تمكَّنَ من معرفتها بالبحث يتمكن من إيجاد الحلول أو المعالجات الشافية للداء أو الأثر الذي تركته على المؤسسة أو الأفراد أو الشركة أو أي خاضع للبحث العلمي.

ولذا عند صياغة إشكالية البحث أو مشكلته ينبغي أن يركِّز الباحث على إظهار مكامن المشكلة التي تستوجب صيغة واضحة لفروضها أو تساؤلاتها التي تُمكِّنه من كشف متغيراتها وسبر أغوارها.

فإشكالية البحث بدون شك يحفُها الغموض فهي لن تتضح إلا بوضوح معالمها من خلال البحث، ولهذا لا عيب في أن تصاغ إشكالية البحث على فترتين من الزمن:

الأولى: فترة الغموض عند كتابة خطة البحث.

الثانية: فترة الوضوح وهي بعد إنجاز البحث لتكون أمام لجنة المناقشين على الوضوح التام، وهكذا تكون بين أيدي القراء في المكتبات العلمية التي يتوافد الباحثين والدارسين إليها، أي في فترة الوضوح ينبغي أن يُعيد الباحث صياغة إشكالية بحثه التي سبق أن صاغها لاعتماد الخطة في فترة الغموض ليكون ويكون غيره من بعده على بيِّنة من الأمر.

إشكالية البحث لا ينتهي البحث فيها إلا بمعرفة الحلول التي يتوصل الباحث إليها، أي بما أنها إشكالية أو مشكلة ستضل قائمة بحالها إلى أن يتم التعرف على الوسائل التي تُسهم في إيجاد حلول لها مما يستوجب على البحاثة إنهاء إشكاليات بحوثهم بحلول ومعالجات لا بصياغات لغوية نظرية وتعبيرات لا تُمكِّنَ القراء من ملامسة الحلول والمعالجات.

وكما يقولون بما أنها إشكالية أو مشكلة فلكل إشكالية ومشكلة حل، قد يكون ميسرا وقد يكون محفوف بالمخاطر والصعوبات التي تستغرق الزمن ولا تُثمر ومع ذلك لا ييئس البحاثة ولا يتوقفون حتى بلوغ الحل، ولذا فمن المستغرب أن تجاز بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات وهي غير مختومة بمعالجة أو حل.

وأهم ما يواجه الباحث في تحديد مشكلة بحثه هي الحيرة التي تضايق نفسه بين الحين والحين مما يجعل البعض من البحاثة يترك موضوعا مهما ويتوجه إلى

موضـوع أقـل أهميـة، مثـل هـؤلاء البحاثـة هـم الـذين يختتمـون بحـوثهم دون أن يستشعروا بعظمة ولادتها، فهم كمن يصلي وبعد أن يُسلِّمَ من صلاته لن يتذكر ما قرأ من صور في صلاته وإن كانت ركعتين.

لذا أقول:

بقاء الباحث في زمن الحيرة دون هروب منها يُخرجه من كل غموض ولبس إلى مكامن العلل والأسباب التي تكمن فيها إشكالية البحث أو مشكلته، وحينها يسعد ومن بعدها لن يكون غيره أكثر إلمام منه فيما بحث وكتب.

وماذا تعني الحيرة البحثية؟

تعني أن الباحث يحتاج إلى مشرفٍ يرشده إلى قراءات ومناقشات تفتح أمامه آفاق المعرفة العلمية التي تمده بالمزيد العلمي والمعرفي، ولذا فالحيرة العلمية لا تواجه إلا الجادين، ولهذا ينبغي أن نعرف أن الحيرة هي درجة متقدمة من التفكير العلمي المركَّز الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعيا وإرادة ويقين حيث لا خروج من الحيرة العلمية إلا بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكالية لا مفر من البحث فيها إن أردنا حلا.

إذا الحيرة هي نتيجة الشك وعدم وضوح التخمينات تجاه الموضوع المستهدف بالبحث، وهي مرحلة هامة في التفكير الإنساني عند انتقاله من الشك إلى اليقين. ويقال للإنسان الذي يضل طريقه بأنه حيران نتيجة عدم تحديده الاتجاه الصائب الذي يود السير فيه.

وعليه أول مشكلة تواجه الباحث كيف يتخلص من الحيرة التي تعيق تفكيره في أن يحدد موضوع بحثه؟ وكيف ينتقل من الشك إلى اليقين بأن مشكلته تكمن في القلق الذي يحيط به والغموض الذي يتطلب منه صبرا مكتبيا لاستطلاع ما كُتب عن الموضوع قدر الإمكان في مجال تخصصه، والإطلاع على المعارف المتوفرة

لتساعده على صياغة وتحديد مشكلة بحثه، والتي تنقله من الضلالة إلى الهداية مصداقا لقوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[6] ولهذا الحيرة مقبولة لأن بعدها هداية وتعلُّم حكمة، ولا تتضح مشكلة البحث إذا لم يلمَّ الباحث بفلسفة الموضوع الذي يود دراسته، وتتضح فلسفة البحث بإجابة الباحث على السؤال لماذا هذا الموضوع بالذات؟ ولماذا لم يختر غيره؟

فإذا كانت الإجابة واضحة في ذهن الباحث بارتباطها مع وضوح الأهداف والغايات المرجوة منه كانت للبحث حكمة، وإذا كانت له حكمة، كان له موضوع ومعنى يستوجب البحث فيه، ونحن نتفق مع ما قاله دارون: "إن تحديد المشكلات البحثية أصعب من إيجاد الحلول لها"[7].

وعليه وضوح الأهداف والفروض أو التساؤلات، وتوفر الإمكانيات، ورغبة الباحث واهتماماته، وتحفيز المجتمع للبحاثة يدلل المشاكل البحثية، ويحقق نجاحا علميا رائعا وهذا لا يعنى أن كل مشكلة من المشكلات اليومية التي تواجه الإنسان تتطلب بالضرورة أجراء بحوث أو دراسات عليها، ولكن المشكلات البحثية هي التي نتائجها تجيب على طموحات عامة أو تُظهر إبداعات جديدة أو تُصحح ملابسات وأخطاء أو تُعطي مؤشرات لبحوث ضرورية.

ويرى أرسطو المشكلة problem بأنها هي (مسألة نظرية أو عملية يجادل فيها ولا يوجد بالنسبة إليها رأي واضح). حيث يكون الرأي الواضح بعد إخضاعها للبحث والتقصي الدقيق، الذي يُمكِّن من معرفة العلل والأسباب والمتغيرات ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بظهورها على السطح الاجتماعي أو الإنساني. وعندما تخضع المشكلة للبحث والدراسة العلمية تصبح في ميادين المعرفة ومراكز البحوث موضوعا بين أيدي البحاثة، فتُرسم لها الخطط وفقا لِما ورائها من أهداف ومقاصد

---

[6] الجمعة ، الآية 2 .

[7] R . Merton , Notes on problem finding in sociology in ‘ Sociology today ‘, 6-1959 . p . 4 .

وترصد لها الميزانيات وتحدد الإمكانات اللازمة لدراستها أو البحث في أغوارها. ولكي تُسبر أغوار المشكلة علميا يجب أن تصاغ لها الفروض العلمية التي تُمكِّن الباحث من اكتشاف العلاقات بين المتغيرات والأسباب والعلل التي كونتها أو أظهرتها إلى حيز المشاهدة والملاحظة بعد أن كانت في حالة كمونٍ وسكونٍ.

المشكلة هي التي لم يتم التعرف على حلولها بعد، وهي التي ستظل باقية إلى أن يتم بلوغ المعالجات الموضوعية. وقد تكون مشكلة طبيعية كما هو حال البراكين وانتشار الآفات والفيروسات الضارة وما يترتب عليها من عدوى إن لم يتم التحصين. وقد تكون اجتماعية كما هو حال سوء التوافق وعدم التكيف والتفكك الأسري والصراعات القبلية والطبقية، وقد تكون إنسانية كما هو حال الحروب والمجاعات وما يترتب عليها من اتخاذ مواقف سالبة من تعصبات وانحيازات أو دمار وهجرات بشرية مع انتشار الجوع والفقر.

وعندما تخضع المشكلة للبحت تستوجب تحديدا دقيقا لبعدها الموضوعي (أبعاد الموضوع هل هي ذات أبعد سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية أم نفسية أم متداخلة بين هده المتغيرات وغيرها من المتغيرات التابعة والمستقلة الأخرى). وكذلك تستوجب تحديدا مكانيا (المكان الذي تمتد فيه المشكلة أو تتفشى، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر). وكذلك تستوجب تحديدا زمنيا (تحديد الزمن الذي ظهرت فيه والمجال الزمني أو الفترة الزمنية التي ستخضع للبحث).

تقع كل مشكلة في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) وفي ذلك يكون (لكل مشكلة حل) أي أن المشكلة تحت سيطرة الحل الذي قد تكون معطياته في صياغة متغيرات الفرض المتوقع أو تكون في صياغة متغيرات الفرض غير المتوقع[8].

---

[8] عقيل حسين عقيل، الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الوحدة الأولى مصطلحات ومفاهيم، منشورات جامعة الفاتح، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الأولى، 2007م، ص 137.

ومن مشكلة البحث يصاغ موضوعا للبحث والموضوع هو ما يشغل بال البحاثة ويجعلهم يولون اهتماما منظما ويدخلهم إلى ميادين الحيرة ويخرجهم منها إلى ميادين المعرفة الواعية. والموضوع قد يكون على مشكلة أو له مشكلة، وقد يكون لظاهرة طبيعية أو عقلية أو اجتماعية، وقد يكون تطلعيا لصناعة المستقبل الأفضل وفقا لِما يُشبع الحاجات المتطورة. ولذا فإن تحديد الموضوع وفقا لمتغيراته وامتداداته يجعله في متناول البحث الموضوعي، سواء كانت هذه الامتدادات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو نفسية أو ذوقية أو ثقافية ومدى تأثيرها على الفرد والجماعة والمجتمع في الأسرة أو المدرسة أو في ميادين العمل وأماكن الترفيه وممارسة المناشط الحرة. ولهذا ينبغي أن يحدد الباحث أو الدارس معالم بحثه حتى لا يكون موضوعه مجرد توهم ليس إلا.

الموضوع يتكامل بمتغيراته وبعلله ومسبباته وبما يكمن فيه من معضلات وحلول وبما يحتويه من قيم وما يؤدي إليه من مكاسب ومعالجات الناس في حاجة إليها سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو الاجتماعي.

وفي الموضوع مثلما تكمن المشكلة يكمن الحل، ولذا منه يستمد الباحث أهمية بحثه، وأهداف بحثه، وفروضه أو تساؤلاته ومنهجه وأدواته البحثية التي على ضوئها تصاغ الخطط البحثية بكل موضوعية.

ولذلك فكثير من الظواهر تُدرس وكثير من المشاكل والإشكاليات تُبحث، ولهذا فإشكاليات البحث كامنة خلف ما تتركه من آثار سلبية أمَّا الظاهرة phenomenon فظاهرة.

والظاهرة هي ما ليس بخافية بأثر طبيعي أو عقلي أو اجتماعي، فالخسوف والكسوف والزلزلة والبراكين والتصحُّر ظواهر طبيعية، والنبوغ والتفوق العلمي والإبداع والاختراع والإيمان والكفر ظواهر عقلية. الزواج والطلاق والتعاون

والتفاعل والمشاركة والوحدة والاندماج والفساد والجريمة والانحراف ظواهر اجتماعية.

الظاهرة يمكن أن تكون ذات اثر موجبا ويمكن أن تكون ذات أثر سالبا، وقد يترتب على الظاهر ظواهر أخرى، فعندما يكون الفساد هو الظاهرة فقد تترتب عليه ظاهرة الشخصانية، والنفاق، وسوء الإدارة، والتفكك الأسري ما يجعل الفعل السالب في حالة تجزئة، وقد يترتب على ظاهره الفساد ظواهر ذات اثر موجبا، وذلك عندما تتكون الجماعات الرافضة لهذه الظاهرة مما يجعل ردود الأفعال تؤدي إلى الالتزام الديني والخلقي فتظهر التنظيمات الرافضة والمقاومة لظاهرة الفساد وتتسع دوائر المقاومة حتى يصبح الإصلاح هو الظاهرة الأهم والأعظم.

لكل ظاهرة ماهية ودلالة بها تتكون وبها تُستقرأ وتُبحث، ولذا لا وجود لأي ظاهرة إلا بمبرراتها العلمية والمنطقية التي بها يتم التعرف عليها.

والظاهر هو ما ليس بكامنٍ ما يجعله خاضعا للملاحظة والمشاهدة والتعرف عليه بشكل مباشر أو غير مباشر. ولذا فالمعلومة الظاهرة تُسهم في تحلل ظواهر من بعدها، وهكذا تُحليل المعلومات وفق البيانات المشاهدة، والملاحظة والمحسوسة، سواء أكانت سلوكا أم شكلا، أم كما، أم فعلا؛ والظاهر هو الذي يتم التوقف عنده من اجل التعرف عليه، ومع ذلك ليس كل ظاهر واضحا، بل معظم الظواهر تحتاج إلى توضيح، سواء كانت ظواهر طبيعية أو اجتماعية. والتوضيح هو تبيان ذلك الظاهر بما ظهر به عن الكامن، وبما ظهر عنه من أفعال، أو أقوال، أو إنتاج، فالإنسان قيمة كامنة في الإنسان الشكل، وهكذا السلوك تصرف ظاهر من الشكل الذي له كامن.

الظاهر هو الذي لم يعد مخفيا عن المشاهدة والملاحظة ما يجعله بيّن للمعاملة والتعامل الموضوعي، وهو الذي من وراء ظهوره غاية، ما يجعله قابل للامتداد والحركة ويتجسّد في السلوك والفعل بالنسبة لِما يتعلق بالحياة البشرية. الظاهر ما

ليس بكامن، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين النية والفعل، فالنية ساكنة كامنة إلى حين تتوفر معطياتها فتمتد من حيز سكونها إلى الظهور في الفعل والسلوك. ومثل النواة التي فيها تكمن النخلة وعندما تغرس النواة في التربة المناسبة لنموها تظهر النخلة منها للمشاهدة والملاحظة وتنتهي النواة وتصبح هي الأخرى محمولة (كامنة) في النخلة عندما تتمر.

وعليه، فالإنسان كشكل ظاهر يصعب الحكم عليه بأنه خيَّرا أو شريرا إلا بعد التعرف عليه عن قرب بالمشاهدة والملاحظة والمشاركة. وكثير ما يكون الظاهر نتيجة للكامن، ووسيلة للتعرف عليه. ففي التحليل النفسي يكون الظاهر وسيلة للتعرف على الكامن، ويكون الكامن غاية لإصلاح الظاهر. ولهذا يتم التعرف على الكامن بالظاهر ويتم إصلاح الظاهر بإصلاح الكامن. فالسلوك كظاهر، قد يكون أمام المشاهد سويا، أو مثالا أو فيه القدوة، ولكنه في الواقع قد يكون غير ذلك، فالابن، أو الابنة كثيرا ما يكونا أمام أسرتهما، وخاصة الوالدين، على خُلق والتزام وأدب، ولكنهما في حقيقة الآمر قد يكونا غير ذلك من ورائهما، فمن خلفهما قد يقومان بأكبر الانحرافات السلوكية، وعندما يتم إبلاغهما (إبلاغ الأبوين) بأن أحد أبنائهما منحرفا مع الاتجاهات السلبية، فإنهما قد يفورا رافضين وبغضب هذا الإدعاء، مع أنه الحقيقة، ولذلك الحكم بالظاهر على الظاهر قد لا يؤدى إلى الصواب، والظاهر قد يكون شكل وصورة، وقد يكون قولا أو سلوكا، ولكل منهما خطوات ينبغي أن تراعى في تقصي الحقائق. في العلوم الطبية والتحليل النفسي، لا يتوقف الطبيب أو الأخصائي النفسي والاجتماعي عند المشاهد والظاهر، إلا باعتباره نقطة الانطلاق لبداية الدراسة، أو التشخيص، أو العلاج، لأن الحكم على الظاهر بمشاهدته ووصفه، أو تحليله وكأنه غاية في حد ذاته، قد لا يؤدى إلى نتائج علمية، يمكن اعتبارها والاعتماد عليها، والظاهر قد يكون مشاهدا، وقد يكون محسوسا (ملموسا ومدركا) مثل ارتفاع حرارة المريض، التي بالمس يتم التعرف

عليها، وعند قياسها يمكن تحديدها بدقة، ولكن الذي يود أن يعرفه الطبيب، أو الأخصائي النفسي والاجتماعي هو معرفة الأسباب التي تكمن ورائها، وعند مشاهدة الطبيب أو الأخصائي النفسي والاجتماعي إلى مريض مُصفر الوجه، هل يتوجهوا هؤلاء الأخصائيون إلى معالجة الاصفرار الظاهر؟ أم إلى البحث عما يكمن ورائه من علل، وأسباب؟ لذلك يكون الاصفرار كظاهر مؤشرا إلى البحث عن كامن، لأن الاصفرار مسبب، وبما أنه مسبب، إذن لابد وأن تكون له أسباب، ومسببين له، ولذلك قد تكون الأسباب هي الأخرى ظاهرة بعد التعرف عليها، كأن يكون سبب الاصفرار هو مرض عضوي لا قدر الله في الكبد، أو المرارة وغيرها من المسببات الظاهرة، وقد يكون السبب غير ظاهر، كأن يكون سبب اصفرار الوجه هو الخوف من الامتحان، أو من نتائج مترتبة على ارتكاب فعل يعاقب عليه الوالدين والقانون أو المجتمع أو نتيجة مواقف قد تُعرِّضه إلى الهلاك، وهو لم يستطع اتخاذ قراره بحرية حيالها، مثل الجندي في جبهة القتال الذي تصدر له أوامر دخول المعارك، دون أن يكون له رأى أو حتى وجهة نظر في ذلك.

بناء على ما تقدم فإن إشكاليات البحث كثيرة ولا يمكن أن تنتهي ولهذا البحث لا ينقطع فمهما تطورت المشاكل وتعقدت تطورت في مقابل ذلك أساليب البحث العلمي وطرقه ومناهجه وأدواته المُمكِّنة من البحث وحل الإشكاليات البحثية.

حدود البحث:

حدود البحث هي المعالم الواضحة لبداية البحث وفترة امتداده ونهايته وما يحتوي عليه من مصادر بشرية وإمكانات مادية ومصادر علمية وميدان لإجراء البحث وإشكالية أو مشكلة تستوجب البحث.

فالباحث وأي باحث لا يمكن له أن يبحث في كل شيء، وذلك لأن الأشياء متداخلة في قضاياها وظواهرها ومواضيعها وعلومها ومعارفها وثقافاتها وحضاراتها ومشاكلها ومتغيراتها، لذا وجب على الباحث أن يحدد معالم حدود بحثه وإلا سيجد

نفسه يبحث في مواضيع وقضايا لها بداية وليس لها نهاية. مما يتطلب منه أن يحدد الآتي:

1 . أن يحدد مجتمع بحثه إن كان مستهدفه بالبحث الشامل.

2 . أن يحدد عينة بحثه بعد أن يحدد المجتمع التي سيتم أخذها منه تناسبيا سواء أكانت طريقة الاختيار عشوائية أم منتظمة أم عمدية (بالخبرة) أم ساحية، أم طبقية أم فئوية.

3 . أن يحدد المكان الذي يستهدفه بالبحث فهل هو قرية صغيرة أو مجموعة قرى أم أنه مدينة أم مجموعة مدن أم أخرى غير هذه وتلك؟

4 . أن يحدد الزمان الذي يستهدفه بالبحث أي يحدد المحتوى المستهدف من قبله بالبحث خلال فترة زمنية واضحة البدايات والنهايات.

5 . أن يحدد ميدان بحثه أو مجتمع بحثه والفئة المستهدفة منه بالبحث مع ذكر المستثنى منه عمدا بمبررات موضوعية.

6 . أن يحدد موضوع بحثه في أي إشكالية تكمن مرتكزاته ليكون تحديد المجتمع أو العينة والمكان والزمان كل منها متوافقا مع أهداف البحث وفروضه أو تساؤلاته.

7 . أن يحدد الباحث الفترة الزمنية المتوقعة لإنجاز البحث أو أن يضبط حدود بحثه بما يتوافق مع الفترة المحددة للبحث كما هو الحال لدى طلبة الدراسات العليا بمرحلتي الماجستير والدكتوراه المحددتين بفترة زمنية حتى لا يجد نفسه أمام موضوع نهاياته لا تتطابق مع الفترة الزمنية المحددة لإنجاز كل واحدة منهما.

أهداف البحث العلمي:

الهدف goal هو الواضح البيِّن للملاحظة والمشاهدة وهو الذي يُمكِن تحقيقه وهو كل شيء يُحدد ويتم التوجه إليه حتى يُنجز، وهو الذي كلما توجهت إليه ودنوت منه اقترب إليك. ولهذا فالأهداف يتم الوصول إليها مباشرة دون وسائط.

الأهداف تحدد بدقة وتزداد وضوحا بطي المسافات الحائلة بينها وبين مستهدفُها. فالصياد على سبيل المثال لا يرمي صيِّدتَهُ (هدفه) إلا بعد ظهورها بوضوح أمام نظره دون حائل وذلك بعد أن يُسدد تجاهها عن قصد وإصرار، وبعد دراية بالإحداثيات التي تجعلها في مدى الرماية.

في الزمن الماضي كانت الأهداف تحدد عن قرب وبالعين المجردة كالصياد وصيدته، أما اليوم في عصر التقنية فالأهداف بعد أن تُحدد بوضوح عن طريق الأقمار الاصطناعية تُرمى بالصواريخ العابرة للحدود. ولذلك مع أن الهدف يوضع في مواجهة مستهدفه بالرماية أو الانجاز، إلا أن هذه المواجهة قد لا تكون وجه لوجه.

في غزو العراق كانت جميع المعسكرات أهدافا محددة من قِبل الخصم المعتدي، ومعظمها دُمِّرت عن بعد بالرماية الصاروخية، وبعد دخول القوات الغازية أرض العراق بدأت المواجهات بين المقاتلين كأهداف مباشرة، ما جعل الأهداف تقترب من الانجاز كلما دُمِّر معسكرا أو قتل جنديا (كلما أنجز هدفا). ولذا فإن المعسكرات وأماكن انتشار الجنود والمقاتلين تعد أهدافا بالنسبة للمتحاربين.

والأهداف في البحث الاجتماعي هي التي تُحدد وتصاغ بكل وضوح وتحمل في محتواها مضامين الموضوع الذي تُصاغ له الفروض والتساؤلات على ضوئها، وهي التي تُنجز بإتمام البحث في الموضوع أو المشكلة المحمولة فيها.

ولذا تُقوَّم رسائل الماجستير والدكتوراه والمشاريع البحثية بما تُحدده من أهداف ومدى إنجازها إليها. ولهذا فالأهداف تُحدَّد، ويتم الإعلان عنها ويتم الإقدام على إنجازها أولا بأول، ففي غزو العراق أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحة عن أهدافها وحددتها بكل وضوح في إسقاط

صدام حسين، والقضاء على حزب البعث في العراق، وإقامة حكومة بديلة، ولقد أنجزت هذه الأهداف المحددة وفقا لِما هو مُعلن مسبقا.

في طرق البحث إنجاز الأهداف يدل على إنجاز المهمة البحثية، التي تفتح آفاق جديدة أمام البحاثة للتطوير والتعرُّف على الجديد واستكشافه ببحوث أخرى. ولكن الذي حدث في العراق أنجزت الأهداف والقوات الأمريكية وقوات التحالف لم تخرج بعد من العراق، ما يدل على أن لهم أغراض لم يعلنوا عنها صراحة من وراء إنجازهم لتلك الأهداف المحددة.

وعليه فالأهداف ليست هي الأغراض كما يعتقد البعض فالغرض purpose هو الذي يترتب وجوده وتحقيقه بعد إنجاز الهدف، فهو لم يكن مباشر المواجهة كما هو حال الهدف، بل أنه المترتب عليه. فالباحث الذي يتم بحثه بإنجاز أهدافه البحثية المُعلن عنها تُجاز رسالته بعد مسائلة موضوعية عن أهدافه وعلاقتها بالنتائج التي بها أتم بحثه أو رسالته، ولا يُطلب منه من قريب ولا من بعيد عن غرضه من وراء هذا الإنجاز العلمي، وذلك اعترافا بأن ما يوجد من أغراض من وراء الأهداف البحثية هو متعلق بخصوصية الباحث وظروفه وأمانيه التي يود أن يتوجه إليها بعد ذلك، وهذه ليست من اختصاصات المشرفين أو المقوِّمين للبحث إلا إذا كان أحدهم فضولي، ومع ذلك قد لا تقال له الحقيقة من قبل الباحث وهذه من حقه دون غيره.

وبما أن البحوث العلمية تُنجز بإنجاز أهدافها. إذن الأغراض المترتبة عليها متى تتحقق؟.

إنجاز رسالة الماجستير أو الدكتوراه بالنسبة للباحث والمشرف عليه هي هدف يؤهله لأن يعمل في ميادين التخصص الدقيق ويفتح أمامه فرص العمل في مجالات تخصصه، وسيضل الغرض معلَّقا إلى أن يتمكَّن

المتخرِّج الذي أجيزت رسالته وأعلن له عن نيله الإجازة العالية أو الدقيقة بحصوله على فرصة عمل ومباشرته لذلك يعد تحقيقا للغرض الذي كان مختفيا وراء نيله الإجازة الدقيقة الدكتوراه (الهدف).

وهكذا على سبيل المثال عندما تَشبُ الحروب بين دولتين فإن قوات كل منهما تُعد هدفا للدولة الأخرى، مما يجعل كل منهما يستهدف المعسكرات وأماكن انتشار المقاتلين وأماكن تخزين الأسلحة وقوات الإمداد الداعمة ومراكز القيادة، ولذا كلما دمَّر معسكرا أنجز هدفا.

وقد يتساءل البعض: لماذا تُستهدف المعسكرات وأماكن تخزين الأسلحة ومراكز الذخيرة والقيادة بالتدمير أو الاحتلال؟. فتكون الإجابة من أجل إضعاف الخصم وهو (الغرض) من وراء تدمير أو احتلال المعسكرات. ولهذه الأسباب تحققت أغراض أمريكا التي لم تُعلن عنها صراحة وهي احتلال العراق واستغلال خيراته النفطية، ولكن عبر التاريخ لم يبق مستعمرا ومحتلا في البلدان المستعمرة أو المحتلة بالقوة ولن يكون الأمر إلى حين. وهكذا مثلما كان وراء كل هدف غرض، كذلك يكون وراء كل غرض غاية.

والغاية aim بعيدة المنال ولا يتم بلوغها مباشرة، إلا بعد تحقيق الأغراض الكامنة وراء الأهداف. فالباحث الذي تأهل وتخصص بالإجازة الدقيقة الدكتوراه (الهدف) وتحصل على فرصة عمل (الغرض) كانت له غاية كامنة في ضميره وهي بلوغه أو نيله مكانة معنوية في وسط مجتمعه أو بين رفاقه وزملائه أو مع الآخرين. وهكذا كانت الغاية الأمريكية من وراء احتلال العراق هي توسُّع النفوذ الأمريكي في العالم والسيطرة على الأماكن الإستراتيجية، وجعل حد لكل من تسوِّل له نفسه من أوروبا أو أسيا بأن يمتد في المستقبل إلى هذه الأماكن ويستغل خيراتها وثرواتها، ويجعلها في مواجهة المستهدفات الأمريكية.

وعليه فالهدف ليس هو الغرض والغرض ليس هو الغاية وعلينا أن نبحث حتى نعرف ونتعلم ونظيف.

فروض البحث العلمي hypothesis :

تصاغ الفروض العلمية في حالة توفر جزءا من المعلومة وفقدان جزء آخر منها، ولذا فالفرض هو تخمين مبدئي يتضمن متغيرين أو أكثر ويشير إلى نتيجة في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

وفي صياغة الباحث لفروض بحثه نحن نتفق مع الفيلسوف ديكارت الذي يرى أن لا يغفل الباحث عن الآتي:

1 . يجب أن يكون في كل فرض شيء مجهول، وإلا لكان البحث عبثا ليس إلا. فلو كان كل ما في الفرض معلوما لما كان هناك داعٍ لإجراء البحث.

2 . يجب أن يتحدد هذا المجهول على نحوٍ ما وإلا لن نستطيع التوجه إليه، دون غيره بالبحث والتفحص. مما يستوجب صياغة الفروض أو التساؤلات صياغات احتمالية غير قطعية وفقا لدائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

3 . هذا المجهول لا يمكن أن يتعين إلا بواسطة شيء معلوم. حتى لا تكون الفروض فاقدة للسند الموضوعي لها على أرض الواقع[9].

وإلى جانب ما تم ذكره، يجب أن لا يغفل الباحث في صياغة فروض بحثه عن الآتي:

1 . ينبغي أن لا تصاغ الفروض على أثبات المثبت. كأن يحدد الباحث فروضه على الرق في الإسلام. فهذا الأمر نتائجه معروفة مسبقا ولن يصل الباحث فيه إلى الجديد ما لم يربط ذلك بمتغيرات أخرى تابعة ولتكن ذات علاقة بدين غير الإسلام. فالفروض في أساسها تصاغ لإثبات ما لم يسبق إثباته من قبل.

---

[9] عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات ألجا، الطبعة الثانية، 1995، ص 29.

ولهذا فالفرض لا يصاغ للمثبت، بل يصاغ لِما يود إثباته، وإذا ما تم الإثبات، وتحقق التجريب والمنفعة رُسِّخت القوانين، وبُنيت النظريات وصيغت المناهج التي بها تُفكك المعلومة أو تُركَّبُ.

2 . ينبغي أن تصاغ جميع الفروض على قاعدة (أنّ لكل مشكلة حل في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع). وإذا لم ينطلق الباحث من هذه القاعدة فلا يمكنه صياغة فروض خاصة بالموضوع، ولن يتحفّز لتحقيق أهداف وبلوغ نتائج أو التمكُّن من اكتشاف القوانين والنظريات التي تمد بالجديد المفيد والنافع.

وعليه فالفرض دائما في حاجة لِمن يعمل على إثباته أو نفيه أو بطلانه ولهذا فهو دائما في دائرة الممكن.

لذا يعتبر الفرض تخمينا مبدئيا يستدل به الباحث على إيجاد علاقة بين متغيرين أو أكثر، ولا يعد الفرض حُكما على الإطلاق إلا بعد إثباته، ولذلك الأشياء المثبتة لا داعي لصياغتها في شكل فروض، لأن الأشياء المثبتة تعبر عن حقائق مثبتة، والحقيقة الظاهرة لا شك فيها، وبالتالي إخضاع المثبت للفرض يعني الشك فيه مع أنه حقيقة ماثلة أمام المشاهدة والملاحظة، فإذا افترض أحد البحاث العرب أن هذا الشكل (.) هو نقطة، هذا يعني أنه يشك أن تكون نقطة نتيجة وضعه لها في فرض احتمالي، ولكن لأن النقطة لم تكن موضوع شك لأنها مثبته بمثولها أمام أنظارنا، وسبق وأن استعملت ولازالت تستعمل في تمييز الحروف من قبل القراء والكتاب فإن إخضاعها للفرض لن يهز الثقة فيها لأنها مثبته، ولذلك لا ينبغي أن نخضع المثبت للاحتمال الفرضي، بل الفروض ينبغي أن تكون احتمالية الحدوث في دائرة الممكن، ولا تكون قطعية الإثبات (لا شك فيها) فإذا أفترض أحد أن الله هو الذي لم يخضع للمشاهدة. فهل يستطيع هذا الباحث إثبات عكس ذلك؟ إنه لن يستطيع، فالله حقيقة لن يخضع للمشاهدة إنه المُدرك بالوجود إدراكا تاما فهو الذي يحيي ويميت وهو الذي يرانا ولا نراه وهو بما نعمل بصير، مصداقا لقوله تعالى:

{وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[10] ولذا وفقا لقاعدة الخالق والمخلوق لا يرى المخلوق خالقه أي أنَّ (الخالق يرى ما خلق والمخلوق لا يرى خالقه) سبحانه وتعالى هو الله المثبت برؤيته لنا، ولأعمالنا (والله بما تعملون بصير)؛ إنه الواحد الذي يعلم ونحن الكثرة التي لا تعلم ما يعلمه الواحد {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[11].

بناء على ما تقدم لا ينبغي أن تكون الفروض (قطعية) بل ينبغي أن تكون (احتمالية في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع) وذلك لأن القطعي مثبت أمَّا ألشكي فمحتمل.

وتتضمن الفروض في محتواها قرارا مبدئيا لحل مشكلة أو محاولة لحلها أو إيجاد معالجات لمعضلة من المعضلات التي تعيق العلاقات الاجتماعية أو تعيق الإنتاج أو الإدارة أو المهنة والحرفة أو تحول بين المرء وتكيُّفه أو توافقه الاجتماعي والنفسي أو لتحسين وتجويد تقنية من التقنيات وغيرها كثير، ولهذا تعتبر الفروض مهمة للبحث كأهمية العمود الفقري لجسم الإنسان من خلال انتظام البحث في فروضه الذي يشابه انتظام الجسم والتفافه على عموده الفقري.

الفروض العلمية هي التي تحمل أبعاد الموضوع فيها، وتعتبر تفسيرا مبدئيا له (للموضوع أو للظاهرة قيد البحث) أي أنها تحمل مضامين التفسير فيها من خلال تحليل علاقاتها ومستهدفاتها لكي يتم التأكد من إيجابية الإثبات أو سلبيته أو بطلان الفرض بالنتائج المتوصل إليها. ويكون دور الباحث هو اكتشاف هذه الأبعاد وتبيانها للآخرين لأجل أن يعرفوا أهميتها وأهمية الفروض في تجميع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالات وبلوغ النتائج وتفسيرها، وذلك بالوقوف عن وعي على حقائق كانت مجرد افتراضات.

---

[10] آل عمران، الآية 156 .

[11] البقرة ، الآية 232.

الفرض العلمي هو الذي تكون من ورائه حكمة حتى تكون له دلالة ومعنى، ويكون له بعدا علميا ومنهجيا، ويحقق نتائج تهم الذين أجرى البحث من أجلهم.

ولأن الفروض احتمالية قد تصدق تخميناتها وقد لا تصدق، وبالتالي لا يعد العمل بها إلا في ضوء ما تحققه من نتائج، ولهذا يعتبر العمل بها مشروعا مبدئيا يقرره الباحث، ويصوغه بوضوح لكي يتمكن من تتبع خطوات منهجية منظمة تُمكِّنه من إثباته.

ومع أن للفروض أهمية كبرى تجعل الباحث ينتهج طريقا بحثيا عن وعيا وانتباه وتنظيم رفيع في أفكاره وتسلسلها العلمي والمنطقي، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون لكل بحث من البحوث العلمية فروضا. فإذا طلب منا القيام ببحث للتعرف على المراحل التي تمر بها أسعار السوق للمنتجات المحلية فإن ذلك لا يتطلب بالضرورة وضع فروض والتأكد منها، وهكذا في مجال البحوث الاستطلاعية والبحوث المسحية البسيطة.

توضع الفروض للتأكد من العلل والأسباب التي تكون وراء الظاهرة (قيد البحث) للوصول إلى معرفة الحقائق والعمل على تفسير نتائجها، واستنباط الحلول المناسبة لها.

وبما أن الفروض تتضمن في محتواها متغيرات، فإن المتغير الواحد قد يأخذ قيما مختلفة، ويمكن ملاحظة التغيرات التي تطرأ على قيمه أو السلوك المستهدف منه، وقد يأخذ المتغير الواحد قيمتين فقط كالنوع مثلا (ذكر أو أنثى). وحيث أن المتغيرات ألفاظ ورموز ذات دلالة بما تتضمنه من معاني ومعارف فتكون الفروض هي العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة والدخيلة والمتداخلة في مشكلة البحث أو إشكاليته.

فإذا افتراضنا إنه: (كلما ارتفع المستوى الثقافي، تحسن المستوى الصحي).

إذن هذا الفرض اشتراطي فإذا ثبت هذا الشرط كان الفرض صادقا، وإذا لم يثبت البحث تحسن المستوى الصحي بسبب ارتفاع المستوى الثقافي، فيكون الفرض خاطئا مما يدعوا إلى إعادة صياغته من جديد وحسب ما توصل إليه الباحث من نتائج. وكذلك إذا افترضنا أنه: (كلما ارتفع مستوى الدخل ارتفع مستوى التعلم). فإن هذا الفرض هو الآخر اشتراطي، أي أنه اشترط ارتفاع المستوى التعليمي بارتفاع مستوى الدخل، ولكن يجوز أن يثبت البحث بطلان هذا الفرض مما يجعلنا نقول ليس كل تخمين صادق (ليس كل فرض صادق) لأنه لو كان كل فرض صادقا لما كان لنظرية الاحتمالات وجود، وما كان بين أفراد المجتمع كاذبون أو صادقون أو أنهم على غير بيِّنة.

وتتضح الفروض عند الباحث باكتمال الإطار النظري الذي يستمد من النظريات العلمية وفقا لمجالات التخصص ولهذا يُعد الإطار النظري هو الخلفية العلمية التي تسند الإطار العملي أو المعياري بالحقائق والحُجج من مصادرها الفكرية والمعرفية التي تدل على وضوح الموضوع في ذهن الباحث أو الباحثين، ولهذا يستوجب على الباحث أن ينطلق من خلفية علمية واضحة، لكي يصوغ فروضه بدقة ووضوح متميزين وهو يؤسس قاعدة علمية متينة يستند عليها في تناول القضايا العلمية وفقا لأهداف بحثه وفروضه أو تساؤلاته الموضوعية.

فإذا قسّم الباحث بحثه إلى جزأين:

1 . جزء نظري.

2 . جزء ميداني أو معياري كما هو حال البحوث التي تخوض في مجالات القيم التي تُستخدم فيها المقاييس العلمية التي تسندها الوسائل الإحصائية وأساليب عرضها للمعلومات المحللة والنتائج المتوصل إليها.

ولذا فالبحث المتفرع إلى جزأين نظري وميداني أو عملي أو معياري ينبغي أن تكون صياغة فروضه مجسدة للعلاقة بين الإطار النظري والعملي أو المعياري أو

الميداني فعلى سبيل المثال: (كلما قل دخل الرجل قلت فرص العمل أمام المرأة). هذا الفرض قابل للإثبات وقابل للبطلان وذلك باستكمال البحث في الإطارين (النظري والعملي) فإن وصل الباحث إلى النتيجة الآتية: (إن فرص العمل تزيد أمام المرأة عندما يقل دخل الرجل). إذاً نتيجة البحث قد أبطلت الفرض، ولهذا ينبغي على الباحث أن يصوغ الفرض البديل الذي أثبت بالبحث. وهذا لا يعني أن البحث لا قيمة له بل أنه على الأهمية التي بها تم استبدال الفرض الرئيس الذي أبطلته نتائج البحث المتوصل إليها بالفرض البديل.

فتكون صياغة الفرض البديل الذي حل محل الفرض الرئيس على النحو الآتي: (كلما قل دخل الرجل كلما قلت فرص العمل أمام المرأة).

وعليه يصبح الفرض البديل بعد إثبات بطلان الفرض الأول الفرض الرئيسي أو الأساسي في البحث، وظهور مثل هذا الفرض لم يكن غريبا بل إنه مألوف في العلوم بشكل عام طبيعية والاجتماعية وإنسانية. ولذلك يُعد البحث الميداني في مثل هذه الحالة هو تصحيح لفرض نظري. ونحن سبق وأن قلنا أن الفرض هو تخمين مبدئي، ولن يكون نهائيا إلا بعد تجميع البيانات وتحليلها والوصول إلى نتائج واضحة ومحددة.

ولذا فإن أساليب البحث من حيث الهدف تنقسم كما يقول الدكتور سمير نعيم إلى قسمين:

القسم الأول:

"يهدف إلى التحقق من صدق أو خطأ فرض معين، ويتضح هذا النوع في الأسلوب التجريبي.

القسم الثاني:

ويهدف إلى التوصل لفرض يمكن التحقق منه في دراسة تالية أو لوصف حقائق قائمة"[12].

ويتضح هذا النوع في الأسلوب الاستطلاعي والوصفي، إلا أن إتباع المنهج التاريخي يُمكِّن الباحث من الاستفادة من هذين الأسلوبين الواردين في القسم الأول والثاني.

الفرض العلمي يعتبر مقدمة من مقدمات القياس، ونقطة البدء في كل برهنة وتحليل، وهو المنبع الأول لكل معرفة، أي الفرض هو الذي يستخدمه الباحث في تقصي الحقائق[13]. إذن الفرض هو الذي يرشد الباحث إلى أهدافه ويسترشد به في تبيان الحقائق من خلال انتظام البحث المؤسس على الفروض الموضوعية، فالفرض هو الذي يحمل البحث في أحشائه فمن الفروض تولد البحوث وتستمد القوة والرصانة، ومن البحوث تستنبط الفروض والتساؤلات، وهكذا كل بحث جديد يصبح قديما باكتماله وخروجه إلى حيز الوجود، مما يجعل بحوثا أخرى قد تترتب عليه من أجل استكمال جوانب أخرى تتعلق به، أومن أجل دحضه بالحقائق الجديدة، أو نتيجة إثارته لقضايا هامة قد تستفز باحثين آخرين في مجاله، أو في مجالات أخرى.

إذن الفرض هو الخيط المنظم للبحث، وينتسب الفرض للبحث كما ينتسب الخيط للمسبحة، أي لا تنتظم حبات المسبحة مع بعضها البعض ولا تظهر في شكل منظم ما لم تنتظم في خيطها اللائق بها، والذي بدونه تصبح حبات المسبحة متناثرة لا علاقة بينها. هكذا البحث لا يمكن أن تكون له وحدة بنائية تُظهِره في

---

[12] سمير نعيم ، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية . القاهرة : المكتب العربي للاوفست ، الطبعة الخامسة ، 1992 ، ص 132 .

[13] عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعي . القاهرة : مكتبة لأنجلو المصرية، 1975 ، ص 160 .

شكله اللائق به وتميزه عن غيره من البحوث الأخرى ما لم تكن له فروض خاصة به.

ولهذا، الفروض هي التي تُظهر وحدة البحث، والتي بدونها يكون الباحث مشتت الأفكار والمعلومات، فالفرض هو الذي يتمحور البحث عليه من البداية إلى النهاية بإطاريه النظري والميداني أو المعياري. ويعتبر الفرض بالنسبة للباحث كالضوء بالنسبة لسائق السيارة ليلا، فالفرض هو الذي ينير طريق الباحث اتجاه أهدافه كما ينير الضوء طريق السائق تجاه غاياته وهو يشق الظلمة، ويعتبر الفرض تفسيرا مبدئيا للظاهرة أو المشكلة أو الإشكالية (موضوع البحث) من خلال الأفكار التي استوعبها الباحث عن الموضوع، والرؤية التي يعتقد أنها تبرهن على علله وتحقق أهدافا محددة على الوضوح.

وهناك صيغتان أخريتان لصياغة الفروض هما:

1 . **صيغة الإثبات:**

وهي التي تثبت وجود علاقة موجبة أو سالبة بين المتغيرات الرئيسية في البحث، كأن يفترض الباحث: (توجد علاقة قوية وإيجابية بين الإدارة والإنتاج). فهذه صيغة الموجب. أمَّا صيغة الإثبات السالب تنص على: (وجود علاقة سلبية بين الإدارة والإنتاج).

2 . **صيغة النفي:**

وتصاغ بأسلوب لا يثبت علاقة موجبة ولا سالبة، بل ينفي وجودها على الإطلاق بين المتغيرين الرئيسين في البحث، كالصيغة التي تنص على الآتي: (لا توجد علاقة بين أسلوب الإدارة الذاتية، وأسلوب الإدارة الحكومية).

هذه فروض مبدئية يجوز أن تثبت مصداقيتها ويجوز أن لا تثبت فتنفى، فإذا ثبتت كانت الفروض صادقة وإذا لم فإنها لن، مما يجعل الباحث يعمل على تغييرها واستبدالها بالفروض البديلة.

أهمية الفروض:

مع أن الفروض لم تكن مسلمات إلا أنها تتضمن دلائل علمية وتفاسير للموضوع تبرهن عن اهتمامات وقدرات جادة في البحث العلمي المنظم ومن أهمية الفروض الآتي:

1 . إنها القاعدة الأساسية لتحديد أبعاد البحث والتي يعتمد عليها الباحث في تفاسيره وتحاليله العلمية، والتي يبني عليها البحث بشكله النهائي.

2 . تعتبر الفروض المُرشد الأساسي للباحث تجاه المنهج والأدوات أو الوسائل التي ينبغي استخدامها في الميدان أو المعمل، الذي يمكن أن يختاره ويساعده على تحقيق أهدافه.

3 . تُعبر الفروض عن وضوح البحث في ذهن الباحث وتشير إلى فهم متغيراته.

4 . وضوح الفروض في ذهن الباحث دليل على وضوح أهداف بحثه.

5 . تشكل الفروض وحدة البحث وترابطه العلمي والمنطقي وعدم تشتته.

6 . تبين الفروض اتجاهات البحث والباحث والتي تنضح بشكل نهائي عند إتمام البحث بصورته الشاملة.

7 . تربط الفروض المبادئ بالأهداف، من خلال ربطها المعطيات بالنتائج.

8 . تستمد الفروض من أهداف البحث التي تم استمدادها هي الأخرى من مشكلة البحث.

9 . تُعد الفروض هي المستوعب لفلسفة البحث والمحققة لأهدافه.

مصادر الفروض:

تتعدد مصادر الفروض نتيجة تأثرها بالمناهل التي تؤخذ منها ومن هذه المصادر الآتي:

1 . مجال التخصص: كلما كان الباحث ملما بمجال تخصصه ومتابعا لكل جديد يصدر عنه من بحوث ودوريات كان على وعي وانتباه بخفاياه وأسراره التي تستوجب البحث من الحين إلى آخر، وتولد عنده الجديد.

2 . الإطلاع المتعمق: كلما زاد إطلاع الباحث زادت علومه وكلما زادت علومه زادت معارفه، وكلما زادت معارفه زادت خبراته وقدراته واستعداداته التي تؤهله للتجديد العلمي.

3 . ميادين العمل: قد يتعلم الباحث علوما نظرية يستفاد منها علما وثقافة، ولكن قد يستفيد بالمثل أو أكثر من ميادين العمل التي تزوده بمعارف جديدة وخبرات جديدة تساعده على البحث وزيادة المعرفة المنسقة وتثير فيه روح التجديد والتوليد العلمي.

4- التأهيل والتدريب: كلما تأهل الباحث أو تدرَّب على مجالات جديدة اكتسب خبرة أو ألم بعلم يطور به قدراته ومواهبه التي بدورها تولِّد عنده رغبة التطلع إلى الجديد والبحث عنه.

5 . الإطلاع العام: سواء من خلال وسائل الأعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية وشبكات المعلومات المتطورة، أو من خلال حضور الندوات والمؤتمرات العلمية، أو من خلال القراءة الحرة واهتمامات الباحث فكل هذه عوامل مثيرة للأفكار والجدل الهادف والبناء ومحفِّزة للبحث العلمي.

6 . الأحداث والظواهر: مع أن المعرفة العلمية منسَّقة ومنظَّمة إلا أن للصدف دورا هاما في إثارة الانتباه وشد أنظار المفكرين والمهتمين التي بدورها تدفعهم لإمكانية التعرف على عللها وأسبابها وخفاياها وذلك من خلال اكتشاف العلاقة بين متغيراتها.

7 . خيال الباحث: نظرا لوجود فروق فردية بين الأفراد من حيث القدرات والاستعدادات والمواهب والمهارات، فيظهر من بينهم المبدعين والمخترعين ذوي الاكتشافات الجديدة فخيال الإنسان لا سقف يحده عن التفكير ولذا فإن خيال

الباحث قادر على أن يتصوَّر وأن يُثبت ما يتصوره للآخرين بالبرهان العلمي عندما تكون خيالاته ثاقبة وهادفة ومنسقة وقادرة على أن تحدد أهدافا وتصوغ فروضا.

شروط الفروض العلمية:

حتى لا يحدث الخلط بين ما هو علمي وبين ما هو غير علمي ينبغي أن تُراعي اشتراطات العلم عند صياغة البحاث للفروض ومن أهم هذه الاشتراطات الآتي:

1 . ألا يكون الفرض متعارضا مع القوانين الطبيعية والمسلمات البديهية التي يحتكم الناس إليها.

2 . أن تكون الفروض قابلة للإثبات من خلال تقصي معطياتها وتحليلها وتفسير نتائجها وألا تكون خيالية غير قابلة للقياس والتأكد العلمي.

3 . أن تكون واضحة اللغة والمدلول والمصطلح والمفهوم، ولا لبس فيها حتى لا يصاحبها الغموض.

4 . أن تصاغ بإيجاز، وتكون لها دلالة فالقضايا العلمية لا تتطلب الحشو والتعبير الزائد الذي بأسبابه يضيع الوقت والجهد مع فقدان الفائدة من ورائها.

5 . أن ترتبط الفروض بما سبقها من معارف سواء لإثباتها أو لنفيها وعرض البديل أو الجديد عنها فالعلم قوانين ونظريات مما يستوجب الانتباه إليها حتى لا يقع الباحث في منزلقات خاطئة.

6 . ألا تكون الفروض متناقضة من أجل الوصول إلى أهداف واضحة ومحددة.

7 . يفضل ألا يقتصر البحث على فرض واحد فكلما كان أمام الباحث عددا من الفروض الموضوعية كلما فتح مجال البحث أمامه.

8 . كثرة الفروض قد تجعل البحث مشتتا وتميل به عن التمركز على متغيرات البحث ذات العلاقة.

وبعد أن استعرضنا هذه الشروط كما استعرضها غيرنا من قبلنا، يحق لنا أن نتساءل:

هل هذه الشروط تُعدُ سقفا أمام تفكير الباحث الذي نحن نعارض وجوده (أن يوضع أمام الباحث سقفا)؟ أمْ أنها نقاط انتباه ترشده إلى ما يسعى إلى الوصول إليه علميا؟

الفرق بين الفرض والافتراض:

الفرض:

. الفرض يؤسس على واقع.

ـ الفرض يؤسس كما سبق تبيانه على معرفة جزءا من الحقيقة ويبحث عن الجزء المفقود منها.

. الفرض لا يكون إلا عن واقع تدعمه الشواهد.

. الفرض العلمي أمر واقع لا مناص منه، وذلك بتوفر جزءا من الحقيقة شاهدا بين يدي الباحث وفقدان جزءا منها.

. الفرض يُطلق على ما لا يُستغنَى عنه أو ما لا يجوز تركه.

. الفرض صياغة احتمالية لوقوع الشيء في دائرة الممكن المتوقع.

ـ الفرض هو تصور لأمر ما أو فكرة أو قضية ما ووضعها أمام التفحص والتتبع والتقصي الدقيق لمعرفة صدقها أو خطئها أو استحالة وقوعها، وإن وقعت فما هو المترتب عليها سلبيا أو إيجابيا.

ـ الفروض قابلة للإثبات والنفي باجرات البحث العلمي، وقابلة للاستبدال في حالة رفضها أو إثبات عدم صحتها.

. الفرض قضية مصاغة في متغيرات يُستدل بها على الجديد المفيد.

. الفرض يرتبط بالموضوع ولا يصوغه إلا باحث.

الافتراض:

. الافتراض لا يؤسس على الحقيقة، بل هو مجرد افتراض.

ـ الافتراض لا دليل لـه علـى أرض الواقـع ولهـذا يصـاغ كمثـال لأجـل التفسـير أو لتبيان وجهات النظر.

. الافتراض لا يُحمِّل الباحث أي عبئا بحثي ولذا فهو كوحدة واحدة لم يقع شيئا منـه ولكن لمجرد الافتراض.

. الافتراض يجول في عالم الخيال.

. الافتراض هو ما يستغنى عنه ولا يؤثر على مشكلة البحث ولذا فهو يطلق على ما يُترك.

. الافتراض ضرب مثال.

. الافتراض متغيراته لا تصاغ على قضايا بقدر ما تصاغ على معطيات مجرة في ذهن مفترضها.

. الافتراض لا يؤدي إلى إضافة الجديد، ولكنه صوغ تكراري يتردد على الألسن.

. الافتراض يرتبط بالأنا وكل إنسان يمكن أن يصوغه كما يتراء له.

تساؤلات الباحث العلمي:

التساؤل: question استفسار استغرابي في مضمونه حيرة وتعجب، وتكون النتائج المترتبة عليه اكتشافية تضيف الجديد، كما هو الحال عند نوتن الذي تساءل عندما شاهد التُفاحة تسقط من الشجرة بقوله: (لِما لا تصعد التُفاحة، لِما لا تصعد التُفاحة) حتـى تمكَّن مـن اكتشـاف قـانون الجاذبيـة. ويتضـح الاسـتغراب ألتسـاؤلي فـي قولـه تعالى: {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سُطحت فذكر إنما أنت مذكر}!!. وقوله تعالى في سورة يونس صلى الله عليه وسلم: {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين!!}. وقولـه تعالى في سورة هود صلى الله عليه وسلم: {أنلزمكموها وأنتم لها كارهون}!!.

التساؤل لا يلاحق الإجابة كما هو حال السؤال، بل يسعى لمعرفة الجديد الذي لم تسبق معرفتـه. فالتفاحـة وسقوطها علـى الأرض عُرِفَ بالمشـاهدة المباشـرة، ولكـن

القانون الذي على أساسه تسقط التفاحة على الأرض بالضرورة هو الذي ترتبت معرفته بعد تساءل نيوتن: (لِما لا تصعُد التفاحة إلى أعلى)!!

وتأخذ التساؤلات الأوجه التالية:

1 . في الأمور العظيمة التي يكون فيها الاختلاف والاستغراب. مصداقا لقوله تعالى في سورة النبأ: {عمّ يتساءلون، عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون}.

2 . عندما يكون موضوع البحث جديدا بالتمام. كما هو حال نيوتن والتفاحة.

3 . في البحوث النظرية أو المكتبية. كما هو الحال في البحوث الفكرية والفلسفية التي تجرى في الدراسات العليا.

وتصاغ التساؤلات على الكيفية الآتية:

. ألا يكون ارتفاع مستوى الطلاق على علاقة ضعيفة بارتفاع مستوى التعليم.

ـ ألا يكون ارتفاع مستوى الأداء المهني على علاقة قوية وموجبة مع ارتفاع مستويي التعليم والتدريب.

ـ ألا تكون قوة علاقة الأم الموجبة بعملها تُضعف علاقاتها مع أبنائها وتجعلها سالبة.

. ألا يكون للأزمة المالية العالمية التي هزت بنوك العالم وشركاته العملاقة معطيات إذا ما تكررت أحدثت أزمة اقتصادية عالمية تعيد الاستعمار للبلدان الأضعف قوة من غيرها.

ـ لِما لا تُتخذ احتياطات تحقيق السلامة والآمان للمواطنين فيما إذا تكرر إعصارا كإعصار كاترينا في أمريكا، أو غضب الطبيعة كما الحال في سونامي باندونيسيا، والإعصار الذي ضرب أجزاء من عُمان وإيران 2007م.

ـ لأجل سلامة المواطنين من الغارات الحربية والهزات الأرضية المفاجئة لِما لا تصدر قوانين تستوجب بناء مساكن آمنة وفقا للمواصفات الفنية وأن يكون من بينها طابقا للسلامة تحت الأرض؟

ولأجل معرفة المزيد في هذا المضمار العلمي علينا أن نميِّزَ بين مستوجبات صياغة الفروض وبين مستوجبات صياغة التساؤلات.

صياغة الفروض:

تصاغ الفروض عندما يكون جزءا من المعلومة مُتعرِف عليه من قبل الباحث وجزا آخر منها غير متعرف عليه (غائب)، فيصوغ الباحث فروض بحثه بما يُظهر العلاقة المفترضة بين المعلومة (المعلومة) والمعلومة (الغائبة).

صياغة التساؤلات:

لإجراء البحوث العلمية تُصاغ التساؤلات في حالة غياب المعلومة كاملة كما هو حال نيوتن وعدم صعود التفاحة إلى أعلى وهي تسقط من الشجرة، فكانت نتيجة البحث في ذلك التساؤل (لِما لا تصعد التفاحة من شجرتها إلى أعلى بدلا من أن تسقط منها إلى أسفل)؟!

كانت نتيجة البحث التعرف على الجديد وهو (قانون الجاذبية).

ولكي لا يختلط الأمر لبسا وغموضا بين مفهوم واستخدامات التساؤل كما تم إيضاحه وبين مفهوم واستخدامات السؤال نقول:

السؤال: question

السؤال هو صيغة لغوية ذات أدوات استفهامية عن معارف سابقة، وبه تستدعى الإجابات مما يجعل الإجابة دائما سابقة على السؤال ويجعل السؤال دائما في حالة ملاحقة للإجابة.

وعند عامة الناس اعتقادا سائدا في غير مكانه بأن السؤال دائما يسبق الإجابة، وهذا الأمر غير صحيح، فلو لم تكن الإجابة سابقة معرفيا ما كان السؤال عنها. ولذا لا سؤال إلا بعد معرفة، وإلا هل هناك من يسأل عن من لا يعرفه، أو عن مالا يعرفه؟. ولهذا يتم التعليم أولا حيث تُعطى المعلومات والمقررات والمحاضرات تم بعد ذلك تجرى الامتحانات فتصاغ الأسئلة وفقا لِما تم إعطائه للتلاميذ والطلبة

أو المتعلمين والمتدربين بشكل عام. وهكذا أمام ربنا جل جلاله لن نسأل يوم القيامة عن شيء لم نُعلم به في الدار الدنيا، ولهذا بعث الله تعالى الرُسُل مبشرين ومنذرين ومحرِّضين على أفعال الخير والإحسان وناهين عن أفعال الشر وما يُفسد الأخلاق، فمن يرتكب مخالفة أو يقترف ذنبا أو يشرك بالله أو يكفر به سيسأل على ما فعل يوم القيامة ويحاسب بأسبابه، قال تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[14].

وقال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}[15].

وعليه فالسؤال لا يأتي بالجديد، بل يُعيد ما سبق وإن قيل أو فُعِلَ أو أعطي أو طُبِعَ ونُشِرَ في دوائر المعرفة الواسعة، ومع أن المعلومة (الإجابة) تسبق السؤال، إلا أن التعرُّفَ عليها قد لا يتم، أو لا يتم التوفيق في عمليات استدعائها من قِبل الذي أعطيت له عندما تَدخُلَ دهاليز النسيان، أو عندما لا تكون في مستوى القدرات المتلقية والداعية لها.

إذاً من يصوغ أسئلة لبحوث علمية بغرض نيل إجازة عالية أو دقيقة فهو لن يأتي بالجديد، ويكون قد خلَّ بشرط أساسي لنيل الإجازة العالية أو الدقيقة. فالسؤال كما سبق أن بينَّا يلاحق إجابة سابقة عليه. أما البحث فينبغي أن يضيف شيء جديد، أو يأتي بالجديد المفيد، أو يسهم في التطوير والتجديد النافع. وهذا لن يتأتى إلا بفروض أو تساؤلات علمية متطلِّعة للمستقبل.

وعليه فإن التساؤل لغة غير السؤال من حيث:

---

[14] الأنبياء 23.

[15] القيامة 1 . 15.

ـ التساؤل بالهمزة ففي قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}[16] .

فهنا نجد الهمزة تدل على التساؤل لأن القرائن اللفظية في سياق النظم تدل على إجابات متعددة ومختلفة، وذلك أن:

منهم من آمن ومنهم من كفر.

فيبنى على ذلك قناعات مختلفة يترتب عليها إجابات مختلفة لتعدد القرائن الموضحة للتساؤل:

على بينة من ربي.

عمّيت عليكم.

ربه غير ربهم.

فاختلاف القناعات المبني على اختلاف المفاهيم القائم على اختلاف الثقافة أدى إلى اختلاف الإجابة، ولأن الإجابات ستكون مختلفة لم نقف في الآية على جواب، وهنا تُرك التساؤل على مائدة الحوار للبحث والمناقشة لأنه يرقى إلى مستوى القضية التي تحتاج إلى الأدلة والبراهين من كلا الطرفين لتقرير الإجابة المنطقية، ولذا حكمنا على التساؤل بأنه قضية.

ففي الآية الكريمة لم تنتفِ الإجابة، وإنما كانت تحمل ضمناً إجابات تضاربت في الاختلاف، لذلك وجب الدخول في حوار مشترك بين المختلفين للاتفاق على إجابة واحدة وهذا هو الفرق بين السؤال والتساؤل، إذ أن السؤال إجابته معروفة واحدة بالإيجاب والموافقة أم بالسلب والنفي، بينما يحتاج التساؤل إلى الدخول في حوار يرقى أحياناً إلى الجدل من أجل الوصول إلى معرفة وبيِّنة من قِبل المتحاورين في طرح التساؤل.

---

[16] – هود 28

والنقطة المهمة بهذا الصدد أن السؤال يُرجى منه إجابة، بينما التساؤل يُطرح البحث من أجل الوصول إلى المعرفة، ولذا يصبح التساؤل قضية.

ولأن التساؤل:

قد لا يقتصر على مبحثٍ واحدٍ.

أو أن معرفته محفوفة بالغموض.

أو أن معرفته مجهولة بالتمام.

ولذا فهو استغرابي المفهوم والدلالة مما يستوجب البحث حتى يكون التبيُّن عن دراية ومعرفة موضوعية.

إذا التساؤل أوسع من السؤال وأعم منه وأكثر فائدة من الجانب المعرفي لأنه يستدعي احتمالات كثيرة قائمة على تعدد المفاهيم الناشئة عن اختلاف مصادر الثقافة والعلوم سواء أكانت علوم الاجتماعية والإنسانية أم علوم طبيعية وطبية.

وغالباً ما يكون التساؤل مسبوقاً (بما) الاستفهامية، لأن الجملة المستفهم بها التي تلي (ما) تكون احتمالات الإجابة فيها كثيرة، ذلك أن الاستفهام (بما) يكون عن أشياء مجهولة الماهية والحقيقة لأنها تتأرجح بين:

الصدق والكذب.

الظن واليقين.

العلم والجهل.

الحق والباطل.

ولأن الأشياء التي ينصبّ عليها التساؤل تكون غير معروفة لذا لا يُحتمل الجزم في الإجابة عن التساؤلات التي منها:

قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ}[17].

وقوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}[18].

---

[17] – المطففين 8– 9

وقوله تعالى: {الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}[19]
وأمّا قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}[20].
فلم يقل عمّ يسألون، وإنما يتساءلون لجهلهم بالإجابة، والإجابة لا تكون إلا بالبحث، أو يجيب علاّم الغيوب عن النبأ العظيم الذي اختلفوا فيه.
وإن كان التساؤل أُردف بإجابة هي: (النبأ العظيم) إلا أن هذه الإجابة ليست إجابة مفردة، فالنبأ العظيم هو قضية كبرى تتضمن الأحداث الكونية التي شاءها الله أن تكون من الخلق والموت والبعث والنشور والحساب والعذاب والعقاب والجزاء والجنة والنار، وكل واحدة من هذه المفردات قضية بحد ذاتها تحتاج إلى نقاش وحوار وجدل وبحوث ودراسات من أجل الوصول إلى معرفة شافية تصل بالمتسائلين إلى حقيقة واحدة، ولذا أخبر عن حال المتسائلين عن النبأ العظيم بأنهم مختلفون في فهم النبأ وحقيقته وماهيته والمراد منه ولذا وقع التساؤل.
ومن جانب آخر فإن التساؤل يكون موضع اشتراك بين اثنين أو أكثر بصرف النظر عن ماهية هذين الاثنين لأنه قد يكون:
1 . بين الإنسان ونفسه:
وذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[21]. صحيح أنها تُسأل، ولكنها لا تعرف الإجابة فتتساءل بينها وبين نفسها.
وكذلك قوله تعالى: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا}[22].
2 . بين الإنسان وعقله:

---

[18] – البلد 12
[19] – القارعة 1– 3
[20] – النبأ 1– 3
[21] – التكوير 8– 9
[22] – مريم 66

كتساؤلات إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما رأى الكوكب والقمر والشمس للوصول إلى حقيقة الربوبية.

3 . بين الإنسان والحقائق:

كتساؤل نيوتن عندما شاهد التفاحة تسقط إلى الأسفل ولم ترتفع إلى الأعلى.

4 . بين إنسان وإنسان:

قال تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا}[23] .

5 . بين أناس كثيرين:

قال تعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}[24] .

ولهذه المعطيات خرج التساؤل من القصور على (الأنا) إلى الموضوع الذي يحتاج إلى أكثر من شخص من أجل الوصول إلى المعرفة الواعية والوقوف عليها، وذلك لعدم الدقة في الإحاطة بأركان الإجابة من جهة، والجهل بما يطرحه التساؤل بداية من جهة أخرى قبل النقاش والبحث والاطلاع على آراء الآخرين التي غالباً ما تمثل تقديراً ظنياً للحقيقة في الرأي الفردي، حيث نلمس من خلال التساؤل الحيرة التي تنتاب الآراء من أجل الوصول إلى المعرفة العلمية الواعية تكون مقنعة أو مرضية وهي أقرب إلى الحقيقة منها إلى الظن وذلك أن:

بعض القضايا نتوصل فيها إلى عين الحقيقة.

البعض الآخر نقارب به الحقيقة.

ويوضح ذلك قوله تعالى: {فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}[25].

---

[23] – الكهف 37

[24] – الطور 52

فأصحاب اليمين من أهل الجنة سألوا أنفسهم وسأل بعضهم بعضاً أو سألوا أهل النار عن السبب الذي جعلهم يسلكون في سقر.

فقد ذكروا أسباباً ولم يجدوا إجابات، ولهذا بقي التساؤل قائماً، لأن التساؤل بحاجة إلى من يبحث ويفكر للوصول إلى القوانين التي نتجت عنها تلك الأسباب.

ولما كان السؤال مشتركاً بين أكثر من اثنين أصبح هناك تداخل في الأسئلة وتحول ذلك إلى تساؤل واشتراك في معرفة الأسباب من أصحاب اليمين.

ولما كان دخول المجرمين النار لأكثر من سبب كان هناك أكثر من إجابة.

ولما تعددت الإجابات لتعدد الأسباب وجب أن يكون تساؤلاً وليس سؤالاً.

ولما كان المجرمون من أمم مختلفة وجب أن يكون تساؤلاً.

ذلك أن الذين يسلكون سقر منهم مجرم ومنهم من أجرم، وعلى هذا يلج النار من المسلمين والكفار على حدّ سواء، وهنا يكون التساؤل لازماً، لأن الكفار معلوم أنهم يدخلون النار، ولكن عندما يروا بينهم من المسلمين قد ولجوا النار مع الكفار فمن البديهي أن يقع التساؤل وينتفي السؤال.

وأمّا السؤال فإنه أبسط من التساؤل وأسهل منه لأنه لا يحمل قضية وإنما يحتمل الإجابة:

1- سلباً:

قال تعالى: {إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ}[26].

أي: لا يهلك غيرهم.

2- إيجاباً:

قال تعالى: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[27].

---

25 - المدثر 40- 46

26 - الأنعام 47

أي: نعم يستطيع.

3- نفياً:

قال تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}[28]. أي: لا أدري.

4- إثباتاً:

قال تعالى: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ}[29].

أي: علمنا وأقررنا.

5- إخباراً:

قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}[30].

وكثيراً ما يرد التساؤل بصيغة السؤال، ولكنه يخفى ذلك على كثير من أهل البحث والدراسة فيساوون بينهما بدلالة حرف الاستفهام دون الالتفات إلى القرينة التي تميز أحدهما عن الآخر ومثال ذلك قوله تعالى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[31].

فمن أجاب (بنعم) فقط أخطأ.

ومن أجاب (بلا) فقد جانب الصواب.

ذلك أن الحرف (هل) يطرح تساؤلات من خلال القرائن السابقة واللاحقة.

فالقرينة الأولى أنهما فريقان، وكلا الفريقين يحمل ثقافات وعلوم وعقائد وآراء يمكن أن تكون على الآتي:

---

[27] – المائدة 112

[28] – الأحزاب 63

[29] – يوسف 89- 90

[30] – الكهف 83

[31] هود 24

. متداخلة.

. متناقضة.

. متضاربة.

. مختلفة.

. متنوعة.

. متعددة.

. متباينة.

وذلك بدلالة وصف كل منهما بوصف مغاير للآخر إن لم نقل على نقضيه لأن:
أحد الفريقين كالأعمى والأصم.
الفريق الآخر كالسميع والبصير.
ووفق هذه المعطيات لا يمكن أن تفي إجابة سؤال عن هذه القضايا، لأن ذلك يتطلب بحثاً نستطيع من خلاله أن نصل إلى معرفة وافية عن أحوال كلا الفريقين والمفردات الوصفية من العمى والصمم والسمع والبصر وما يترتب عليها من معطيات نقف من خلالها على نتائج معرفية تجيب عن تساؤلات مجتمعة في قضية واحدة يظن البعض أنه قد سُئل عنها (بهل)الاستفهامية التي تدل على السؤال لأنه أهمل القرائن.
ثمّ بعد ذلك جاءت القرينة التي ختمت بها العبارة (الآية) أفلا تذكرون، وعملية التذكّر التي جاءت بصيغة الجمع تحتاج إلى تذكّر جماعي، أي عملية بحث جماعي في ذاكرة المتذكرين، وعملية البحث هذه، هي محاولة الوصول إلى معرفة حقيقة كل مفردة من القرائن السابقة لسد الثغرة التي طرها التساؤل (بهل).
ومثل ذلك قوله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[32].

[32] – الزمر 9

فإن أجاب أحد (بنعم) نقول له كيف؟
وإن أجاب (بلا) نقول له لماذا؟
وإن قال لا أدري! فقد وجب البحث.
والجواب الذي يتبعه سؤال آخر، دليل على أن الإجابة غير وافية لأننا إن توصلنا إلى معرفة الأسباب، فقد غابت عنا النتائج، ولذا وجب البحث عن القضية التي يطرحها التساؤل.

تحديد مصطلحات البحث العلمي:

المصطلح هو اللفظ المتعارف عليه دلالة ومعنى، وهو الذي لا يتقيد بتعريف مطلق مما يجعل لكل تخصصٍ واهتمامٍ خاصيَّة تميزه عن غيره من التخصصات والاهتمامات، ولهذا يجب على الباحث أن يحدد مصطلحات بحثه الرئيسة التي تتضمنها الأهداف والفروض أو التساؤلات المستمدة من الموضوع قيد البحث.

ولذا فالمصطلح ذو مفهوم عام يستوجب التحديد، فعلى سبيل المثال: كلمة مجتمع ذات مصطلح عام فأي مجتمع أعني؟

. هل هو مجتمع المدينة؟
. أم انه المجتمع القروي.
. أم انه المجتمع الأوربي.
. أم أنه المجتمع الماركسي.
. أم أنه المجتمع الرأسمالي.
. أم أنه المجتمع الإسلامي.
. أم أنه المجتمع العربي.
. أم مجتمع قبيلة من القبائل العربية.
. أم انه مجتمع المطلَّقين المستهدفين بالبحث.

ـ أم أنـه مجتمـع الـذين يعـانون مـن تأزمـات علائقيـة فـي مجتمـع مـن المجتمعـات البشرية.
ـ أم أنـه مجتمـع البحـث فـي مجـال مـن مجـالات التعلـيم أو ميـادين السياسـة أو الاقتصاد والثقافة.
. أم أنه مجتمع آخر لباحث آخر في خصوصية صغيرة أم كبيرة.
ولهذا فإن مصطلح (مجتمع) ذو مفهومٍ عامٍ إن لم يحدده الباحث يجد نفسه أمام النقَّاد على اللبس والغموض الذي لا يليق بالبحث العلمي الذي يعتمد على تحديد المصطلحات حتى لا يعلق بأذهان القراء لبس أو غموضٍ.
وهكذا كلمة (هجرة) هي الأخرى ذات مفهوم اصطلاحي عام، فأي هجرة أعني؟
. هل هي هجرة داخلية من القرى والواحات إلى المدينة؟ وأيي مدينة أعني؟
. هل هي هجرة عكسية من المدن إلى الدواخل؟ وأيي مدينة وأيي دواخل أعني؟
. هل هي هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام والذين معه من مكة إلى المدينة؟
. هل هي هجرة من الخارج إلى الداخل؟ أم أنها هجرة من الداخل إلى الخارج؟
. أم أنها هجرة الأسماك من المياه الباردة إلى المياه الدافئة.
. أم أنها هجرة الطيور الموسمية، وأيي طيورٍ؟ وأيي موسمٍ؟
. أم أي هجرة أخرى أعني؟
ومع أن كثيرٍ من المصطلحات هي محدَّدة ومُعرَّفة من قبل البحاثة إلا أن كثيرا منها يحتاج إلى إعادة تحديد وتعريف وفقا لإشكاليات البحوث وخصوصية كل منها في الظرف الزماني والمكاني، ولهذا تتطور العلوم والمعارف وتتجدد وتتغير إلى الأفضل.
وعليه مع أن عموم الناس يعرفون المصطلح العام لكلمة (مجتمع وكلمة هجرة) إلا أنَّ خصوصية كل بحث لا تعتمد في بعض الأحيان مثل هذه المصطلحات العامة إلا إذا كانت مشكلة البحث ومتغيراته البحثية تستوجب ذلك وتستهدفه.

إذا يمكن لأيي باحث أن:

1 . يعتمد مصطلحا قد سبق لباحث أخرى تحديدها.

2 ـ أن يخالف بموضوعية تحديد مصطلح من المصطلحات التي سبق أن حُددت من قبل غيره من البحاث أو المؤلفين الكرام.

3 ـ أن يصوغ تعريفا إجرائيا يحدد فيه مصطلحات بحثه وفقا لكل متغير من المتغيرات المستقلة أو التابعة أو المتداخلة في حالة لم يعتمد مصطلحا أو تعريفا سابقا في ميادين العلم والمعرفة الواسعة.

ولذا فإن تحديد المصطلحات يستوجب الآتي:

1 . أن يحدد المصطلح العلمي لغة: من حيث تأصيل الكلمة بقواعد اللغة التي بها يُكتب البحث.

2 . أن يحدد مفهوما: من حيث الدلالة والمعنى الذين تمتد أبعاد الكلمة إليهما أو فيهما، وذلك بما يُظهر الغايات من وراء إنجاز أهدف البحث.

3 . أن يحدد إجرائيا: من حيث قبول المصطلح لأن يتجسد أو ينعكس في السلوك والعمل والفعل.

ويقصد بتحديد المفاهيم تبيان ما تعنيه من مقاصد، وتوضيح ما تتضمنه من معان، وما تظهره من صفات.

ويتضح المفهوم عندما يعقله الإنسان، ويميزه عن غيره الذي يشترك معه في الصفات. فكلمة (شجرة) على سبيل المثال تشير إلى جميع الصفات التي تشترك فيها الأشجار، ولكن أية شجرة أعني بذلك؟

. هل أعني بها شجرة الصنوبر؟

. أم شجرة التفاح.

. أم شجرة التين.

. أم شجرة الأرز.

. أم أيي شجرة أخرى؟

وهل أعني تلك الشجرة وهي مخضرَّة في فصل الصيف؟ أم أعني بها تلك الشجرة ذات الأوراق المتساقطة في فصل الشتاء؟

وإن كانت تلك الشجرة هي شجرة الليمون، فإيي نوعٍ من أشجار الليمون أعني؟

وهكذا إذا تناول الباحث السلطة بالبحث العلمي، فأيي سُلطة يعني؟

. هل هي السلطة الأبوية؟

. أم السلطة القبلية.

. أم السلطة القضائية.

. أم السلطة التشريعية.

. أم السلطة التنفيذية.

. أم السلطة العسكرية.

. أم سُلطة مؤسسة من المؤسسات.

. أم سُلطة القانون.

أم أية سُلطة؟

ولهذا يستوجب على الباحث أن يحدد مفاهيمه من أجل إزالة أيي لبسٍ قد يعلق بذهن المستمع أو المطلع، وذلك لأن المفهوم الواحد قد يحمل أكثر من معنى ودلالة، وبما أنه يحمل أكثر من معنى ودلالة، إذا الغموض يحفه من كل جانب. وعليه يحدث الاختلاف بين المتجادلين والمتحاورين أحيانا لا لشيء إلا لعدم وضوح المفاهيم المستعملة في الحوار، مما يجعل نقاشهم خارجا عن الموضوع، ويجعلهم يتخبطون في هوامش الحديث بين العموميات.

ولكي لا يقع الباحث وبحثه في هذا اللبس عليه بتحديد مفاهيمه بوضوح ودقة.

ويهدف الباحث من تحديد المفاهيم إلى توصيل المعلومات بوضوح للقارئ، أو للمستمع، ليساعده على فهمها واستيعابها، وربطها مع غيرها من المفاهيم السابقة ذات العلاقة.

وتتضح المفاهيم أكثر كلما اتضح المقصود من ورائها وتكون المفاهيم أكثر وضوحا عندما تحمل كلماتها صورة لها، فعندما نقول: إنسانا فإن للإنسان صورة يمكن تصورها. ولكن عندما نقول (السعادة) فإنه من الصعب رسم صورة للسعادة، مع أننا نحسُ بها وبإمكاننا بوسيلة الملاحظة أن نميِّز بين الإنسان السعيد والإنسان الكئيب. ولهذا فللإنسان صورة دائمة الحضور للذهن كشكل ليس إلا (صورة عامة لا خصوصيات لها) أي من هو الإنسان الذي أعنيه لكي نميِّزَ صورته؟

. هل هو ذكر أم أنثى؟

. هل طفل أم شيخا كبير؟

. هل هو من الجنس السامي أم الجنس المغولي؟

. هل هو أسمر أم أبيض اللون؟

. هل هو ثخين أم نحيف البنية؟

. هل هو طويل أم قصير القامة؟

كل هذه التفاصيل محمولة في صورة الإنسان عندما تحدد.

أما السعادة فهي ليست دائمة الحضور، مع أن الأماني لها دائمة. إنها المؤقتة التي يتم التعبير عنها بصورٍ عِدةٍ كالبهجة والرضا والفرحة التي ترتسم على وجه الإنسان فتبسطه، ولذا فهي المناقضة للاكتآب وما يتركه من أثر انقباضي على وجه الإنسان، وأنه من الصعب رسم السعادة أو تحديد صور لها، ومن الممكن تصور مراميها، و الأدلة المعبِّرة عنها، فهي التي لم يتم تصويرها في ذاتها، بل يتم تصوُّرها على أوجه الآخرين.

وعليه فإن الاستيعاب للمفاهيم التي تحمل صورتها أسهل وأيسر من المفاهيم التي لا صورة لها، والمفاهيم التي لا صورة لها تحتاج إلى توضيح أكثر من غيرها من أجل توصيل المفهوم بدلائله المعبرة عنه، مما يجعل الباحثين يستغرقون الوقت لأجل فهمها وتفهيمها للآخرين، وهي التي تحتاج إلى وعيا وانتباه.

ونلاحظ أن كل من يحمل رقم 1، يمكن تصويره، أو رسمه، فالشجرة يمكن تصويرها لأنها واحدة، وهكذا السمكة، والطائرة، والقط، وكل ما يعبر عن واحد، إلا الواحد الذي خلق الواحد جل جلاله لا يرسم مطلقا، إنه المصوَّر الذي لا يُصوَّر، ولذا لا يُرسم إلا من له شكلا أو صورة، مثلثا، مربعا، مستطيلا، منحرفا وشبه منحرف، وأيي شكل آخر، أما ما لم يحمل في مضمونه رقم واحد فلا يُصوَّر، مثل الحق، والعدل، والحرية ، والسعادة، التي هي معاني وألفاظ ودلائل تتحقق بأفعال الآخرين، وتنعكس في سلوكياتهم.

ونظرا لهذه الأهمية يستوجب على الباحث أن يحدد مفاهيم بحثه بكل دقة ووضوح، مما يجعله يميل إلى التعريفات الإجرائية في تبيان مقاصده البحثية التي يمكن لنا قياس أبعادها والنتائج المتوصل إليها. فإذا استهدف الباحث دراسة انحراف الأحداث كموضوع للبحث فينبغي عليه أن يجيب على الأسئلة الآتية:

. ما معنى الانحراف الذي يقصده؟

. هل هو كل خروج عن القانون؟

. أم هل هو الخروج عن القانون المكتوب؟

. أم هل هو الخروج عن طاعة الوالدين؟

. أم هل هو الخروج عن القيم الحميدة للمجتمع؟

. أم هل يقصد به الخروج عن الفضائل والدين الذي ارتضاه المجتمع؟

وبما أن الباحث قد حدد موضوع بحثه في إشكالية انحراف الأحداث، إذا ينبغي عليه أن يُحدد الفترة العمرية المستهدفة بالبحث أو المقصودة بالدراسة.

وهكذا ينبغي أن تحدد المفاهيم بنائيا ووظيفيا، لتتضح أصولها من حيث الطريقة التي تكوَّنت بها، ومن حيث الدور الذي تستهدفه، أو الوظيفة التي تؤديها، فعندما نقول الانحراف هو الخروج عن القانون الذي تُقرَّه الحكومة على المجتمع، يعتبر هذا تعريفا بنائيا لأنه يوضح الطريقة التي تكوَّن بها القانون الذي يتطلب من المجتمع طاعته حتى لا يوصف من لا يطعه بمنحرف أو من فئة المنحرفين. أما عندما نقول الانحراف هو عدم التزام بعض الأفراد بالنظم، والتشريعات، وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات التي أقرها المجتمع وارتضائها من أجل تنظيم علاقاته ومعاملاته الحياتية فيعتبر هذا التعريف تعريفا وظيفيا، وذلك لأنه يحدد الوظيفة التي ينبغي أن يلتزم بها المواطن الصالح ويؤديها، لكي لا يُعدَّ من المنحرفين.

المنهج العلمي: method

المنهج العلمي مجموعة من القواعد العلمية والمنطقية بها يتمكّن الباحث من تفكيك وتركيب وربط المعلومات بموضوعية، وبه تُنسجُ الأفكار وتُعرض التصورات المجسَّدة لها في السلوك والفعل.

يتم استنباط المنهج من المقروء والمسموع دون أن ينفصل عنه، فالمنهج هو مجموع الأفكار التي بها يتم تعلم الكيفية التي عليها الأمر أو التي سيؤول الأمر إليها بحثا وعلما ومعرفة، وبالمنهج يتم التمكن من معرفة الآتي:

. كيف نتعلم؟

. كيف نبحث؟

. كيف نصوغ لِما نبحث فروضا؟

. كيف نصوغ لما نبحث تساؤلاتٍ؟

. كيف نسأل وكيف نتساءل؟

. كيف نُفكِّر ونتدبَّر؟

. كيف نَنظم أفكارنا موضوعيا وكيف نَنظمها بالمعلومات تجاه إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات؟

. كيف نتابع قضية علمية ونتمكن من تفكيك عناصرها وكشف خفاياها؟

. كيف نركِّب ما تم تفكيكه على قواعد قابلة للقياس والتقييم والتقويم؟

. كيف نحلل المتغيرات المحمولة في المعلومات البحثية؟

. كيف نشخِّصَ الحالة قيد البحث وفقا للمعلومات التي تم تحليلها؟

. كيف نتمكَّن من بلوغ النتائج بموضوعية؟

. كيف نستنتج مما نكتب حلولا ومعالجات؟

. كيف نفسِّرَ النتائج؟

. كيف نكتب التقرير؟

. كيف نعمل؟

. كيف نتطوَّر ونُطوِّر؟

ولذا فالمنهج بناء فكري على أسُسه تبنى النظريات وتترابط وتُصاغ، وبه يتم إظهار المتغيرات الصريحة والضمنية وتُستكشف العلاقات بين المستقل منها والتابع والمتداخل. ومنه تُستمد الطرق التي تُنتهج من أجل تحقيق الأهداف العلمية.

المنهج تتبع فكري واعي به تتزن المعلومة حتى تأخذ مكانها الذي يليق بها بين المعلومات السابقة لها والمعلومات اللاحقة عليها، وبه يتم استكشاف الاتجاه السالب والاتجاه الموجب، وإظهار الكيفية التي يتم بها الإصلاح بفعالية.

بالمنهج تتضح الرؤية، عمّا هو كائن وعمّا يجب أن يكون، مع تقديم بدائل وفقا لكل أولوية ولكل تداخل وتتابع في الفكرة والكلمة والجملة والنص أو الخطاب.

المنهج لا يستقل عن النص بأي حالة من الأحوال، ولهذا لا يمكن كتابة المنهج فالمنهج لا يُكتب ولكن يكتب عنه. مثلما نفعل الآن نكتب عن المنهج لنُعرِّفَ به الآخرين مثلما عرفنا نحن مما قرأنا من غيرنا.

المنهج لا يمكن أن يستقل بذاته عن غيره نظرية أو نصٍ أو خطاب، ولذا مع أنّ المنهج لا يُكتب، إلا أنه يُكتب عنه.

به تُستبين المسارات الفكرية والاتجاهات المحمولة فيها، إنه الكيفية التي بها تتم صياغة الموضوع وكيفية تقديمه للقراء والمستمعين أو المتعلمين حتى يتمكنوا من استنباطه ومعرفته عن كتب، وهكذا يتم إدراك المنهج استقراء واستنباطا بما يُكتب به وبما يُكتب عنه.

يكون المنهج متينا بقوة ترابط أفكاره وبناء قواعده، ويكون ضعيفا بتفكك أفكاره وبنيان قواعده، فالمنهج هو الذي يمد المفكرين والباحثين بما يُمكِّنهم من استقراء الفكرة وما تدل عليه وما تحمله من متوقع وغير متوقع سواء كان سالبا أو موجبا، ويمدهم بكيفية التمسك بما هو موجب والحياد عما هو سالب.

إنه ناظم المعلومة في الفكرة وناظم الفكرة بالمعلومة، وناقلها بها إلى الطريقة المترجمة له في كل خطوة من خطواتها في الفعل والسلوك.

المنهج هو الكيفية التي يتم بها توليد الفكرة من الفكرة، وتوليد الحُجَّة من الحُجة، من أجل رؤية المستقبل والتطلّع له قبل وصوله، وهكذا يكون المنهج من أجل التطوُّر والتقدم إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع.

وبما أن المنهج هو الذي به تُفكك المعلومة وتُركَّب. إذاً هو الذي به يتم الانتقال من الكل إلى الجزء ومن بعده يتم الانتقال إلى المتجزئ. وبناء على هذه القاعدة كان جدل هيجل، وشك ديكارت من أجل معرفة الحقيقة الكامنة في الكل والحقيقة الكامنة في الجزء والحقيقة الكامنة في المتجزئ. وعليه أصبح البحاث يمتدون في تقصيهم المعرفي من كلٍ إلى جزءٍ إلى متجزئ منه، وحسب خصوصية كل موضوع وكذلك منهم من يمتد في بحثه بداية من المتجزئ إلى الجزءِ ومن ثم إلى الكل.

المناهج كما سبق أن بيَّنا هي التي تُعلِّمنا كيف نفكّر، وكيف نتعلم، وكيف نشاهد ونتابع عن وعٍ وكيف نُلاحِظ ونستقراء الفعل وردود الفعل، وكيف نربط علاقة بين متغيرين أو أكثر، أو كيف نكشها للآخرين.

المنهج لم يعد كما يظن البعض قالبا ثابتا لصهر الأفكار مثل القوالب التي تُصهر فيها المعادن تحت درجات حرارة عالية، بل أصبح المنهج اليوم قواعد معيارية يُمكن أن تقاس به الأقوال والأفعال والسلوكيات، وتحدد على ضوئه الاتجاهات وتستقرا نتائجها المستقبلية مما يجعل البحاث يرسمون لها الخطط في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع). ولهذا فالمناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع لتبحث فيها، هذه المناهج اجترارية، فهي كمن يَلُكُّ العِلكة أكثر من مرة، فهي لا تُمكِّنَ الباحث من توليد الفكرة من الفكرة، والمعلومة من المعلومة، والأحدث من الحديث، والأجد من الجديد، والأنفع من النافع. فالمناهج التي تُمكن من كل هذا هي التي تجعل المجتمع بأسره في حالة حركة متجددة، وفي حالة تسابق ومنافسة وتطلّع من أجل بلوغ أمانيه وغاياته بكل شفافية مع أخذ الحيطة والحذر من كل انتكاسة.

ولأن البحوث تختلف باختلاف مواضيعها، ودرجة اهتمام الباحثين أو المجتمع بها، لذا فهي تتطلب مناهج علمية مرنة تُمكِّن الباحثين من الوصول إلى أهدافهم العلمية بأقصر الطرق، وأقل التكاليف، وتقدم الموضوع بخطوات يمكن مراجعتها والتأكد منها، ومع ذلك لم تكن المناهج قوالب جاهزة كما يعتقد البعض، بل أنها ذات الأساليب المتنوعة والمتعددة، ولهذا لا داعي إلى فرضها على الآخرين نتيجة خصوصياتهم وخصوصيات مواضيعهم، التي تتطلب أساليب مرنة تراعي خصوصياتهم الثقافية والتعليمية والدينية والعرفية أثناء تجميع المعلومات، وتحليلها، وتشخيص حالتهم، واستخلاص النتائج منها.

المنهج العلمي والموضوعي هو المنهج المفتوح غير المقفل، فالمناهج المقفلة مناهج استهلاكية غير منتجة، تتقيد بالتكرار الذي لا يفتح آفاق التعلم واكتساب الخبرة أمام منتهجيه، أما عندما تكون المناهج مفتوحة ومتقنة فإنها تكون مناهج استيعابية، تستوعب تطلعات الباحثين وشطحاتهم، مما يجعل بحوثهم إبداعية، أو التي منها يأتي الجديد.

وكما أن لكل فرد منهج خاص به في حياته العادية يسير عليه سلوكا وأسلوبا في تعامله مع الآخرين، ويتميز به عنهم، كذلك الباحث ينبغي أن يكون له منهجا يصطبغ بخصوصية موضوعه، وعليه ينبغي أن يهتم الباحث بالمنهج الذي يستوعب شطحاته التي منها قد يأتي الإبداع، وكثيرا ما يوصف إبداع المبدع في البداية بأنه شطحات، ويكون في النهاية إضافة علمية جديدة، مما يبطل آراء البعض المنادين بالتقيد ببعض الاتجاهات المنهجية التي لا تنتج إلا التكرار.

المنهج مع أنه يَنْظِمُ المعلومات تحليلا وتعليلا إلا أنه قد لا يكون فعَّالا، أي يمكن أن يتبع الباحث خطوات البحث العلمي بكل دقة، ولكنه قد يكون مقفلا على تعاليم سابقة وغير قادرا على الخروج عنها بما يُمكِّنه من أن يكون مبدعا.

إنَّ اقتصار التفكير العلمي على ما تسمح به اللوائح والقوانين الوضعية، هو تفكير استهلاكي لا يحقق الإبداع، ولا يرتقى بالمبدعين، فالذي يرتقي بالمبدعين هو أن لا يُحدَّ من تفكيرهم بسقفٍ يقفون عنده أو دونه، لتكون آفاق الخيال العلمي مفتوحة أمامهم، وهكذا من الواقع، والخيال، والحدس، يصل العقل البدع إلى الجديد المفيد.

المنهج العلمي يرتبط بالموضوع، ولا يحيد عنه، ولذا فالموضوع هو الذي يحدد المنهج المناسب للبحث فيه أو لدراسته، ولهذا لا يمكن أن يكون المنهج سابقا على الموضوع فلولا الموضوع ما كان المنهج، ولولا المنهج ما سُبرت أغوار الموضوع وكُشفت أسراره، ولهذا نقول:

(لكل موضوع منهج خاصا به، فلا داعي لتسويق المناهج الجاهزة التي تُسهم في خلق التُّبع ولا تُسهم في خلق المبدعين).

وعليه، فبالمنهج نستطيع أخذ العبر من الماضي، ونستوعب الحاضر الجميل من اجل المستقبل الأكثر أهمية، ولكي لا تكون المناهج تكرارا مملا نتيجة اقتصارها على الجاهز فقط ينبغي أن تكون مناهج تطلعية تفتح آفاق الإبداع أمام البحاث في جميع مجالات العلوم وميادينه الواسعة وذلك باستيعابها تطلعات المجتمع وأمانيه المرجوة.

ولذا فالمنهج هو الفن العلمي في تحديد المواضيع وسبر أغوارها عللا وأسبابا وتحليلا وتشخيصا ونتيجة أو استنتاجا، ويتضح الفن المنهجي لدى الباحث عندما يتمكن من ضبط قدراته العقلية مع الموضوع قيد البحث أو الدراسة، لأن المناهج هي المفاتيح التي تدخل الباحث إلى الموضوع للتعرف على إسراره وخفاياه. وبذلك المنهج هو الذي يُمكِّن من اكتشاف الأثر سواء أكان اثر ماديا أم فكريا.

إن المناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع للبحث والدراسة مناهج عقيمة وقوالب جاهزة لا طعم ولا رائحة ولا لون لها، فألاهم أن تكون مناهجا تطلعية لكي تكون سباقة لتحقيق أماني المجتمع وواقية له من التخلف والمرض ومندفعة به إلى التقدم والرقى؛ وأخذة الحيطة والحذر من أن ينتكس إذا ما تم علاجه من مرض قد سبق له وان وشفى منه.

ولهذا لا ينبغي أن تقف المناهج عند الذي كان، أو عند ما هو كائن، بل يجب أن تتطلَّع إلى ما هو ممكنا (متوقع وغير متوقع) من اجل المستقبل الأفضل.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن من إحداث النُقلة التي بها يُصنع المستقبل، ولهذا ينبغي على الباحث أن لا يستهين بالزمان، ولكي لا يستهين بالزمان عليه أن يُعطي قيمة له، وإن لم يفعل ذلك يجد نفسه قد أسهم في ضياعه وضياع مستقبله ومستقبل أبناءه من بعده.

وقد يتساءل البعض:

. إذا كان للزمن قيمة فما هي قيمته؟

. هل لأنه ضرورة بالقوة في ماضيه، وحاضره، ومستقبله؟

. وهل هذه الضرورة نخافها؟

. وهل نخاف الزمن بكامله؟

نعم إنه ضرورة بالقوة، ونعم أننا نخافه، وخاصة المستقبل منه، لأنه غير معروف لنا بعد، مما يُحفِّز الباحث لأن يصوغوا له الفروض والتساؤلات العلمية بموضوعية، ولهذا فهم يبحثون دون توقف عند حدود الماضي منه والحاضر، وذلك لمعرفتهم بأن المستقبل سيأتي بالقوة شئنا أم أبينا.

وبما أننا نعرف انه سيأتي بالقوة، إذن لماذا لا نبحث عنه؟ ولهذا يجب أن نتعلم من اجل المستقبل الذي لم نعرف مضمونه، مع أننا نعرف انه سيأتي إن لم تقم الساعة، ولهذا فنحن الذين أسلمنا وجوهنا لله تعالى، نصلى، ونصوم، ونحج، ونزكى، ونجاهد يوم أن يأتي الجهاد فريضة، وكذلك نعمل، ونتزوج، ونوأمن على ممتلكاتنا، ونأكل ونشرب، ونتعلم ونبحث ونفكر ونتذكر ونعتبر، كل ذلك من اجل المستقبل، ولم يكن من اجل الماضي والحاضر.

وقد يتساءل آخر:

. وما الحكمة من كل ذلك؟

لأننا نجهل المستقبل، ولا نثق فيه، كما لا نثق في الماضي والحاضر، لان الماضي تركنا دون أن يأسف علينا، ولا على الماضيين، وكذلك الحاضر مصرا على ذلك بتنازله عنا ثانية بثانية، ولا يود الاستمرار معنا، ولهذا انعدمت الثقة في الزمنين (الماضي والحاضر)، مما يجعلنا لا نقصر تفكيرنا عيهما إلا لأخذ العبر والقدوة الحسنة التي فيهما عند العض، ولذا فنحن نفكر في غيرهما، ولا غير لهما إلا المستقبل مع انه شقيقهما الذي قد يغدر بنا إذا لم نحتاط من غدره، وعليه: لا

ثقة في الزمن على الإطلاق، الثقة في العمل دون سواه، وعليه ينبغي أن نعمل دون تردد، نبحث، نتعلم، نتعرَّف، ونصحح أخطاؤنا أولا بأول ونتطلَّع إلى حياة المستقبل ونعمل على صناعته دون توقف ولذا فمن يتوقف قليلا يتأخر كثيرا فلا داعي للتوقف ولو لبرهة.

المناهج العلمية هي المناهج التحسينية التي لا تقف عند قبول الواقع فقط بل تعمل على تحسينه إلى ما ينبغي أن يكون عليه، حتى لا تكون بمرور الزمن جامدة لا مرونة فيها، وتصبح هرمة كالعجوز لا حيوية لها، متكئة على عصا لا غاية من ورائها إلا إثبات عدم قدرة من يتكأ عليها، فهي لم تكن عصا موسى عليه الصلاة والسلام .

للباحث العلمي أساليب فنية تربط المنهج بالطريقة البحثية المتوافقة مع الموضوع قيد البحث والدراسة، مما يجعل للمنهج المتقصي للحقائق عناصر التشويق، التي تُحفِّز القراء على البحث، وتُمكِّنهم من التعرُّف على أسراره وخفاياه وكنوزه الثمينة، ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل لها من الأساليب المتنوعة التي بها تتنوع البحوث وتتزين بموضوعية.

وعليه فإن المنهج هو العملية الشاملة التي بها تحلل المعلومات والمعارف والقضايا والعلوم والأفكار، وهذه العملية هي التي تُمكِّن طرق البحث من بلوغ النتائج، فالطريقة التجريبية لن تنجز أهدافها إلا بكشف العلائق الدالة على حلقات الترابط بتحليل الظاهر والكامن أو الصريح والضمني، وهكذا الطريقة التاريخية وطريقة المسح الاجتماعي لن تتما كطريقتين بحثيتين إلا بالمنهج التحليلي.

لذا إنْ حُدِدَ المنهج من قبل الباحث لا بد وأن تكون من ورائه فلسفة، وتتضح فلسفة المنهج بالإجابة على السؤال لماذا يختلف البحاث أو يتفقون في التعرف على الموضوع الواحد، وكيف؟

بشكلٍ عام يختلف البحاث ويتفقون حسب المواضيع، والفلسفات والأهداف المرجوة من كل باحث وكذلك الأغراض والغايات التي من ورائها، والإطار المرجعي لكل منهم أيضاً.

أمَّا بشكل خاص فلكلٍ شِرعة ومنهاجا، أي أن المنهج هو المتغير الرئيس في التباين بين الباحثين فمنهم من تُنْظم فرضياته وتساؤلاته وأفكاره على قواعد ومنهم من يتخلى عنها أو عن بعض منها، ولهذا لا يستوون في علاقاتهم البحثية مع الموضوعية التي تسنها الأخلاق المهنية والحرفية والعلمية.

ولهذا تستمد فلسفة المنهج من فلسفة الموضوع، فيُصبغ المنهج بفلسفة الموضوع كما تُصبغ الأشياء بالألوان مما يجعل وحدة بينهما لدرجة تصعب علينا الفصل بينهما فالورقة الخضراء من أية شجرة إذا غمرناها مثلا في محلول كيميائي قد يتغير لونها الأخضر إلى لون سماوي أو برتقالي أو أي لون آخر طبيعي كما تحول لون مايكل جاكسون من اللون الأسمر إلى اللون الأشقر فأصبح موضوع بلا منهج لأنه فقد فلسفة وجوده باللون الأسمر الذي ارتضاه الله إليه، حتى وإن كانت له فلسفة من وراء تغير لونه.

وإذا غمرنا قميص ورديا في محلول كيماوي فإنه سيفقد لونه الذي أصطبغ به، والذي ميزه عن غيره من ألوان القمصان، وعندما تزال الألوان عن أوصولها تصبح كالمواضيع بلا منهج لأن المنهج هو الطابع المميز للموضوع أو وسيلة إبرازه علميا من خلال السبل الفنية التي تتبع من قبل الباحث أثناء تجميع المعلومات والبيانات وانتظامها تحليلا وتعليلا واستنتاجا وتفسيرا، ولهذا إذا كان غير مؤسس على المنهج فهو عبارة عن مشروع ارتجالي لم بُين على قواعد موضوعية يمكن الاحتكام بها والاحتكام إليها.

المنهج هو الذي به نتعلم كيف يتعلم، ولذا فالمنهج الذي يعلمنا كيف نتعلم هو الذي يُمكِّن من المعرفة الواعية، والمناهج المخالفة لذلك هي المناهج الإعلامية

الإبلاغية، ولذا فالفرق كبير بين المناهج التي تُعلِّمنا كيف نتعلَّم، وبين المناهج التي تُبلغنا أو تُعلِمُنا بما عَلِمت به، فالأولى: تُفسِح الطريق أو المجال أمامنا بما يظهر إبداعاتنا العلمية، والثانية: تُفسِح الطريق أمامنا بما يجعلنا نردد ما تم إعلامنا أو إبلاغنا به، ولا تُحفِّزنا على سواه.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن الباحث من كشف العلاقات بين المتغيرات والعلل والأسباب مع المقارنة لأجل التفصيل والتدقيق والتقصي الواعي بموضوعية، مما يؤدي إلى معرفة العلاقات بين الكل، والجزء، والمتجزئ، وأثر كل منها على الآخر وفقا لمتغيرات البحث المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة.

وعليه لكي تكون مناهج البحث العلمي مبدعة ينبغي أن تتحرر من طرقها وأساليبها التسليمية والسردية التي لا تمكن من استيعاب الخصوصية الزمانية والمكانية والظرفية.

إن انتقادنا للمناهج التسليمية، لأننا نريدها أن ترتقي إلى استيعاب المستقبل الأفضل الذي يأمله الناس، ويكفيها القصور عند الماضي أو الحاضر فقط، وهذا لا يعني أنها تنفصل عن ميز الماضي ومميزات الحاضر الجميل، بل يعني أن تُستمد القوة منهما لبلوغ ما هو أقوى وأعظم وأهم. ولهذا التسليم بكل ما يُكتب، أو يُقال لا يعد ميزة بل يُعد عيبا إن لم يتم التفحُّصَ بعد شكٍ بغرض اليقين، ولذا لا تسليم إلا بمسلمات يدركها العقل الواعي وتثبتها التجارب الاجتماعية، أو المعملية المختبرية، ولا تسليم إلا لمطلق، ولا مطلق إلا من عند الله عز وجل، وبما أننا نعترف أن البشر غير معصومين من الخطأ، فلماذا إذاً لا نشك في آرائهم إلى أن نتبين أنه الحق اليقين؟

وعندما ينتقل تفكير المعلم والمتعلم من الانتظار إلى الامتداد في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، أي عندما لا يقف المعلم والمتعلم عند حد المعلومات التي استقبلوها أو تعلموها، عندا لا تتوقف قدراتهم واستعداداتهم عن الاستيعاب بل

تنطلق إلى طلب المزيد المفيد، لأن التفكير العلمي تفحصي واستبياني استنتاجي، يربط العلاقات بين المتغيرات، ويتوقع معلومات أخرى قد تقع في أي لحظة من لحظات الزمن وفي أي مكان على الكرة الأرضية.

المناهج العلمية هي التي تبني الثقة في المُعلم والمُتعلم، وتحررهما من التبعية وهمومها التي تطمس شخصية كل منهما.

المناهج العلمية استفسارية تساؤلية، وذلك عندما تستفز القارئ والمتعلم علميا، وتحفزهما على الاطلاع والتساؤل، وتشوقهما إلى المعرفة الواعية، التي لا تجعل من العلم طلاسم أمام البحث والنقاش والحوار والجدل بالتي هي أحسن، ولهذا لا يمكن أن يحس المعلم بالتعالي ولا يحس المتعلم بالغربة، وتنتهي النظرة التلقينية التي تعتبر المعلم طرفا موجبا، والمتعلم طرفا سالبا، والمعلم مُرسل للمعلومات، والمتعلم مستقبل لها، ويصبح التعليم متحررا من القيود وفيه تتساوى كفتا الميزان بين المعلم والمتعلم، فمع أن العملية التعليمية يقودها المعلم إلا أن المستهدف بالتعلم هو المتعلم مما يستوجب مشاركته وعدم تغييبه.

أن تبدأ المناهج مع المبحوثين، والمتعلمين من حيث هم، لكي تندفع بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك باستيعاب أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية، بمعرفة المستويات التي هم عليها، لتكون البداية منها كواقع اجتماعي وإنساني، مع مراعاة الفرق في القدرات، والاستعدادات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات. إن البداية مع الناس أو المتعلمين من حيث هم تحليلا وتشخيصا، يُمكِّنهم من استيعاب الرسالة الموجهة إليهم.

والمنهج يُعتبر هو الوعي بالموضوع من خلال الوعي بفلسفته وبالخطوات التي تُتبع من أجل اكتماله وتبيانه. فإذا سألنا سائلا:

أيهما أسرع حركة الجسم الأثقل أم الجسم الأخف؟ فإذا أجبناه إجابة عابرة كما سألنا عابرا نقول الجسم الأخف أسرع حركة من الجسم الأثقل. ولكن هل نحن على وعيٍ

عندما أجبنا بأنه الأخف؟ لكي نكون واعون بإجابتنا، علينا أن نطرح الأسئلة الآتية ونحاول الإجابة عليها.

ـ هل تتأثر حركة الأجسام بحجمها أم لا تتأثر؟ أي هل تستوي سرعة جسم يزن 145 كيلو غراما مع سرعة جسم يزن 75 كيلو غراما في مضمار كرة القدم؟

. هل تتأثر حركة الأجسام بالمسافة أم لا تتأثر؟ أي هل تكون سرعة الجسم واحدة إذا قطع في المرة الأولى مسافة 200 متر، وفي المرة الثانية 2000 متر؟

ـ هل الاتجاهات تؤثر على حركة الأجسام؟ أي هل الحركة إلى الأمام تساوي الحركة إلى الخلف؟

ـ وهل الحركة من أسفل إلى أعلى تساوي حركة الجسم وسرعته من أعلى إلى أسفل؟

. هل الزمن يؤثر على حركة الأجسام؟

ـ أي هل الذي قضى من الزمن 80 عاما يكون مساويا لمن لم يقض سوى 25 عاما في سرعة حركته؟

ـ وهل اختلاف زمن السباق للمتساوين في السرعة لا يؤثر في المسافة المستهدفة بالمرور؟

. ألا تتأثر حركة الأجسام بنوعية الأرضية التي يتحرك عليها؟

. أي هل الحركة على الأرض الرملية تساوي الحركة على الأرض المهددة بالفلين؟

. هل المناخ يؤثر على الحركة؟

. أي هل الحركة في اتجاه الريح تساوي الحركة التي في مواجهتها؟

. ألا يكون للحرارة تأثير على الحركة والمتحرك؟

. هل للثقل أثر على الحركة؟ أي هل كلما زاد ثقل الجسم كلما قلت سرعته الحركية؟

. ألا يكون شكل الجسم يؤثرا على حركته؟

. أي هل كرة دائرية الشكل وتزن كيلو جراما تسقط قبل من أعلى إلى أسفل أم مظلة دائرية الشكل وتزن 3 كيلو جرامات تسقط قبل؟[33]

وعليه، كل الأسئلة السابقة تحمل إجاباتها في مضامينها، نتيجة منهج التوليد الذي يحدد متغيراتها والعلاقات المتكونة بينهما وتأثيراتها الموجبة والسالبة، وعناصر الإثبات والنفي المحمولة فيها. ولذا فطريقة عرض هذه الأسئلة تعبر عن وجود منهج من ورائه حكمة. ويكون المنهج في هذه الحالة هو المجسِّد للسبل التي يتبعها الباحث في تقصي المعلومات وتفكيكها من خلال تتبع موضوعي من الكل إلى الجزء ثم إلى المتجزئ منه مما يجعل المنهج هو المترجم للفروض والمنظم للبحث من ألفه إلى يائه.

فالمنهج لم يكن قالبا ثابتا لصهر الأفكار تحت درجات حرارة عالية وكأنه فرن لإذابة الحديد أو الخامات المعدنية الأخرى الصلبة، بل المنهج هو الذي يكون قابلا لاستيعاب الجديد ويسعى للكشف عنه.

ولهذا المنهج لم يكن تكرارا روتينيا كما يعتقد البعض الذين يحاولون قصره على دراسة الماضي بالتحليل والتفسير، أو البعض الآخر الذي يريد قصره على دراسة الحاضر المشاهد. بل المنهج هو الذي يربط الموضوع بالزمان والمتغيرات التي تظهر من فترة لأخرى ومن مكان لآخر وهو المستوعب للمستقبل والمتطلع إلى آفاقه المرتقبة.

إذاً بالمنهج يتم أخذ العبر من الماضي، واستيعاب الحاضر الجميل من أجل المستقبل الأفضل والأجود والأنفع والأفيد، ولكي لا تكون المناهج تكرارات روتينية تُولِّدُ الملل عندما تقتصر على معرفة الجاهز فقط في الزمن الماضي أو الحاضر ينبغي أن تكون تطلعية لكي تفتح آفاق الإبداع أمام العلوم باستيعابها تطلعات

---

[33] عقيل حسين عقيل ، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار الجأ، الطبعة الثانية، 1995، ص 48.

المجتمع وأمانيه وتتابع عن كتب مراحل نموه وتطوره وتستوعب التغيرات الطارئة عليه، وكذلك ينبغي أن تستوعب شطحات الباحث العلمية من أجل أن تفتح الآفاق أمامه في معرفة الجديد واكتشافه من خلال خروجه عن الروتين والقولبة الفكرية والعقلية المميتة للتألق.

إن المناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع للبحث هي مناهج عقيمة وقوالب جاهزة لا طعم ولا رائحة ولا لون لها، ولذا فمن الأهم أن تكون المناهج تطلعية لكي تكون سبَّاقة لتحقيق أماني المجتمع وواقية له من التخلف والمرض ومندفعة به إلى التقدم والرقي، مما يستوجب على الباحث أخذة الحيطة والحذر من أن تنتكس أحوال المجتمع إذا ما تم علاجه من مرض قد سبق وأن وقع فيه وشفي منه. ولهذا لا ينبغي أن تقف المناهج عند الذي كان، أو ما هو كائن، بل ينبغي أن تطلع إلى ما هو ممكن في دائرة المتوقع وغير المتوقع.

المناهج العلمية هي المناهج التحسينية التي لا تقف عند قبول الواقع فقط بل تعمل على تحسينه إلى ما ينبغي أن يكون عليه حتى لا تكون بمرور الزمن جامدة أو متحجرة لا مرونة من ورائها إلا إثبات عدم قدرة من يتكأ عليها في أن يضيف جديدا أو يأتي به.

وعليه فالمنهج العلمي هو الذي يُتبع في تقصي الحقائق وتبيانها، ويحتوي على عناصر التشويق التي تُحفِّزَ القراء على البحث والتقصي الدقيق الواعي، وتُمكِّنهم من التعرف على أسراره وخفاياه، ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل تختلف بالضرورة من موضوع إلى آخر، ومن باحث إلى آخر، وحسب الظرف ألزماني والمكاني والفلسفة التي دفعت الباحث إلى اختيار الموضوع والبحث فيه.

ونتفق مع الفيلسوف ديكارت في قوله ليس غرضي ها هنا أن أعلم المنهج الذي ينبغي على كل امرئ إتباعه من أجل اقتياد عقله على النحو الصحيح، بل فقط أن أبيِّنَ الطريق الذي سلكته لإرشاد عقلي[34].

والغرض من تقديم المنهج هو تبيان النقاط الهامة والأساسية في استيضاح المعلومات والبيانات حتى لا يضيع جهد من يحاول البحث في التخطيط العشوائي الذي تجاوزه العلم الحديث، ولهذا تكون للمنهج قواعد علمية ينطلق منها البحاث ويعودون إليها عند الحاجة دون أن تُجرِدَهم من خصوصياتهم الذاتية وأساليبهم الموضوعية.

وحتى لا يستمر اللبس والغموض لدى البعض بأن المنهج هو الطريقة أو أنه هو الأسلوب نقول:

1 . المنهج لم يكن هو الأسلوب.

2 . المنهج لم يكن هو المقرر.

3 . المنهج لم يكن هو الطريقة.

ولتوضيح ذلك فكما سبق أن أوضحنا المنهج دلالة ومعنا ومفهوما نستعرض كل من الأسلوب والمقرر والطريقة حتى يتم التبيُّنَ وفقا للآتي:

* **الأسلوب:** style

الأسلوب هو الكيفية التي بها تُعرض الأفكار وتُراجع المعلومات وتُصاغ المواضيع وتُقدَّم النظريات للآخرين، وهو الذي به يتعامل الأفراد بما يُمكِّنهم من التوحُّد والتفاعل والتوافق أو يجعلهم في حالة فرقة وصدام.

إنه يختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، ومن موضوع إلى موضوع ومن زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، ولهذا لكل مكان مقام، ولكل مقام مقال.

---

[34] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، 1984 ، ص 493 .

الأسلوب عندما يحتوي عناصر التشويق فيه يشد المستمعين إلى متابعة النص أو الخطاب أو المشهد أو النص، وعندما يفتقد ذلك يجعلهم في حالة استرخاء ويحسسهم بالملل حتى يفقدهم رغبة المتابعة.

الأسلوب تفنن ومهارة في الإنصات والقول والعرض بما لا يُقلق الآخرين أو يَمس مشاعرهم وأحاسيسهم بأمرٍ سالب مع المحافظة على ذلك بوافر التقدير والاحترام والاعتبار.

ولذلك لا يُعد الأسلوب هو المنهج أو الطريقة كما يعتقد البعض، فالمنهج قواعد فكرية بها يتم تفكيك المعلومة وتركيبها، والطريقة لها خطوات علمية تتبع من جميع البحاث عندما تستند على قواعد المنهج، ولكن الأسلوب يرتبط بالباحث وخصوصيته اللغوية والأدبية والفكرية والثقافية.

*** المقرر:**

المقرر هو مجموع المفردات وما كُتِبَ عنها في محتوى علمي يناسب مرحلة عمرية ومستوى نضج عقلي.

إنه المادة المناسبة للتحصيل المدرسي أو الجامعي أو التعليمي بشكل عام، وهو ما يؤسس على نظريات تربوية ولا يكتبه إلا خبراء متخصصين ولهم من المقدرة ما يُمكِّنهم من معرفة علم القياس الذي من خلاله يتمكنون من تحديد المقرر المناسب لكل مرحلة عمرية وتعليمية.

فالطفل الذي بلغ من العمري ست سنوات أصبح مؤهلا عمريا لدخول المدرسة مع نظرائه من التلاميذ إن كان مؤهلا عقليا، ولكي يصوغ له الخبراء والمتخصصين مقررا تعليميا يناسب قدراته وإمكاناته العمرية والعقلية عليهم أن ينزلوا بمستوي الخبرة والمستوي العلمي الذي هم عليه إلى مستوى عمري وعقلي يساوي ست سنوات وإلا لن يتمكنوا من صياغة مقررا يفيد ويرفع من مستوى التلاميذ المتعلمين في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية، وإذا أرادوا أن يصوغوا مقررا إلى المرحلة الثانية من

التعليم الابتدائي فعليهم أن يرتقوا بتفكيرهم سنة أخرى عن تلك السنة التي بها كتبوا مقررا للسنة السادسة بحيث يصبح مستوى صياغتهم العلمية مناسبا لحاجة التلميذ في السنة الثانية من المرحلة الابتدائية وهي سبع سنوات، وهكذا ينمون مع نمو أعمار وعقول التلاميذ والمتعلمين في كل مرحلة من مراحل التعليم إلى أن يبلغوا مراحل التفكير المجرد في التعليم الجامعي وما يساويه وما بعده في التعليم العالي.

هذه هي المقررات التي هي الأخرى لا تكتب إلا على منهج أو به وإلا لن تكون مناسبة لمراحل التعليم والمتعلمين الكرام، ولذا فالمقرر مع أنه المؤسس على المنهج فإنه ليس بمنهج.

الطريقة: approach

هي التي تحتوي مجموعة من الخطوات العلمية التي تستوجب الإتباع من قبل البحاث إذا أرادوا تقصٍ موضوعي للحقائق، وهي ذات تقنيات قابلة للقياس والضبط العلمي، ولذلك فطرق البحث تتعدد، كما هو موضح في الفصل الثاني.

الفصل الثاني
طرق البحث العلمي العلمي

طرق البحث العلمي:

الطريقة: approach هي مولود المنهج المتكونة من مجموع الخُطوات المنتظمة المتناسقة في ممارسة الفعل، وهي التي تمارس وتُتبع من قبل الذين يلمّون بها ويجيدون تكرارها وضبط عناصرها ومتغيراتها وتتبع خطواتها. وهي التي تُرتَّب وفقا للأولويات في خطة منهجية في ضوء القدرات والاستعدادات والإمكانات المتاحة من أجل انجاز أهداف واضحة ومحددة.

اتباع الطريقة يُمكِّن البحاث والأخصائيين من تقصي الأثر الذي تتركه الكلمة أو المرض والأثر الذي يتركه الفعل والسلوك.

توصف كل طريقة علمية بالخطوات التي تحتويها فخطوات التجربة هي التي تجعل منها طريقة تجريبية، وخطوات التقصي التاريخي هي التي تجعل للتاريخ طريقة، وكذلك خطوات المسح الاجتماعي هي الأخرى جعلت منه طريقة. وأيضا طريقة دراسة الحالة في مهنة الخدمة الاجتماعية، التي تأسست لها خمسة خطوات منتظمة في عمليات مهنية متناسقة موضوعيا جعلت دراسة الحالة طريقة يمارسها أخصائيون مهره، وخطواتها هي:

. جمع المعلومات.

. تحليل المعلومات.

. تشخيص الحالة.

. علاج الحالة.

. عملية التقويم.

وعليه فالطريقة هي التي بها يتم سبر أغوار المعلومة وتتبع مكامنها، وأثارها التي تتركها على الكلمة أو الفعل أو العمل أو السلوك، وهي التي بها يتم التعرف على ما هو كائن وبها يتم التطلُّع لِما ينبغي أن يكون. ولهذا فالمنهج يُحلل المعلومة

ويُفككها ويُركبها، ويؤسس قواعد، أما الطريقة فلها خطوات تُتبع وفقا لتوجهات المنهج الذي يُستمد من الموضوع.

وخطوات الطريقة العلمية المستمدة من المنهج هي:

1 . تحديد إشكالية أو مشكلة البحث.

2 . تحديد أهمية البحث.

3 . تحديد أهداف واضحة للبحث.

4 . تحديد فروض البحث أو تحديد تساؤلاته العلمية.

5 ـ اختيار الطريقة المناسبة للبحث:

وفقا لتعدد ميادين البحث العلمي تتعدد طرق البحث مما يتطلب من الباحث أن يختار الطريقة المناسبة لموضع بحثه أو إشكالية بحثه، ومن هذه الطرق الآتي:

أ . طريقة البحث التاريخي.

ب . طريقة المسح الاجتماعي.

ت . الطريقة التجريبية.

ث . طريقة دراسة الحالة.

ج . طريقة تحليل المضمون.

الطريقة التاريخية:

تتضح الأهمية البحثية للطريقة التاريخية بتحديد مفهوم الطريقة كما سبق أن بيَّنَّا وتحديد التاريخ دلالة ومعنى.

التاريخ:

التاريخ كما ورد في لسان العرب المحيط هو "تعريف الوقت"[35]. وبما أنه (الوقت) إذاً فهو المحتوى على الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، أي أنه الوقت الذي تستغرقه التجارب والظواهر والقضايا والحياة بشكل عام، ولذا يعتبر التاريخ السجل

[35] لسان العرب المحيط ، المجلد الأول ، ص 44 .

العام والميدان الواسع الذي تُسجل فيه الأحداث وهو المستوعب لكل ما يحدث، لهذا يكون التاريخ ملكا عاما ليس للأحياء فقط بل للماضين والآتين.

التاريخ هو المتضمن للمواقف والظواهر والأحداث التي نعتز بها ونفتخر بما هو إيجابي فيها ونأسف على بعض المواقف الفردية السلبية التي أُرتُكِبت نتيجة الطمع والخوف والتقرب لمن لا ينبغي التقرب إليه زلفى، ومع أنها تحتوي على إيجابيات ذات أهمية عالية للحياة الحاضرة عندما تكون محتوية لمضامين العبر إلا أنها لا تخلوا من النواقص حيث لا كمال إلا لله تعالى، ولهذا فهي تستوجب البحث في أغوارها لمعرفة المعطيات الإيجابية والسلبية من أجل أخذ العبر لمستقبل أفضل.

والتاريخ هو السجل المفتوح للحاضر والمستقبل والمستوعب للماضي، وبذلك يعتبر ملكا عاما لأنه صناعة عامة فمهما حاول البعض أن يطمس شيئا من معالمه أو يزوِّرها فلن يستطيع، وذلك لأن البعض الآخر قادر على إبرازها ولو اتفقت الأغلبية على تشويه التاريخ تحت أي ظرف من الظروف القهرية، فلن يتفق الجميع، ولذا لو بقي شخصا واحدا على قيد الحياة يستطيع أن يقول الحقيقة التي تبقى ما بقية الحياة. ولهذا فالتاريخ الحق هو الذي يصنعه الناس لا تصنعه الحكومة مع أنها قادرة على الإسهام في صنعه إن كانت ديمقراطية.

وبناء على ذلك يختلف التاريخ عن العلوم الأخرى وفق الآتي:

التاريخ زمن ووقت، والعلوم الأخرى مادة.

التاريخ مستمر ثانية بثانية، والعلوم مستمرة بإنتاجها ولم تستمر بوقتها.

التاريخ متصل زمناً وأحداثاً، والتشبيه التقريبي لذلك هو المسبحة، الذي يعتبر الزمن خيطها المتصل وحباتها أحداث يحملها الزمن، وبذلك تكون العلوم كحبات المسبحة ويكون الزمن هو الخيط الذي تنتظم به.

ولذا فالتاريخ زمن ومحتوى، والزمن بدون محتوى يعتبر فراغ، والمحتوى بدون زمن استحالة. ولهذا الزمن كموجود علة وجود المحتوى فلولا الزمن والحركة ما كان المحتوى، ولولا المحتوى ما صُنِعَ تاريخ.

إذاً يتكون التاريخ الذي نقصده من زمن ومحتوى، وفي الزمن يحدث المحتوى أو يتكون، وبالمحتوى ويراجع الزمن، وكلاهما (الزمن والمحتوى) في زيادة مستمرة إلا أن الزمن متصل، والمحتوى منفصل، ومن الزمن والمحتوى تتحقق الحياة التي هي الفترة المؤقتة من التاريخ بالنسبة للأفراد والجماعات والمجتمعات، ومع وجود علاقة بين الزمن والمحتوى إلا أن النهايات لا تكون ذات علاقة، فالمحتوى يُصنع في الحياة من الأحياء، وعندما ينتهي الأحياء وتقوم القيامة يبقى الزمن شاهدا وحافظا للمحتوى الذي توقَّف عن الزيادة، وحتى في الحياة عندما تنتهي حياة فرد ما أو جماعة ما فلا تنتهي الحياة بانتهاء حياتهم، ولكن إن كان منهم صنَّاع تاريخ فسيبقون أحياء عند ربهم بما تركوا من محتوى عظيم، مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[36].

ولأن الأعمال الخيِّرة تبقى فإن صدر التاريخ خير حافظ لها، وأن الله تعالى خير مجازٍ عليها، ولهذا الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الحق هم أحياء عند ربهم وأحياء في التاريخ، ولهذا تُعد الحياة هي العيش في التاريخ.

ولهذا قيمة التاريخ بما يحتويه من عبر، مصداقا لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[37]، ولكن لمن تكون العبر؟ بطبيعة الحال لأصحاب

---

[36] آل عمران ، الآية 169 . 171.

[37] يوسف ، الآية 111 .

العقول والضمائر الرفيعة الذين يستقرون التاريخ ويستمدون العبر والمواعظ والفضائل الحميدة منه.

وقد عرَّفَ هومر هوكيت Homer. Hockett التاريخ بأنه "السجل المكتوب للماضي والأحداث الماضية"[38].

إذا اعتمدنا هذا التعريف فيكون التاريخ ماضٍ وقد وقع وانتهى، وكأن السجل التاريخي قد امتلأ بالأحداث وقفل، وإذا سلمنا بهذا يعني أننا سلمنا في زمني الحاضر والمستقبل اللذين يُعدَّان من مكونات الوقت الذي عُرِّفّ التاريخ به كما سبق ذكره.

وكذلك إذا سلمنا بأن التاريخ هو السجل المكتوب، فإننا نسلم بأنه لم يبق لدينا ما نكتب، ولذا فإن التنقيب عن الآثار والبحث عن الحفريات لازال مستمر، وكل عثور على أية بصمات حملها التاريخ أو سطَّرها يتم تسجيله في الزمن الحاضر مع أنه قد وقع في الزمن الماضي ولكن زمن اكتشافه كان في الزمن الحاضر، ولهذا التاريخ لم يكتمل اكتشافه ولم ينته زمن صناعته ولم تعقم أمهات صُنَّاعه ولن.

إذن لا داعي بأن نُعرِّفَ التاريخ بأنه السجل المكتوب للماضي والأحداث الماضية، وبما أن الدنيا لم يقفل سجلها، إذن بالضرورة لم يقفل سجل التاريخ، ولا تنتهي الأحداث، وبما أنها كذلك فإن التاريخ لم يكن سجلا مقفلا. بل التاريخ هو السجل العام المفتوح، والميدان الواسع الذي يستوعب الأحداث في زمن وقوعها، سواء أكانت هذه الأحداث قد وقعت أم تحت القيد أو لم تقع بعد، وسواء أكانت مكتوبة أم لازالت في صدور الرواة أو أنها لم تُكتب بعد، ولذا فالتاريخ هو حاضر الزمن الماضي والماضين فيه، وإذا تساءل البعض كيف؟

---

[38] Homer . Hockett , the critical . method in historical research and wzition . new York : the mac millan co , 1968 , p , 3 .

تكون الإجابة: ما ندرسه نحن كماضي يعتبر للماضين حاضرا، وهكذا يعتبر للحاضرين ماضيا وهكذا سيضل التاريخ حيا.

ويقول ابن خلدون "يعتبر التاريخ معمل التجارب الهائل الذي تسجل فيه تجارب الإنسانية، والمتحف الطبيعي للظواهر في مختلف درجات تطورها"[39]، يوضح هذا التعريف مرونة التاريخ ورحابة صدره في تقبل النقد والتفسير لما يحتويه سجله المليء بالتجارب والظواهر الماضية وعلاقتها بالمشاهدات والتجارب الحديثة بفتح صفحاته أمام الاكتشافات الحديثة. إلا أن كلمة معمل صغيرة جدا على التاريخ، إنه أوسع من ذلك بكثير لأنه ميدان الحياة وسجل نتاجها وإنه الزمن والمحتوى والحياة. وللتاريخ بصمات يمكن مشاهدتها والتعرف عليها وعلى ما ورائها، فدلائل التاريخ كثيرة ، ومن خلالها يمكن معرفة الوقت الذي أنتجت فيه والعهد الذي تدل عليه والفن الذي تميزت به. وإذا عددنا شواهد التاريخ لا تحصى فمنها الآثار، والحفريات بمختلف أنواعها، والمخطوطات والتماثيل والنقوش، والزخرفة والكتب والمطبوعات كلها دلائل يمكن دراستها وملاحظتها والاستشهاد بها. فإذا أخذنا المساجد كشاهد في أي منطقة من المناطق أو إذا عثرنا على آثارها في أي بقعة من العالم فعلى ماذا تدل؟

إنها تدل على انتشار الدين الإسلامي وأن هناك مسلمين في تلك البقاع أو أنهم كانوا، في روسيا بعد الماركسية منعوا المسلمين من الصلاة في المساجد إلا أن المساجد بقيت ماثلة يمكن مشاهدتها علامة دالة على انتشار الإسلام، وفي ألمانيا الشرقية سابقا عندما كانت تحت الحكم الشيوعي منعت هي الأخرى الصلاة في المسجد وحولت مأذنته إلى خزانا للمياه، ومع ذلك بقى إلى اليوم علامة دالة على أنه كان مسجدا وبقي شاهدا بطابعه الإسلامي وشاهدا على عدم مقارعة الماركسية

---

[39] عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، ص 17 .

له التي طويت صفحاتها من التاريخ دون أن تجد من يتأسف عليها وبقي الجامع معلما إسلاميا يدل على أن مسلمين في مدينة برلين الشرقية هم يتواجدون.

ويصدق قول ابن خلدون أن التاريخ "في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمق لها الأقوال، وتصرف فيها الأمثال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها[40].

وعليه نتساءل:

هل هناك فرق بين التاريخ والمنهج التاريخي؟

نعم هناك فرق.

التاريخ كما بينَّاه ميدان عام تنهل منه كل العلوم وفيه تُسجَّل وتُعتمد على سجله في البحث والدراسة. وهناك فرق في هذا الخصوص بين التاريخ، والدراسات التاريخية المتخصصة.

فالتاريخ ملك عام لكل العلوم فهو الميدان الذي يستوعبها وتثريه ويثريها. أما الدراسات التاريخية المتخصصة تستهدف التعرف على فترة أو فترات حسب اهتمامات البحاث، وكثيرا ما تكون دراسات للأحداث والمواقف الفردية والجماعية، وكل الدراسات التاريخية عبارة عن جزء من بقية العلوم التي تشكل جزء من التاريخ، وعادة يتم التنقيب في الدراسات التاريخية من أجل الآخرين قيماً وعِبراً وفضائلاً ليتعظوا ويعتبروا، ومع ذلك فقد يكون المؤرخ ناقل يسرد الأحداث دون أن يوظفها خدمة للعلاقات الاجتماعية والإنسانية إلا أن القراء قادرون على استيعاب العِبر من مصادرها، وقد يحدث التحريف لبعض المعلومات من قبل بعض البحاث لأسباب ذاتية، أو أسباب سيادية أو نتيجة تأثير أداة الحكم على المعلومات أو على الباحث، وهنا قد تحدث محاولات لتزوير التاريخ لكنها صعبة وغير ممكنة لأن التاريخ لا يمثله أحد فهو الملك العام الذي لا يقتصر على الحاضرين، بل هو

---

[40] المصدر السابق ، ص 71 .

الذي يمتد من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل في حلقات متصلة لا تنفصم ولذا فإن الأجيال دائما قادرة على تصحيح ما يعلق به.

وعليه:

ما هي الطريقة التاريخية؟

الطريقة التاريخية هي التي بها تُجمَّع وتُستقراء المعلومة العلمية تأصيلا مع مراعاة انتظام المعلومات وفق متغيراتها الموضوعية والمكانية والزمنية أحداثا وعِبرا وقِصصا مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والدينية والعرفية التي بها تتميز كل هوية من الهويات الاجتماعية.

ولذا فالباحث المتبع للطريقة التاريخية يستهدف المعلومات من مصادرها الموثوقة سوا أكانت بشرية أم وثائقية ليستقرا بها ظاهرة أم حالة من الحالات الفردية أو الجماعية أو المجتمعية أو أي إشكالية أو مشكلة تستوجب البحث تتبعا بتتبع الظروف والمتغيرات التي ظهرت فأثرت على الحالة.

ولأن موضوع هذه الطريقة يكمن في التاريخ الواسع، فإن تتبع الباحث لموضوع بحثه أو إشكاليته البحثية يستوجب تقصيا متصلا للمشكلة أو الموضوع وإن انفصلت حلقات تماسكه عبر الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل).

هذه الطريقة لا تقتصر على دراسة علم التاريخ بل هي الطريقة التي بها تُستقرا العلوم في غير منعزل عن مراحل نشأتها أو تكوينها وتطورها عبر التاريخ وذلك لمعرفة أثر كل متغير من المتغيرات التي أثرت فيها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر.

ولأن لكل شيء تاريخ زماني ومكاني ولكل ظاهرة ومشكلة تاريخ لذا فكل شيئا يمكن أن يتم تناوله موضوعيا بالتقصي العلمي لا ينبغي أن يُغفل عن البحث في تاريخه الذي به تأثر وأثر.

وقد يتساءل البعض:

لماذا الطريقة التاريخية؟

بدون شك نحن لا نعني اقتصارها على الدراسات التاريخية (علم التاريخ) بل لوضوحها في التاريخ العام الذي يعتبر علم التاريخ جزءا منه، مما جعل هذه الطريقة تُتبع في البحث والدراسة دون أن تقتصر على علم من العلوم. ولذلك فالطريقة التاريخية هي التي يسلكها الباحث وهو مهتديا بنور التاريخ إلى غايات المعرفة العلمية.

ولهذا تعتمد الطريقة التاريخية في تقصيها للمعلومة على الآتي:

1 . موضوع أو مشكلة: تستوجب البحث والتقصي العلمي.

2 . أدلة: تُثبتُ أو تُبطل ما يتعلق بالظاهرة أو الموضوع أو مشكلة البحث.

3 . مصادر: منها تستمد المعلومات أو تُستقرا وتستنبط.

4 . أدوات: يتم استخدامها لجمع المعلومات من مصادرها أو مكامنها.

هذه الطريقة لا تعتمد كما يتصور البعض على السرد والنقل بل على التفحص الدقيق، والقياس المعتمد على قوانين اجتماعية أو طبيعية مما يجعلنا نطلق عليها طريقة العلوم بشكل عام، وجعل د . سمير نعيم يقول : "إن أي بحث مهما كان الأسلوب المتبع فيه لا عنى عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية"[41].

ولأن التاريخ ملئ بالتجارب والبراهين والحُجج والمعالجات والعبر، التي تفيد الباحثين وهم في حاجة لأن يعرفوها، فالبحث في أي ظاهرة أو مشكلة في العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية لا ينبغي أن يكون في منعزلٍ عن تاريخها، ونتيجة لذلك ظهرت أهمية الطريقة التاريخية في العلوم بشقيها النظري والتطبيقي.

ولأن لكل ظاهرة أو موضوع أو مشكلة تاريخ وفي كل العلوم إذاً لا بد وان تكون من بين طرق البحث العلمي طريقة تتوافق بحثا في تاريخ الحالات والظواهر والمشاكل الاجتماعية والطبيعية والإنسانية، ففي حالة البحث في تلك الحالات والظواهر

---

[41] سمير نعيم ، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية . القاهرة : المكتب العربي للأوفست ، الطبعة الخامسة ، 1992 ، ص 130 .

والمشاكل لا بد من معرفة أسبابها وعللها من خلال التتبع الواعي المتمعن في المعلومة ومتغيراتها المتداخلة والمستقلة والتابعة والدخيلة، وذلك لإنجاز أهداف البحث وفروضه أو تساؤلاتها الموضوعية.

ولأن لكل طريقة مسمى فهي لا يمكن أن تتميز إلا إذا كانت تسميتها مستنبطة ومستمدة من الميدان الذي به تُسمى، ولأن الطريقة التاريخية مستمدة من ميادين التاريخ الواسعة فهي سميت بهذه التسمية، ولكي تتميز أيضا لا بد لها وأن تعتمد المعلومات من مصادرها بوسائل وتقنيات دائما في حالة تطوُّر، وهكذا استمدت الطريقة التجريبية من التجربة التي تُعد الميدان الواسع للبحوث العلمية وخاصة في العلوم الطبيعية والتجريبية، واستمدت الطريقة المسحية التي تميزت بدراسة المجتمع أو العينات المأخوذة منه كما استمدت طريقة دراسة الحالة من ميادين الحالات المستهدفة بالبحث والدراسة.

وعليه إذا أردنا معرفة الأسباب والعلل لأي موضوع أو ظاهرة ينبغي معرفة التاريخ، لأن في التاريخ تكمن الأسباب، وفي الأسباب تكمن النتائج وفي النتائج تكمن الحلول والمعالجات الموضوعية التي تجعل للتاريخ عبرة.

هذا ولم يكن الغرض من إتباع الطريقة التاريخية سرد المواقف، و تكرارها من باحث إلى آخر أو حفظ ونقل القصص والروايات، بل الهدف هو التعرف عليها وتفحُّص عبرها وتبيانها للآخرين واستخلاص القوانين الاجتماعية وآليات حركة المجتمع والطبيعة والتغيرات التي طرأت أو أدخلت عليها وتأثرت بها أو أثرت فيها.

صيغ الطريقة التاريخية:

هناك صيغتين هامتين للطريقة التاريخية هما:

1- صيغة الزمن.

2- صيغة الموضوع.

ولتوضيح ذلك أتناول كلا منهما:

1- صيغة الزمن: ويقصد بها الهيئة التي يؤسس الباحث عليها بحثه عندما يود تقصي متغيراتها، مما يجعله يصوغ فروضا أو تساؤلات من خلالها يتمكن من إنجاز أهداف بحثه.

وتتقسم هذه الصيغة إلى قسمين:

أ- دراسة الظاهرة أو المشكلة أو الموضوع من الماضي إلى الحاضر وذلك بعد تحديد فترة البحث أو الدراسة، وبعد تحديد نقطة البداية من الزمن الماضي وحسب الموضوع قيد البحث، مما يجعل أسباب الموضوع كامنة في الماضي وأهدافه واضحة في الحاضر، وغاياته ماثلة في المستقبل.

وهذه تختلف عن أسباب اختيار الباحث للموضوع. فأسباب الموضوع شئ وأسباب اختيار الباحث له شئ آخر.

فإذا افترضنا الموضوع هو (الظروف التي جعلت الاستعمار عبر التاريخ يتكرر في الوطن العربي، أو في قطر منه).

لذا فإن الطريقة التاريخية هنا تستوجب من الباحث تحديد بداية الاستعمار أي تحديد الزمن وفقا لتحديد متغيرات البحث مما يتطلب من الباحث أن يركِّز خلال تلك الفترة على الظروف والمعطيات التي سادت المجتمع العربي أو قطرا منه وهيئته لأن يُستعمر، ثم يلاحق بالبحث حسب التتبع الزمني إلى دراسة الفترة الثانية التي عاد فيها الاستعمار للوطن، ويهتم بدارسة ظروفها والمتغيرات التي أظهرتها، ثم يقارن بين تلك الفترة السابقة وفترة الزمن الحاضر لعودة الاستعمار، حتى يتمكن من معرفة الظروف التي جعلته يتكرر، أي بالبحث يتمكن الباحث من معرفة اشتراطات دخول الاستعمار للبلدان العربية واحتلاله لها، وهكذا يأتي من الماضي إلى الحاضر وهو ينتقل إلينا من خلال التتبع الزمني المتواصل للموضوع لكي يبين لنا تلك الظروف والاشتراطات التي إذا ظهرت أو تكررت تجعل الاستعمار يتكرر

ويعود، مما يجعل المجتمع مضطرا ليتفادى تلك الاشتراطات والمبررات، وتُحث المجتمع على أخذ العبر من التاريخ وإلا لن يتمكن من تأمين مستقبله.

ب- دراسة الظاهرة أو الموضوع من الحاضر إلى الماضي: وهذه تتطلب عودة مع الزمن الذي انقضى ولن يعود من خلال دراسة الأحداث التي وقعت فيه بتسلسل أوقات حدوثها أو ظهورها.

فإذا اعتبرنا الموضوع السابق هو موضوع البحث وهو (الظروف التي جعلت الاستعمار يتكرر في الوطن العربي، أو يتكرر في قطرٍ منه). وإن افترضنا هذا القطر هو الجماهيرية العظمى وبدأنا الدراسة في الوقت الحاضر، ونحن منطلقين ببحث من معرفة الظروف التي جعلت القواعد الاستعمارية تستمر في ليبيا حتى سنة 1970 ثم نتتبع ذلك إلى معرفة الظروف التي أوجدت الاستعمار الإيطالي عام 1911، ودراسة الظروف التي جعلت الاستعمار التركي يجثم على التراب الليبي بعد خروج فرسان مالطا عنه عام 1551 ومقارنة تلك الفترة مع الفترات السابقة واللاحقة لها، أي مقارنتها مع الظروف التي أوجدت الاستعمار الإيطالي، والقواعد الأمريكية والانجليزية والاحتلال الفرنسي لجزء من الجنوب الليبي كفترات لاحقة، ومقارنتها مع الفترات السابقة، وهي الاحتلال المالطي، والأسباني الذي خرج بقوة السلاح كغيره من أنواع الاستعمار لليبيا سنة 1510، ثم دراسة الظروف التي جعلت أطماع أمريكيا في احتلال ليبيا عام 1805، وهكذا يستمر البحث والتتبع الزمني في دارسة الظواهر والظروف التاريخية، والمشاكل والمواضيع بهذه الطريقة مع مراعاة الفترة الزمنية المستهدفة بالدراسة[42]، ولهذا كانت طريقة البحث منطلقة من صيغة زمنية وموضوعية من الحاضر إلى الماضي لأجل أن تستمد العبر التي بها يُصنع التاريخ.

---

[42] عقيل حسن عقيل ، الأصول الفلسفة لتنظيم المجتمع الجماهيري . طرابلس : جامعة الفاتح ، 1992 ، ص 16 .

2 – صيغة الموضوع: كثيرا ما نجد هناك تشابه في المواضيع وكثيرا ما نجد وحدة بين المواضيع مع أن زمن حدوثها غير متصل من الناحية الزمنية مباشرة أو أنها لم تقع في مجتمع واحد، ولا أرض واحدة، ولا زمن واحد، ومع ذلك تظهر بنفس الظروف والمعطيات أو المبررات، وهذه التي تستوجب البحث عن طريق الاتصال الموضوعي، الذي جعل من الموضوع وحدة وترابط.

وقد يتبع الباحث طريقة دراسة الموضوع من الحاضر إلى الماضي أو بالعكس كما تم توضيحه، وذلك بالاعتماد على الصلة الموضوعية وليس على الصلة الزمنية.

فلو افترضنا أن موضوع البحث هو (أسس تنظيم المجتمع الفاضل) وبدأنا بما هو متوفر لدينا في المجتمع العربي، وحددنا المجتمع العربي الليبي واعتمدنا على النظرية والمحاولات التطبيقية التي تستهدف تنظيم مجتمع فاضل، وانتقلنا إلى دراسة المدينة الفاضلة عند ابن خلدون والفارابي وابن مسكوبة، ثم أفلاطون وأرسطو وسقراط وبركيلس وكليتنيس وسولون (المشرع)، فنجد الذي يربط بين هذه المحاولات هو الموضوع وليس المجتمع الواحد، والأرض الواحدة ولا الدين الواحد، ولا الزمن المتصل بينهما.

لذا تعتمد الطريقة التاريخية على الموضوعية في تجميع المعلومات وتحليلها لتمد الباحث بنتائج تستوجب التفسير العلمي والمنطقي للظواهر والمشاكل والحالات قيد البحث العلمي، ولهذا فالطريقة التاريخية هي طريقة جمع المعلومات من مصادرها سواء أكانت وثائق أم رواة أم دساتير وقوانين وتشريعات أم أي معطيات موضوعية أخرى.

أدوات الطريقة التاريخية:

من أهم أدوات الطريقة التاريخية الآتي:

1 . الملاحظة.

2 . المشاهدة.

3 . المقابلة.

4 . الاستبيان.

ولذا فللتاريخ شواهد وأدلة يمكن التأكد منها، ولم يكن خرافات لا أساس لها من الصحة، فالخرافات لا أدلة ثابتة لها مما يجعل صعوبة في تتبعها واختيارها مشكلة للبحث العلمي، وبالتالي فهي لا تُسند للتاريخ الذي هو الميدان الواسع للعلوم والمعارف، ولهذا كل شئ لم يكن له سندا وأدلة يعتبر خرافة.

ولأن التاريخ لم يكن الشيء المجرد بل هو ذو المعالم الآتية:

1 . الزمن.

2 . المحتوى.

3 . المكان.

4 . الحياة .

وعليه: فإن الخرافات لا تُعد من صناعة التاريخ وذلك لأنها بدون محتوى، وبدون حياة حتى وإن كان لها زمن النسيج والتكرار.

إذاً كل ظاهرة أو حادثة أو رسالة وقعت يمكن بالتتبع التاريخي العثور عليها، أو العثور على معالمها، أو مؤثراتها، فالوثائق مادة، والمخطوطات مواد للباحث العلمي يمكنه الاستناد إليها، والتحقيق منها. وكذلك المتاحف وما تحتوي عليه من مواد دالة على أحداث وحضارات وثقافات ومعارف، تعتبر أدلة وشواهد يمكن ملاحظتها ومشاهدتها والتحقيق منها.

وهذا يعني أن في صفحات التاريخ يتم حفظ البصمات والأدلة والآثار، وبالطريقة التاريخية يتم التمكن منها بحثا وتنقيبا وتقصيا وتتبعا، فالآثار مواد دالة على معاني شاهدة، أما الحدث أو الظاهرة أو الحضارة تقع في فترة من التاريخ تنتهي من حيث عدم مقدرتها على البقاء الدائم، إلا أن دلائل وجودها تبقى ماثلة للمشاهدة، والملاحظة كوسيلتين علميتين يعتمد عليهما الباحث. والذين يعتقدون أن الطريقة

التاريخية تعتمد على السرد والنقل، هم مخطئون فشواهد التاريخ لا تختلف عن شواهد التجريب، الذي يعتمد على المشاهدة والملاحظة في الطريقة التجريبية.

وبالطريقة البحث التاريخية يتمكن الجيولوجي من البحث والتجريب في الأرض ومكوناتها من أجل التعامل مع كل مرحلة من مراحل ترسب طبقات الأرض ومكوناتها، وعلى الأعماق الممكنة، مما يجعله يبحث ويدرس التربة والأحجار بأنواعها، والمعادن وأعمارها، وهو يبحث عن تاريخها في تاريخها، وهكذا الباحث الجغرافي يبحث في المؤثرات المناخية، وسطح الأرض وما يحدث عليه من تغيرات ومؤثرات بيئية، والطبيعة والتغيرات التي طرأت عليها، كل ذلك يتطلب اتباع الطريقة التاريخية والتجريبية معا، ولهذا لا تقتصر مواضيع البحث وإشكالياته على طريقة واحدة من ألفه إلى يائه، بل في معظم البحوث العلمية طرق البحث العلمي تتداخل من اجل استكمال البحث موضوعيا.

إن الطريقة التاريخية لا تقتصر على السرد كما يظن البعض بل تعتمد على الحُجَّة والدليل والبرهان المستند على الحقيقة، ولنا في التاريخ الشواهد التي منها:

ـ احتل الرومان ليبيا منذ زمن قديم، ومن يُكذِّب ذلك فعليه زيارة ليبيا لمشاهدة وملاحظة آثاره في مدينتي لبدة، وصبراته.

ـ إن بيت المقدس محتل إلى هذا اليوم ومن يكٌذِب ذلك أو يريد أن يتأكد عليه زيادة الأرض المحتلة (فلسطين).

ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات، وأن الرسالة باقية ومن يريد أن يتأكد عليه بزيارة بلدان المسلمين ليشاهد الكتاب، والمساجد، والقراء، والمتعبدين الذين تجسَّد الإسلام في أقوالهم وأعمالهم، وعليهم أن يزور بيت الله إن تطهروا ليروا بأمهات أعينهم شواهد العبادة وتمسك المتعبدين بالأمر، وأن يزوروا مقام الرسول صلى الله عليه وسلم.

. إن باليمن سدا عظيما (سد مأرب) بفنه وهندسته وتاريخه، فمن أراد أن يتأكد منه عليه أن يزور اليمن السعيد ليشاهده، ويلاحظه إذا كانت ثقته مقتصرة على المشاهدة والملاحظة وكأنهما غايتين في حد ذاتهما.

إذن المتتبع للمنهج التاريخي يمكنه مشاهدة وملاحظة ما يحمله التاريخ من شواهد عندما تتوفر دلائلها، ولهذا تعتبر المشاهدة، والملاحظة من الأدوات المهمة في دراسة التاريخ والبحث في أغواره.

ويقول ابن خلدون في هذا الصدد "إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب بالشاهد، والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور وزلة القدم والحياد عن حادة الصدق[43]، لذا فإنه من الموضوعية العلمية والبحثية أن نربط الحاضر بالسابق وهذه لا تتم إلا بإتباع الطريقة التاريخية في البحث عن المعلومة الصادقة التي بها تتم مقارنة المعطيات والدلائل بما يماثلها أو يخالفها أو يشابهها.

وبإتباع الطريقة التاريخية يتمكن الباحث من التأكد من مدى مصداقية ما يكتب عن الظاهرة أو الحالة أو المشكلة أو الموضوع، وللتأكد من التاريخ المكتوب قد يتطلب الموضوع إجراء مقابلات مع من لا حظوا أو اشتركوا أو شاهدوا ما كتب عنه.

فإذا أردنا دراسة تاريخ المجاهد العظيم الشهيد عمر المختار، فإنه من الأفضل للباحث إجراء مقابلات مع من تبقى على قيد الحياة من مجاهدين أو الذين عايشوا فترة عمر المختار، ومقارنتها مع أقوال كل الذين يتم الالتقاء بهم، ومع ما كتب عنه، هذه طريقة مهمة في البحث في التاريخ القريب. أما التاريخ البعيد لا نجد رواة له على قيد الحياة ولكننا قد نجد ما كتبوا السابقين عنه، أو ما كتب نقلا عن رواة

---

[43] عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، المجلد الأول ، 1086 ، ص 12 .

عنـه، وذلـك لأنــه لـيس بالإمكــان دراســة كـل التـاريخ أو التأكـد منــه عـن طريـق المقابلات والمشاهدات والملاحظات، ولكن يجوز لجزء منه، مثل الثورة الجزائرية يمكن دراستها عن طريق المقابلات مع المجاهدين الأحياء، وذلك لأن الإنسان دائما أكبر دليل على إثبات الحقائق عندما تتعلق بالموضوع وتقال بموضوعية، ولكن قد يشوبها شئ من الشك إذا كانت متعلقة به مما يستوجب على الباحث أخذ الحيطة بجعل ما يقوله الفرد عن شخصه ليس يقينا ويكون خاضع للاختيار.

ويكون هذا ردا على بعض أساتذة علم الاجتماع، وهم قلة لعدم ثقتهم في التاريخ والطريقة التاريخية بحجة عدم التسليم فيما تقوله أو تنقله مصادر البحث المعتمدة على أقوال الإنسان.

وعليه كيف يُقبل هذا التحفظ من البعض وهم لا يثقون في بحوثهم في ميادين علم الاجتماع إلا على ما يقوله المبحوث (الإنسان)؟

وكأن الإنسان إنسانان واحدا للتاريخ وآخر لعلم الاجتماع، ولأن الإنسان واحدا إذن كيف لا نثق فيه في دارسة التاريخ، ونثق فيه في دراسة علم الاجتماع؟

وإذا كـان الشـك فـي الإنسـان كمصـدر للمعلومـات إذن الشـك وارد فـي كـل باحـث باعتباره أيضا سيكون مصدرا للمعلومات، وإلا هذا البعض كمن يمتلك حق الفيتو، يحق له أن يفعل ما يشاء ويحق له حرمان الآخرين منه مما يجعلنا نقول: إذا كانت هناك أحقية للفيتو في الميدان العلمي يجب أن تكون للتاريخ.

وإذا أردنا أن نتفحص استعمالات المشاهد والملاحظة، والمقابلة في التحاجج معهم فأيهما أصدق للمشاهدة والملاحظة وأيسر، أن تلاحظ ، وتشاهد سد مأرب، أم تشاهد وتلاحظ سلوك منحرف يعرف أنه تحت البحث والدراسة؟.

إن الطريقة التاريخية عند اتباعها من قبل الباحث في تجميع المعلومات عن سد مأرب، فإن إخضاع السد من قبله للمشاهدة، والملاحظة وكتابة كل ما يتراء له أيسر بكثير من إخضاع حقيقة الإنسان للمشاهدة والملاحظة التي يعتمد عليها

إمبريقيا. ومع أنه من الممكن مشاهدة سلوك الإنسان، وملاحظته إلا انه من الصعب التسليم بما يلاحظ عنه.

إذن أيهما أصدق وأيسر مشاهدة وملاحظة حقيقة الإنسان من خلال سلوكه، أم ملاحظة ومشاهدة سد مأرب وما يحتوي عليه من جهد وفن، وعلم وهندسة راقية؟

وإذا استعملت وسيلة المقابلة في التحاجج أيهما فأصدق:

ما يقوله مجاهدين عن جهاد عمر المختار باعتبارهم عاصروه وجاهدوا معه، أم ما يقوله المبحوثون عند إجراء المقابلات معهم عن سلوكهم الإنحرافي؟

أعتقد أن ما يقال عن جهاد الشهيد عمر المختار من قبل المجاهدين الأحياء الذين جاهدوا معه أصدق بكثير عما يقوله المنحرف عن شخصيته المنحرفة عن قيم المجتمع وفضائله الحميدة.

وعليه: لا يمكن لأي طريقة من طرق البحث العلمي أن تغني الباحث عن معطيات المعرفة التاريخية، والتي يؤكدها الدكتور سمير نعيم في قوله: "إن أي بحث مهما كان الأسلوب المتبع فيه لا غنى له عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية بالمجتمع"[44].

ولذلك يكون الاتجاه الامبريقي الذي يهتم بدراسة الظروف في زمنها الحاضر ولا يهتم بماضيها كثيرا لم يعرف أن الزمن الحاضرة عبارة عن نقطة لا اتساع لها ولا ميدان إلا بالماضي والمستقبل.

فإذا أدرنا أن نميز الزمن من خلال الكلمة نجد أن الزمن كالحبل ما جُذب منه أو سُحب أصبح ماضيا، وما لم يجذب أو يُسحب منه يعد في المستقبل، وما هو الآن على ظهر البكرة التي يُجر عليها هو الحاضر، ولهذا كل الزمن لا بد وأن يمر على الحاضر كبكرة لجر الحبل عليها. أي أن ما يعتقده البعض في الحاضر

---

[44] سمير نعيم ، المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية . القاهرة : المكتب العربي للأفيست ، الطبعة الخامسة ، 1992 ، ص 130 .

عليهم أن يعرفوا ضرورة وقوعه في الماضي سريعة جدا، وإذا أنكروا الماضي، فإنهم أنكروا حاضرهم بالضرورة. وبما أن ذلك يرتبط بحياة الإنسان، إذا حياة كل الناس لا تتكون إلا بالزمن الماضي والزمن الحاضر. أما المستقبل فلم يكن في حياة الناس لأن مستقبل الناس بعد الموت وهو مستقبل معروف، أما ما دونه بالنسبة للإنسان لا يمر إلا بزمنين هما الماضي، والحاضر وهكذا الحاضر يستمر والماضي يزداد تراكما ويبقى الأمل معهما مستمرا.

خطوات الطريقة التاريخية:

ولأن طرق البحث العلمي واحدة فإن اتباعها يتطلب الخطوات الآتية:

1 . تحديد مشكلة البحث أو موضوعه.

2 – تحديد أهداف البحث.

3 – تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.

4 . تحديد مصطلحات البحث.

5 . استطلاع الدراسات السابقة .

6 – جمع المعلومات والبيانات.

7 – تحليل المعلومات.

8 – استخلاص النتائج أو الاستنتاجات وعرضها.

9 . تفسير النتائج.

10 – كتابة التقرير.

وعليه كل طريقة تتبع هذه الخطوات تعتبر طريقة من طرق البحث العلمي، ومن يعتقد أن تحديد الأسباب هو أحد خطوات الطريقة التاريخية أو أي طريقة من طرق البحث العلمي فقد أخطأ كثيرا، فالأسباب هي التي يبحث الباحث من أجل أن يتعرف عليها وإن تعرف عليها أو عرفها تمكَّن من معرفة العلل التي من أجلها يبحث أو يدرس.

مصادر معلومات الطريقة التاريخية: تنقسم إلى الآتي:

1- مصادر بشرية : وهم شهود العيان، والمعاصرون، والمشتركون في الموضوع قيد البحث أو الدراسة .

2- مصادر مكتوبة ومشاهدة: وتنقسم إلى الآتي:

أ- مخطوطات: بعد إخضاعها للنقد الداخلي بما تتضمنه من نصوص ولغة، وأسلوب، وشواهد، وبراهين وحجج، وتعريضها للنقد الخارجي من حيث الزمن الذي كتبت فيه، والزمن الذي تتحدث عنه، وعلاقتها بما كتب في مجال نصوصها ومضامينها أو ما كتب عنها.

ب- الوثائق الرسمية من مقالات وأفكار، وأشعار وسجلات، وتقارير، وصحف معتمدة، والمذكرات والمراسلات الرسمية والمذكرات الخاصة التي تعتبر هامة لحياة الفرد إذا كان صاحب الحالة المدروسة من الذين يعانون من أمراض نفسية واجتماعية من خلال البحث ألتتابعي لتاريخ حياته والظرف المسببة والمحيطة بحالته والمؤثرة فيها.

ج - الآثار، والتحف، والرسومات، تعتبر شواهد مادية يمكن مشاهدتها وملاحظتها.

الفوائد العلمية المترتبة على استخدامات الطريقة التاريخية:

1- أخذ العبر من التجارب الماضين المثبتة .

2- تُمكِّن من معرفة التاريخ الذي يحتوي على كل مجرب، والبحث عن المجرب وفي المجرب هو البحث عن الحقيقة التي يسعى الباحث للتنقيب عنها كدلائل ومصادق علمية.

3- تُمكِّن من التتبع الزمني والموضوعي باعتبار الزمن الحاضر نقطة انطلاق للبحث في الموضوع الحاضر أو السابق من خلال استقصاء المعلومات والبيانات، ومراعاة المتغيرات التي كانت والتي استجدت على الموضوع سلبيا أو إيجابيا والتعرف على مسبباتها، وآثارها الرئيسة والجانبية.

4- تُمكِّن الباحث من فهم الأحداث والظروف الخاصة بكل حالة وخصوصيتها التي بها تمتاز عن غيرها من الحالات ويعتبر التحليل العلمي والتفسير العلمي هما الممكنان من كشف الحق وإظهارها لحيز المعرفة الوافية.

5 . تُبيِّن للقراء أن الأحداث التاريخية متداخلة وتتداخل فيها عدة أسباب لا ينبغي التغافل عنها، أو إهمالها حتى يكون التفسير لنتائج التاريخ مقصورا على سبب واحدٍ أو عليه بعينها.

6 . تُمكِّن من تفسير القضايا التاريخية وفقا لظروفها وخصوصيتها المكانية والزمانية والموضوعية.

7 – تستمد الطريقة من الموضوع قيد البحث ولا تستمد من غيره ولهذا فلكل طريقة موضوع للبحث العلمي تناسبه ويتوافق معها، ولهذا لا تُروَّم طريقة البحث التاريخي لمشاكل البحث وظواهره ترويما تعسفيا.

8 – تُمكِّن من تحري الصدق، والنزاهة، والتأكد من صحة ما يسجله الباحث من أحداث، وأفكار، ومواقف وظواهر والابتعاد عن التحيز الذي يضعف الموضوع أو ينحرف به عن جادة الصواب.

9 – الاعتماد على المصادر في كتابة التاريخ، أو في أخذ العبر منه، والابتعاد عن التتبع الهامشي الذي لا يصاحبه اليقين وذلك لافتقاده للمصادق والبراهين الموضوعية.

10 – تُمكِّن من التبيُّن الممكن من النقد البناء في تناول القضايا والأفكار والمواضيع، وكذلك تمكن من معرفة آراء شهود العيان وأقوالهم أو أراء الناقلين والملاحظين، والتأكد من الوثائق، وإخضاعها إلى النقد الداخلي والخارجي.

الفصل الثالث

طريقة المسح الاجتماعي

طريقة المسح الاجتماعي:

إنها أحد الطرق العلمية المُمكِّنة من اكتشاف العلاقات الناتجة عن تداخل عدد من المتغيرات التي تؤثر سلبيا أو إيجابيا على الظاهرة مما يستوجب تقصي الحقائق عنها بإجراء مسح شامل للمجتمع المستهدف بالبحث أو الدراسة وهو المسح الذي يطلق عليه بالمسح العام عندما لا تستثني أي مفردة من مفردات المجتمع.

أما إذا حدث الاستثناء فيعني ذلك أنه حدث التخصيص والتحديد الذي ينحصر في اختيار عينة من المجتمع ولذا يتضح الفرق بين المسح الشامل والعينة من حيث الأهداف، ومن حيث الفلسفة، ومن حيث الأهمية.

إن أهداف دراسة المجتمع دون استثناء أي مفردة بشرية منه، يعني الاعتراف بأثر المتغيرات على كل فرد، والاعتراف بأن هناك فروقا فردية، ينبغي مراعاتها، بدراسة المجتمع ككل دون استثناء مما يجعل البحث مستهدف الجميع بالمسح الشامل.

والغاية من البحث العام تدل على عدم الاعتراف بالتمثيل السلوكي والاجتماعي للأفراد والجماعات، ولهذا فلا مبرر لأن يمثل المجتمع بجزء منه وهو قادر على إعطاء الحقيقة دون وسطاء، ولأن المجتمع لم يكن غائبا فكيف لنا بالقبول بمن يمثله أو ينوب عنه.

أمَّا التبرير بصعوبة دراسة المجتمع عن طريق الحصر الشامل هو الذي استوجب تمثيله بالعينة فهو تبرير في غير محله حتى وإن قبلنا ذلك في بحوثنا على الحيوانات والطيور والأسماك والنباتات والجماد فإننا لا نقبله على مستوى من خلقه الله تعالى في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض يصلح ولا يفسد ولا يسفك دما فيها بغير حق.

وبالنسبة للذين يقولون كلما كبر حجم العينة اقتربت صفاتها وخصائصها من صفات المجتمع وخصائصه، نقول لهم نعم من حيث اقترابها، ولكن من حيث

تطابق نتائجها مع نتائج المسح الشامل فلن، وذلك لِما للخصوصية الفردية من دلالة ومعنى، حتى وإن تحدثنا عن أوسع مسح لن نجد من يوم الحشر الذي يقف فيه كل إنسان بما عمل، ولا يحق لأحد أن يمثل الآخر فيه، وهذه عبرة ينبغي أن نأخذ بها في تنظيم حياتنا الاجتماعية والعلمية، وإذا كان ربنا العظيم الذي يعلم بكل شئ لا يقبل بالعينة أن تمثل المجتمع فكيف نحن الذين لا نعلم بما في الصدور نقبل بأن نغيِّبَ المجتمع ونُعمم نتائج العينة عليه؟

وعليه إذا أراد الباحث أن يستهدف نتائج علمية وموضوعية فعليه بتقصي المعلومة لدى كل مفردة من مفردات المجتمع، وإذا تساءل البعض:

كيف يمكن لنا دراسة المجتمع بكامله؟

نقول:

أن حجم المجتمع يختلف من بحث إلى بحثٍ آخر، أي أن حجم المجتمع يحدده الموضوع قيد البحث أو الدراسة ولم يتحدد هكذا عفويا وفقا لرغبة الباحث، ولأن من أهداف المسح الاجتماعي الرئيسة هو التعرف على معالم المجتمع ومواقفه وثقافته وأنماط حياته وقيمه، إذا من الذي سيعكس واقع المجتمع إن أردنا معرفة تامة غير منقوصة؟ بالتأكيد لن يكون أحدا غير المجتمع ذاته.

ولأن كلمة المجتمع كلمة عامة غير محددة فإن الباحث سيكون أمام إشكالية في المفاهيم إن لم يحدد اصطلاحا أي مجتمع يقصد أو يعني، فهل هو المجتمع الإنساني أم انه مجتمع القرية أم المدينة؟

فهل يعني بكلمة المجتمع:

المجتمع المسلم؟

المجتمع العربي؟

المجتمع الليبي؟

أم يعني به مجتمع مدينة طرابلس؟

أم مجتمع المدينة القديمة؟

أم مجتمع المنحرفين؟

أم مجتمع المهندسين؟

أم انه المجتمع السمكي؟

أم أنه المجتمع الحيواني؟

أم أي مجتمع يقصد من غير ذلك؟

لذا جاءت الضرورة لتحديد المصطلحات حتى يُفك اللبس والغموض الذي قد يعلق في ذهن القراء والدارسين والباحثين.

وبما أن الباحث لا يمكن أن يتناول بالبحث مجتمعا مجهولا إذا عليه بتحديد مجتمع بحثه كما وموضوعا وزمانا ومكانا مع تحديد الفترة الزمنية المستهدفة بالمسح الشامل أو المسحي باختيار العينات.

وبما أن للبحث موضوعا. إذن للموضوع مجتمعا. فإذا كان موضوع البحث هو انحراف الأحداث في مدينة طرابلس فيكون مجتمع البحث هو كل المنحرفين في مدينة طرابلس، وليس كل سكان مدينة طرابلس، ولهذا يستهدف المسح الشامل كل المنحرفين ولا يستهدف غيرهم، وعادة يتم التعامل في مثل هذه المواضيع مع الحالات المسجلة في المؤسسات الإصلاح الاجتماعي، ولذا فمهما كبر العدد ليس من الصعب دراسته. وإذا كان من الممكن أن يجزأ موضوع الانحراف إلى مواضيع أخرى حسب نوع الانحراف تكون الدراسة أكثر دقة وعلمية، وذلك كأن يجزئ الباحث موضوع الانحراف العام إلى مواضيع تتعلق بظواهر انحرافية كحالات السرقة، وتناول المخدرات، والقتل عمدا، والهروب من المنزل، وتخريب المؤسسات العامة أو هدر المال العام فهذه المواضيع عندما يرتكبها الأحداث تندرج تحت موضوع عام هو انحراف الأحداث، ولكن الانحراف أنواع مما يستوجب تجزئتها وفقا لكل نوع كما بينّا.

وعليه دراسة المواضيع الإنحرافية السابقة بطريقة المسح الشامل تكون متيسرة وبدون صعوبة، ولو أخذنا موضوعا آخر وليكن (حالات الطلاق في سوق الجمعة بطرابلس)، فإن جميع حالات الطلاق مسجلة ويمكن معرفتها عن طريق المؤسسات الرسمية ذات العلاقة ويمكن إجراء مسح شامل عليها، ومهما كبر حجم مجتمع البحث فلن يكون بحثا لجميع السكان، الذين يحصون كل ثلاثة أو خمسة أو عشرة سنوات عن طريق المسح الشامل الذي لم يكن هدفه جمع معلومات عن ظاهرة آو مشكلة بقدر ما يهتم بالحصر الكمي الذي أصبح ميسرا عن طريق الحاسوب الذي يضاف فيه كل مولود جديد ويمحى منه كل من انتهت به الأيام إلى طلب الرحمة والمغفرة مع عالم الأموات أو الشهداء.

ولكن إذا كان من الضروري أن يتم اختيار عينة للبحث أو الدراسة بناء على الموضوع المحدد للبحث فإن النتائج المتوصل إليها عن طريق العينة لا يمكن أن تمثل المجتمع الذي أخذت منه، بل أنها تمثل جميع أفراد العينة فقط .

ومع ذلك فإن النتائج المتوصل إليها عن طريق البحث بالعينات تعطي مؤشرات هامة لدراسة المجتمع ككل، أو البحث في مواضيع أخرى ذات علاقة بالنتائج المتوصل إليها.

أهمية طريقة المسح الاجتماعي الشامل:

إنه يُمكِّن من التعرف على علل الظاهرة أو علل موضوع البحث مباشرة من قبل الذين تربطهم علاقة به دون استثناء لأحد منهم.

وتكتمل المعلومات ويتم التعرف عليها وربط العلاقة بين العوامل المكونة لها باكتمال آراء أفراد كل المجتمع (مجتمع البحث) وأحكامها قاطعة وفق المعلومات المتحصل عليها. أما العينة فإنه من الصعب الثقة في معلوماتها والاعتماد عليها في وضع الخطط العامة لأنها جزء من المجتمع وقد تكون آراؤها مخطئة حتى وإن تم قبول البحث باعتماده لنسبة من الأخطاء المعتمدة أو المتوقعة من قبل الباحث.

ومن الأهمية أيضا قد يتحقق الرضا العام لنتائج المسح الشامل، والذي لا ترتقي العينة لتحقيقه.

إن المسح الاجتماعي طريقة ذات خطوات موضوعية تتبع في التعرف على صفات ظاهرية موجودة في الزمن الحاضر، وهذه الصفات يعترف بالتعبير عنها وفق المعلومات المُجمَّعة في استمارة مقابلة أو استبيان أو مشاهدة سلوك.

ولذلك تُجمَّع المعلومات وفق خطة تراع فيها الأهداف، والفروض المصاغة وتحلل حسب معطياتها العلمية وتساهم في عملية الإصلاح الاجتماعي والسياسي، والاقتصادي.

ولأن المسح الاجتماعي يهتم بالظاهر عند الإنسان، فهل يستطيع أن يظهر هذا الإنسان كل ما في وجدانه كما هو للعيان دون أن يتأثر أو دون أن يراعى نواميس المجتمع ودينه؟

ولذا، وصف ما هو ظاهر وبكل دقة قد لا يكون هو نتيجة انعكاسات ما في الباطن، أي لا يمكن أن تكون الأقوال والأعمال هي في حالة تطابق مع ما تكنَّه النفس أو تضمره، ولهذا نقول دائما الأعمال بالنيات.

فقد يقول الفرد المبحوث أو قيد الدراسة عندما يسأل أثناء المقابلة معلومات خاطئة تماما مع حقيقة الأمر الذي يعرفه وذلك لأن الإنسان في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع بطبعه الاجتماعي يصدق ويكذب. وكما نعلم لقد كذب البعض على الله جل جلاله فكيف لا يكذب المبحوث على الباحث.

وبناء على ذلك أتساءل:

. هل الدراسات التي تعتمد على المشاهدة والاستبيان في دراسة الحالات الفردية، والجماعة يُعتمد عليها في العلاج والإصلاح خاصة ونحن نعرف أن في خطة البحث التي سينتهجها الباحث للوصول إلى أهدافه البحثية تقبل بنسبة خطاء لإجازة المعلومات والنتائج المتوصل إليها؟ وغالبا ما تكون هذه النسبة 5% ويتم التصديق

بنسبة 95% ومع ذلك لم يكن للباحث برهان لإثبات صحة ما قاله بنسبة 95% من المبحوثين بأنه الحق. وذلك لأن الاستبيان عبارة عن أسئلة نابعة من فروض ومحتوية على مجموعة من المتغيرات، ومعدة مسبقا من قبل الباحث، وبالتالي الاستجابات أو المعلومات المطلوب الحصول عليها لم تكن جدلية، إلى جانب انه لم يحدث تفاعل بين ورقات الاستبيان والمبحوث.

ولذلك فالمعلومات بدون جدل وحوار واستيضاح وتفهُّم وتقبل من خلال الإحساس بأهميتها للمبحوث لا تخدم الأهداف العلمية، ولا الاجتماعية ولكن يجوز أن تخدم مصلحة خاصة للباحث بأن ينجز بحثه لينال عليه مقابلا ماديا أو معنويا.

وبما أن نتائج البحوث ينبغي أن تترتب عليها حلول ومعالجات ومقترحات قد تكون على مستوى الدولة السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي فيجب إخضاع نسبة 95% من مجتمع البحث للاختيار، والذي لا يتحقق عن طريق الاستبيان، بل يتحقق عن طريق المقابلة مصداقا لقول الله تعالى: { لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ}[1].

ليس من العيب أن يسأل الإنسان عمَّ يقول للتأكد من براهينه على ما قاله حتى يؤخذ رأيه مع الآراء الأخرى المتأكد من صوابها وفرزها عن الآراء التي لا تستند على مصادق موضوعية، ولذا أصبح البحث الذي ينبغي أن يجاز بأخطاء 5% يحتوي على أخطاء 55% تقريباً.

وبما أن استمارة الاستبيان تعد مسبقا فإنها بالنسبة للمبحوثين توزع عليهم جاهزة، وما على المبحوثين إلا قبولها كما هي وبأخطائها المعتمدة من قبل الباحث ومع أنها تُجرَّب على نسبة قليلة من المجتمع المستهدف بأخذ العينة منه، وتُنقَّح بعد تجريبها وتصحيحها لغة وأسلوبا ومفهوما ومصطلحا إلا أنها لا تتخلص من

---

[1] الأحزاب ، الآية 8 .

الغموض بالتمام والكمال مما يجعل البعض بعد تعميمها عليهم لملأها يقعون في أخطاء مقدرة بنسبة 5% كما سبق أن وضحنا.

وحتى إن سلمنا بمصداقية المعلومات المتحصل عليها من خلال استمارة الاستبيان فإن الأخطاء المتوقعة لها لا تجيزها لدراسة المسح الشامل، والأخطاء المتوقعة هي:

1-عند التجريب تتضح أخطاء الاستمارة ولكن لوجود فرصة التعديل والتصحيح يحدث التصويب والضبط .

2-عند تعميم الاستمارة على أفراد العينة بأخطاء مقبولة تساوي 5% ، تصبح نسبة الأخطاء أكثر عند تعميم النتائج على أفراد المجتمع .

مثال : لو افترضنا أن حجم المجتمع = 50.000 نسمة ، وأن نسبة العينة = 5% فيكون حجم العينة يساوي 2500 مفردة.

وبما أن الأخطاء التي ظهرت في استمارة الاستبيان بالفعل كانت 5% كما هو متوقع من حجم العينة الذي يساوي 2500 مفردة نتيجة غموض في بعض الأسئلة، أو التباس في المعنى أو المفاهيم أو نتيجة عدم تركيز المبحوث على محتوى الاستبيان، أو عدم قدرة المبحوث على القراءة المدرسية التي تختلف عن القراءة والكتابة المتعرف عليها في الكتاتيب، وكذلك لعدم وجود جرأة أدبية تجعل المبحوث على مقدرة لسؤال الباحث.

وإضافة إلى ما سبق ذكره لو عُمم هذا الاستبيان على المجتمع فقد يجد الباحث أن هناك البعض الذي لا يقرأ ولا يكتب وأن هذا البعض من قبل المستهدفين بالبحث وينبغي له أن يجيب على استمارة الاستبيان، فهذه أخرى تزيد من ارتفاع نسبة الأخطاء خاصة إذا كان التوزيع للاستمارة غير مباشر.

وعليه، نستنتج مما سبق أن نسبة أخطاء الاستبيان تزيد إذا عممت نتائج العينة على المجتمع الذي أخذت منه.

فحسب المثال السابق أن حجم المجتمع 50000 مفردة وحجم العينة 2500 مفردة وأن نسبة الخطأ عند دراسة العينة كانت 5%، وبما أننا سنعمم نتائج العينة على المجتمع، إذن علينا أن نعمم أيضا نسبة الخطأ المقبول والذي تحقق من العينة 2500 مفردة.

هذا يعني أن كل 2500 مفردة قد تقع في أخطاء 5%، وبناء على ذلك لو جمعنا نسبة أخطاء الاستبيان بعرضه على أفراد المجتمع 50000 مفردة يكون مجمل نسبة أخطاء الاستبيان تساوي 100% لأنها تساوي حجم العينة 2500 مفردة.

وهذه النسبة لم يتم من خلالها اختيار نسبة الصواب المتحصل عليها وهي 95% والتي يمكن أن تكون نتائجها أكبر من قبولها الظاهري كنسبة مئوية لو تعرضت لإجراء مقابلات مع الأفراد المتكونة منهم، وهكذا تنقص هذه النسبة إلى أن تصل إلى 10% ، وترتفع نسبة الأخطاء إلى أن تصل إلى 100% ، مما يجعلنا نتساءل:

. هل يمكن بعد ذلك الاعتماد على تعميم نتائج الاستبيان؟

ـ هل تصبح دراسة العينة التي تهدف من ورائها التعميم دراسة علمية يعتد بها ويعتمد عليها؟

. هل العينة في هذه الحالة تمثل المجتمع؟

وبما أننا نجيز المسح الاجتماعي العام فهل يفضل أن يدرس الباحث المجتمع دون سابق معرفة به؟ أم يفضل التعرف على خصائصه وصفاته أولا؟ أي هل يمكن للباحث أن يدرس مجتمعا لا يعرفه أو لا يعرف عنه شيئا؟

وعليه، فإن البحث العلمي ينبغي أن يُبني على معرفة نظرية لتسنده في ميادين المعرفة والبحث العلمي موضوعيا، فبدون سابق معرفة لا يمكن أن يتحدد الموضوع، ولا يصاغ الاستبيان بدقة تُمكِّن إجراءاته من التقنين والاحتكام إليها، ولذا ففهم المجتمع، ومعايشته، والقرب منه هو الاستطلاع العلمي الذي يساعد على

اختيار المواضيع وصياغة فروضها واستمارات استبيانها أو مقابلاتها. وذلك لأن من أهداف طريقة المسح الاجتماعي هو التعرف على معدل توزيع بعض الخصائص الاجتماعية كالمهنة، والسن، والنوع، والحالة الاجتماعية ونوع المهنة أو الحرفة، ومتوسط الدخل السنوي وغيرها كثير. وكذلك تهدف طريقة المسح الاجتماعي إلى تقويم أوضاع قائمة، ومعرفة ما هو كائن، ومدى ارتباط الخصائص الاجتماعية بأنماط السلوك أو الاتجاهات الاجتماعية.

ولذلك فإذا كان الاهتمام بالكيف، ينبغي التعرف على الأسباب والعلل التي كانت وراء السلوك، أو الظاهرة، أو الحالة، أما إذا كان الهدف التعرف على معدل توزيع بعض الخصائص، فهذه مسألة مختلفة، فالأول مضامين وعلل، والثاني أرقام ونسب، وإذا تعاملنا مع المجتمع وقيمه على أساس كمي، فإنه من الصعب علينا معرفة المجتمع وقيمه والحالة التي هو عليها، لأن مضامين المجتمع معان، وقوانين طبيعة، وأديان، وأعرف وقيم وفضائل، وأصل وانتماء.

إذن تهدف طريقة المسح الاجتماعي إلى وضع تصورات، ومقترحات للمستقبل، وبما أنها تهدف إلى ذلك لذا ينبغي فهم الحاضر جيدا وبعمق لا بالاقتصار على وصف الظواهر فقط. لأن المجتمع كما وضَّحنا سابقا له ونواميس وقيم وفضائل لا تُشخَّص بالوصف، ولا يمكن فهمها إلا بالغوص فيها وتتبعها، ولهذا فطريقة المسح الاجتماعي ترتبط بالواقع من حيث خصوصية الموضوع والمكان والزمان مما جعلها تؤكد على أهمية ربط الحاضر بالماضي والمستقبل دون انفصال، وذلك من أجل وضع الخطط ورسم السياسات والاستراتيجيات التي بها تتطور الأحوال وتتغير إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع وأحسن.

فمن أراد أن يقتدي أو يعتبر، عليه أن يعود إلى الماضي الذي يحتوي على التجارب الإنسانية والاجتماعية بحيث لا يكرر جهودا غير مثمرة، أو أن يضع

تصورات سبق وأن جُربت ولم تحقق نجاحا، وحتى لا يضيع جهده ووقته هباء منثورا، فعليه أن يطلع على سنن الأولين.

إن أي أسلوب أو منهج إذا أنعزل عن المحتوى الفكري للموضوع فإن نتائجه لا تؤدي إلى قوانين ولا نظريات، وهذا ما يلاحظ على المسح الاجتماعي الذي يهتم بالأوصاف، والأشكال، والأرقام دون الاهتمام بالعلل التي أنتجت المتغيرات التي تكثر في البحوث المسحية.

ونحن لا اعتراض لنا على استخدام الأرقام نسبا وكميات فهذا أمر مهم ولكن الاقتصار عند حدود الكم دون النظر إلى الكيف هو الذي نُبدي تحفُّظا حوله.

فالذي يهم الباحث في دارسة حالات السرقة على سبيل المثال هو: لماذا تفشت السرقة في مجتمع من المجتمعات بشكل جعلها ظاهرة؟

فما يهم الباحث في بحثه لهذه الظاهرة، هو معرفة الأسباب التي جعلت من أبناء المجتمع سُرَّاقا، فهل هي:

. متغيرات الظروف السياسية؟

. أم أنها متغيرات الظروف الاقتصادية؟

. أم أنها متغيرات الظروف الطبقية؟

. أم أنها بأسباب الغزو والاستعمار إن تعرض البلد للاحتلال؟

. أم أنها أسباب أخرى؟

كل هذه تهم الباحث مما يجعله يبحث لأجل معرفتها على أرض الواقع، بهدف إيجاد حلول ومعالجات، ولذلك لا يتوقف الباحث عند معرفة حدود الكم ونسبه المرتفعة بل يتوجَّه إلى معرفة الأسباب ومكامن العلل، ولذا فالكم ونِسبه المرتفعة يُفيد كثيرا في معرفة حجم المشكلة، أمَّا معرفة العلل والأسباب يفيد كثيرا في معرفة المعالجات وإيجاد الحلول الموضوعية.

ولهذا لا يمكن أن يؤدي المسح الاجتماعي من خلال نتائجه الوصفية إلى نظريات إذا لم يتوحَّد مع المحتوى الفكري للموضوع.

ولكي يصبح المسح الاجتماعي إصلاحي ينبغي أن يهتم بمعرفة العلل والأسباب المكونة للظاهرة أو الموضوع التي تراكمت من الماضي إلى وقت ظهورها، ولذا فإتباع خطوات الطريقة المسحية يؤدي إلى معرفة الآتي:

أ – معرفة الظرف الزماني بماضيه وحاضره.

ب – معرفة الظرف المكاني الذي ظهرت فيه المشكلة.

ج – معرفة طرفي المشكلة ليتم الصلح بينهما سواء أكانوا أفرادا أم جماعات أم مجتمعات.

د – معرفة لب المشكلة ومرتكزات مكامنها من خلال معرفة أسبابها ومعطياتها، ومضمونها والمتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة عليها.

وبعد معرفة الظاهرة أو المشكلة، وأسبابها، وظروفها وتحديد أطرافها بالبحث الموضوعي يُمكن أن يحدث الإصلاح أو تتحقق المعالجات.

بناء على ما تقدم تتضح الأسس التي ينبغي مراعاتها عند البحث إذا أردنا أن يكون المسح الاجتماعي إصلاحيا وإلا لا داعي لإطلاق هذه الصفة عليه.

أنواع المسوح الاجتماعية:

أولاً – المسوح الاجتماعية من حيث مجال البحث أو الدراسة:

وتنقسم إلى مسوح عامة، ومسوح خاصة.

1– المسوح العامة: هي التي تهتم بمسح الظاهرة أو الموضوع بشكل شمولي وهي كمن يمسح الأرض ليقيم عليها بناء أو إنشاء، وذلك لأجل تحديد نوع التربة ومكوناتها ودرجة تماسكها وتحملها، وأهمية موقعها في المخطط العام ، ومعرفة المعالجات السابقة إن وجدت، والتوقعات المستقبلية لعمرها الزمني وأهميتها الاقتصادية للمجتمع أو الدولة بشكل عام.

ولذا فالمسوح العامة تستهدف معالجة عدة أوجه من خلال البحث أو الدراسة الموضوعية فتهتم بالجانب التعليمي، والصحي، والسكني، والإنتاجي، والخدمي والسياسي كمعطيات تتداخل في تحديد أهمية البحث ودراسة المواضيع ووضع الخطط المستقبلية بشأنها.

2 – المسوح الخاصة: هي التي تركز على جوانب محددة كبؤرة اهتمام كأن تقتصر على جانب من الحياة الاجتماعية بكل دقة ووضوح، وتتسع دائرة التركيز هذه لتبيان العوامل المتداخلة في الموضوع كالتعليم، أو الصحة، أو الاقتصاد، أو قطاع المرافق والخدمات.

فلو أخذنا التعليم كمثال يكون التركيز على أهميته للمواطن أو للمتعلم من حيث تأهيله وإعداده علميا ومهنيا أو حرفيا وبما يُمكِّنه من الحصول على فرصة عمل تناسب ما أهل من أجله.

ثانيا – المسوح الاجتماعية من حيث المجال البشري:

وتنقسم إلى نوعين: شاملة (المسح العام)، ومسوح محدودة تقتصر على اختيار العينة.

1– المسوح الشاملة:

وهي التي تهدف إلى البحث في كل مفردات المجتمع دون استثناء وتسمى طريقة المسح الشامل وهذه تمتاز بأهميتها العلمية في جمع المعلومات، البيانات، وتحليلها واستخلاص النتائج منها ثم تفسيرها وعرض الحلول والمقترحات والتوصيات.

والمقصود بالبحث الشامل هو الذي يجريه الباحث على مجتمع الموضوع أو المشكلة أو الإشكالية أو الظاهرة ولا يقصد به كل أفراد المجتمع السكاني، أي انه المجتمع المعني بالبحث ولا علاقة له بمن لا علاقة لهم بمشكلة البحث فهو المقصور على حدود البحث التي صاغها الباحث لبحثه.

فلو اخترنا مجتمع البحث سكان المدينة القديمة بطرابلس، فإننا سنستهدف بالبحث كل المقيمين في المدينة القديمة، إلا إذا استثنى الباحث البعض بأسباب موضوعية كأن يكون موضع البحث أو الإشكالية خاص بالسكان الليبيين مما يجعله يستثني الأجانب إن وجدوا من ضمن السكان في المدينة القديمة.

إن المسح الشامل هو الذي يعكس الواقع الفعلي للمجتمع قيد البحث، وإن النتائج المتوصل إليها تخص مجتمع المدينة القديمة المتكون من المواطنين الليبيين فقط، وبالتالي إن نتائجه لا يمكن تطبيقها على مجتمع آخر حتى ولو كان من الليبيين.

وعليه فإن نتائج المسح الشامل تُطبَّق على المجتمع الذي تجرى البحوث عليه، ولا يجوز أن تطبق على غيره، وذلك بأسباب خصوصيات المكان والزمان والموضوع والمستوى التعليمي والثقافي ومتغيرات الأديان والأعراف، وهكذا يكون التباين بين البحوث التي تجرى على المجتمعات سواء أكانوا سكان مدن أم قرى أم غيرها.

2 – المسح بالعينة: وهو الذي يحدد حجم مجتمع معين وفق اختيارات منهجية لأنواع العينات تقرُّبا إلى اختيار تقل فيه نسب الأخطاء والتحيز قدر الإمكان.

وتُعمم نتائج العينة على بقية أفراد المجتمع الذي اختيرت منه عينة البحث وتقترب صفاتها وخصائصها من صفات وخصائص المجتمع كلما زاد حجمها وتبتعد كلما قل حجمها أو صغر؛ وسواء اقتربت أو ابتعدت الصفات والخصائص فإن نتائجها تعمم على من لم يشركوا أو يستهدفوا مباشرة بالبحث، وبما أن هناك خصوصيات للفرد، والجماعة، والمجتمع فإن تعميم نتائج بحوث العينات في العلوم الاجتماعية والإنسانية على من لم تجر عليهم مسألة تحفُها الشكوك.

أدوات المسح الاجتماعي:

من أهم أدواته الآتي:

1 . المشاهدة.

2 . الملاحظة.

3 . المقابلة.

4 . الاستبيان.

5 . التصنيف ألقيمي.

خطوات الطريقة المسحية:

تنتظم خطوات الطريقة المسحية وفقا للخطوات الآتية:

1- رسم الخطة التي تحتوي على المنهجيات وتقنيات البحث الآتية:

أ . تحديد مشكلة البحث.

ب . تحديد أهمية البحث.

ت . تحديد أهداف البحث.

ث . تحديد حدود البحث.

ج . تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.

ح . تحديد الطريقة أو الطرق المتداخلة من أجل إنجاز البحث وتحقيق أهدافه.

خ . استطلاع الدراسات السابقة إن كانت هناك ضرورة موضوعية لذلك.

د . تحديد الأدوات أو الوسيلة المناسبة لجمع المعلومات من مصادرها.

2- كتابة الإطار النظري الذي يتناول الباحث فيه النظريات أو أدبيات المهنة أو ميدان التخصص وربطه بالمتغيرات المستهدفة بالبحث.

3 . تحديد الإطار الميداني أو المعياري الذي يحدد وفقا للمعلومات التي تُجمَّع من المبحوثين المستهدفين بالبحث سواء أكانوا أفرادا أم جماعاتا أم مجتمعا أم أكانوا وثائقا أم أكانوا إمكاناتا ومعطياتا مادية كالتربة والثروة المعدنية والثروة الحيوانية والزراعية أو المصانع أو المعسكرات والمدارس أم غيرها وغيرها كثير.

4 – تحليل المعلومات والبيانات.

5 – عرض النتائج.

6 – كتابة التقرير.

جوانب القصور في طريقة المسح الاجتماعي:

ولأن الكمال لله تعالى إذا لابد وأن يكون القصور في من يستخدم هذه الطريقة أو غيرها من الطرق البحثية الأخرى، ولهذا نقول: إن كان هناك قصور فلا يلحق الطرقة ولكن يلحق المستخدمين لها من حيث الآتي:

1- إن أقصروا البحاث بحوثهم على ما هو حاضر وبمنعزل عن الماضي الذي يشكل له إطارا مرجعيا، وذلك لأن الظواهر والمشاكل كمواضيع للبحث هي ظواهر لأسباب ماضية، مما يجعل صعوبة البحث في الظواهر بمنعزل عن الأسباب التي أظهرتها، مما يستوجب العودة إلى متغيرات الماضي ومقارنتها مع متغيرات الحاضر وفقا للمتطلبات والتوقعات المستقبلية في دائرة الممكن.

2- أن نتائج المسح الاجتماعي لا تؤدي إلى نظريات إذا انعزلت عن محتواها الفكري الذي أثر في الظاهرة قيد البحث.

3- إن تكرار المسوح الميدانية عن طريق الاستبيان على المجتمع أو العينات المأخوذة منه قد يسبب الملل والقلق والتهرب لدى المستهدفين بالبحث خاصة إذا لم يلمس المبحوثين نتائجا إيجابية من البحوث التي أجريت عليهم في السابق.

4- إن البحوث المسحية لا تهتم بتفاعل المبحوثين مع موضوع البحث بل الذي يركز عليه بعض البحاث هو تجميع معلومات وبيانات كمية من خلال متغيرات محددة، ولذلك فإن أهمية البحث لا يحس بها المبحوث من خلال الأسطر البسيطة التي يكتبها الباحث في مقدمة الاستبيان بل المبحوث يحس بها عندما يحس بأن الموضوع يمس مباشرة مشكلته وما تتركه عليه من آثار جانبية.

5- المسح الاجتماعي يكثر من دارسة العينات ويعمم نتائجها على من لم يشترك مباشرة في البحث، ولذلك فإن تعميم نتائج العينات يتضمن تعميم عيوبها على من لم يكن من مفردات بحثها.

6- بعض البحاث المستخدمين لطريقة المسح الاجتماعي يتعمدون قصرها على البحث في الظاهر في الوقت الذي يعرف فيه الجميع أن الظاهر في كثير من الأحيان لا يعكس حقيقة الواقع ولا علاقة له بما هو كامن.

الفصل الرابع
الطريقة التجريبية

الطريقة التجريبية:

يعتبر التجريب موقفا مصطنعا يُهيئ لإثبات حقائق أو بطلانها أو نفيها من خلال البحث والتقصي الدقيق ملاحظةً ومشاهدةً ومعايشةً، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية تكون الحقائق كامنة وتظهر في التصرفات والسلوك والأفعال والأعمال التي تخضع للمشاهدة والملاحظة، ولكن ليس من السهل إظهار الكامن للمشاهدة، والملاحظة، وهنا تكمن الصعوبة العلمية التي تواجه العلوم غير الطبيعية، فالذي يود البحث مشاهدته وملاحظته يقع تحت سيطرة المبحوث وظروفه الخاصة التي قد لا يسمح بإظهارها للمشاهدة والملاحظة أو لا يسمح إلا بإظهار جزءا بسيطا منها، وقد يُظهر عكس حقيقة الموقف أو الحالة أو الظاهرة التي هو عليها وذلك لاعتبارات تستوقفه أمام الآخرين وفي هذه الحالة تكون المعلومات المتحصل عليها عن طريق أداة الملاحظة والمشاهدة غير صحيحة وبالتالي غير علمية.

وحتى التجريب عن طريق المجموعة الواحدة أو المجموعتين أو أكثر إذا اعتمدنا فيه على المشاهدة والملاحظة قد تكون أحكامنا غير صائبة مائة في المائة لأن المجموعة أو المجموعات التجريبية والضابطة وإدخال المتغيرات عليها أو على بعضها يجعل المُجرَّب عليهم تحت تأثير مباشر من الباحث، وهنا قد يتصنَّع بعض المبحوثين أو حتى جميع المبحوثين إظهار التزام أو انضباط مبالغ فيه أمام الباحث وهذه ليست بحقيقة مما يجعل الباحث إن احتكم فقط بما يشاهده يقع في أخطاء تكون ضارة بالبحث وذلك بأسباب السلوك المصطنع من قبل المبحوثين أو بعضا منهم.

ولذا فإن تعمم نتائج البحوث التي تتأثر بما سبق ذكره على مجموعات أخرى لم يتم اختيارها من ضمن المجموعات التجريبية ولا الضابطة قد لا يفيد في معالجة المشاكل الاجتماعية والنفسية التي تتطلب مراعاة كل خصوصية وما يتعلق بها من ظروف موضوعية.

وبما أن دراسة الإنسان من حيث مشاعره وأمانيه، واستعداداته وحبه، وأمله، وكرهه مسألة يصعب التحكم فيها والتأكد منها لذلك من الصعب إخضاع كل ذلك للتجريب المباشر. ولهذا لا يمكن إخضاع المشاعر للتجريب والمشاهدة، مما يجعل البحاثة يلتجئون إلى استخدام الأساليب الإسقاطية لفهم النفس وما تكنَّه من معلومات تفيد دراسة الحالة وتحليل المعلومات المتعلقة بها وكذلك تفيد تشخيصها من خلال معرفة العلل ومكامنها والأسباب وما يترتب عليها لأجل التوصل إلى النتائج وبلوغ مرحلة العلاج المؤسس على العلم والمهارة.

ولأن الإنسان عاقل ومجادل إذاً بطبيعة الحال هو قادر على أن يخفي ما في نفسه ولا يعلمه لأحد، ولهذا يكون الجدل والنقاش والمقابلة من أفضل الوسائل في الحصول على المعومات من البشر مما يجعل للمقابلات العلمية أهمية كبرى في مجالات العلوم الاجتماعية والنفسية، ولذا فإن التجربة الاجتماعية تحتاج إلى ظروف زمنية ومكانية تختلف عن ظروف التجارب المعملية وتجارب المختبرات التي تُجرى على الحيوانات والنباتات والأسماك والطيور وغيرها كثير.

تجارب المعامل والمختبرات قد تعطي نتائج فورية، أما تجارب البشر فتحتاج إلى زمن أطول كي تعطي حقائق وأدلة يحتكم بها أو يتحكم إليها أو حتى لمجرد أن يتم التعرف عليها، كلنا نريد الخبز ساخنا، ولكن هل يمكن الحصول عليه بدون فترة تخمير؟ فما بالك إذا في التجارب الاجتماعية التي تحتاج إلى زمن أطول من زمن التخمير لتكون جاهزة للتعرف عليها استحسانا واستئناسا أو استغرابا وتجنبا، ولهذا تُعد الحياة في السجن تجربة للسجين، ومن أراد من البحاث أن يعرف تلك التجربة فعليه أن يتوجه إلى السجن ليتعرف على حياة السجناء من خلال التجربة التي لم تُصطنع اصطناعا كما هو حال التجارب في المعامل والمختبرات.

وكذلك العزوبية تجربة تتطلب البحث من قبل من يرغب أن يتعرف على ما فيها من إيجابيات وسلبيات وقضايا وهمومها.

والزواج تجربة يمكن التعرف على ما فيه من ميز أثناء التراضي والتوادد، وما فيه من عيوب أثناء الغضب واستعراض المزايدات بين الزوج والزوجة.

وهكذا الطلاق مع أنه حل إلا انه تجربة مُرَّة، وأسبابه اختلاف وعدم تقدير أو فقدان ثقة، والأضرار المترتبة عليه كثيرة قد تلحق الأبناء وقد تمتد لعداوات بين الأسر.

الكفر تجربة، والإسلام تجربة، والهروب من المدرسة تجربة، والبطالة تجربة، والعمل العام تجربة، والعمل الخاص تجربة تختلف عن تجربة العمل العام، والاستعمار تجربة، والجهاد تجربة وعبادة بالنسبة للمسلمين إذا توفرت شروطه ومعطياته. وكذلك الحكم تجربة والنظم الاقتصادية والسياسية تجارب عندما تنتظم المجتمعات وفق فلسفتها، والحرية تجربة، والعبودية تجربة، وفترة التعلم والتعليم تجربة، والالتزام تجربة، وهكذا الحياة الاجتماعية والإنسانية مليئة بالتجارب التي تستوجب البحث والبحاث غافلون عنها.

وهكذا تتعدد التجارب الاجتماعية وتتجدد وتتنوع، وهي أفضل ميدان ومادة تجريبية لمن أراد أن يُقدِّم جديدا أو أراد أن يتقدَّم به في ميادين العلوم الاجتماعية ولإنسانية، إنها التجارب العظيمة التي تُثري كل التخصصات العلمية وتمد المتعلمين بالخبرة والعبرة.

إن احترامنا للعلوم الطبيعة والاعتراف برسائلها العلمية يزداد وذلك لالتزامها بإجراء التجارب في ميادينها، وهي تهدف إلى بلوغ كل ما من شأنه أن يُطوِّر الإنسان ويرفع من شأنه اقتصاديا وعلميا ومهنيا وحرفيا.

أما العلوم الاجتماعية فهي لا زالت متأخرة إن لم تلتفت إلى ميادينها المليئة بالتجارب لتخصُّها بالبحث حتى تكون لها هوية كما هو حال العلوم الطبية التي أصبحت لها هوية بها تتميز وبها تعتز.

ومع أن لكل علم ميدانه الخاص به وطريقته الخاصة به ومنهجه الخاص به إلا أن الغاية من البحوث العلمية هي الإنسان في كل العلوم والميادين البحثية والجامعات

ومراكز البحث العلمي، أي كل التجارب والبحوث التي تُجرى تكون نتائجه من أجل الإنسان، فعندما تجري التجربة على أرنب أو حمامة أو شجرة أو طائر أو سمكة أو نبات أو بالمطلق كل ما يخضع للتجريب لم يكن هو المستهدف لذاتها مع إنه المُجرَّب عليه (الضحية)، فالإنسان قيمة رفيعة لا يُجرب عليه بما يُعرِّضه للخطر، بل يخضع للتجربة التي فيها يجد أهميته واحترامه وتقديره ومكانته ولهذا فاحترام العلوم الطبيعية للإنسان وتقديسها له لم تخضعه للتجربة ولم تعرضه للخطر.

ولهذا إذا أردنا للعلوم الاجتماعية والإنسانية أن تتقدم فعلينا بالبحث والدراسة في التجارب الحياتية للمجتمعات والشعوب وان نُسخِّر العلوم لخدمة الإنسان لا للتجريب عليه.

ولذا فمهما يحاول البعض أن يفضل العلوم الطبيعية عن الاجتماعية لا يتحقق له ذلك، وما الفصل الظاهري بينهما إلا لتبيان المسار المنهجي لكل منهما في ميادينه التي فيها يتميَّز. فعلى سبيل المثال: مجتمع كان عدد سكانه قبل عشر سنوات مليوني نسمة، ثم أصبح الآن ستُ ملايين نسمة نتيجة الزيادة العادية ونتيجة الهجرة إليه من الخارج، وأن المستوى الاقتصادي للفرد وللأسرة كان تحت المقبول نتيجة اعتماده على المجهود العضلي الذي يبذله الفرد في الزراعة، والصيد، والصناعات التقليدية، ثم خلال هذه الفترة (الأربعين سنة) انتقل البلد إلى الإنتاج الصناعي الحديث، مع اكتشاف النفط مورد اقتصادي كبير، وانتشار المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي وانفتاحه على العالم وما لديه من علوم وتقنيات متقدمة، هذه حالة مجتمع من المجتمعات إن أخضعناه للبحث باستخدام وسيلتي الملاحة والمشاهدة، نلاحظ الآتي:

. زيادة عدد سكان.

. ارتفاع مستوى الدخل.

. ارتفاع المستوى الثقافي.

. ارتفاع عدد المتعلمين ونسبتهم في المجتمع الذي كان يعاني من ويلات الجهل.
. التغيُّر السياسي.
. التغيُّر الاجتماعي من البساطة إلى التعقيد.
. ارتفاع المستوى الصحي وتحسُن أحوال المواطنين الصحية.

إن مثل هذه الحالة تحتاج إلى بحوث ودراسات علمية لمعرفة لماذا لم تستمر البساطة مع التقدم والتطور الذي حدث على حياة المجتمع وظروفه؟

وهكذا ينبغي أن تتوجه البحوث إلى البحث في تجارب الشعوب من خلال ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية لمعرفة أثر المتغيرات السياسية والاقتصادية والعلمية والصحية والثقافية وغيرها من المجالات الأخرى التي لا ينبغي الإغفال عنها.

ولذا فعلى العلوم الاجتماعية أن لا تغفل عن الآتي:

أ – استيعاب العلوم الطبيعية وما وصلت إليه من حيث تأثيرها والنتائج المترتبة على تطبيقاتها في الميادين الاجتماعي والإنسانية، واستنباط الحلول للمشاكل المترتبة عليها أو للظواهر الناتجة عنها.

ب – ملاحظة ومتابعة النمو الاجتماعي والتطورات أو الانحرافات الطارئة عليه، وذلك لأن حياة المجتمعات قابلة للتغيير والتغير حسب المؤثر، ولهذا فالأديان السماوية تؤثر على حياة المجتمعات إيجابيا وكذلك للأفكار الوضعية أثرا على حياة الإنسان سلبيا أو إيجابيا فللبوذية أثرها، وللكنفوشية أثرها، وللماركسية أثرها، وللرأسمالية أثرها ولا ننسى ما للفلسفة من أثرٍ على الفكر الإنساني وسلوكه الثقافي والحضاري حيث بها سادة حضارات ثم بادت وحلت حضارات أخرى محلها وهكذا لن يبقي ثابتا إلا وجه ربُّك ذو الجلال والإكرام.

وعليه كل متغير في حياة المجتمعات والثقافات والحضارات ينبغي أن يتوجه البحاث الاجتماعيين إليه بالبحث والدراسة لمعرفة كنوزه وأخذها قبل أن تزول أو

تتدثر، ولذا فأعظم العلوم هي التي تؤخذ من تجارب الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب بمختلف ثقافاته وحضاراته وأديانها وعلومها ومعارفها.

إذا على البحاث أن يراجعوا ويتفحصوا تجارب الشعوب من خلال دراسة الأفراد الذين انعكست على سلوكهم آثار متميزة سلبيا أو إيجابيا أو الاثنين معا لمعرفة عوامل أو أسباب التأثير الإيجابي والتأثير السلبي لتأكيد الموجب وإبعاد السالب عنها أو تخليصها منه.

وإن قال قائلا: أنه لمن الصعوبة أن نكون متأكدين مما يقوله الإنسان تجاه ما يعمل أو يسلك؟

نقول:

ليس كل الظواهر الإنسانية والاجتماعية مبنية على التحيز وعدم المصداقية فدراسة أثر الدين أو التعليم أو الصحة أو القانون، أو السجن، أو الديمقراطية، أو الاقتصاد على حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات عندما تعيشها تجربة لم يكن بالضرورة متأثرا بتحايل المبحوث أو إنجازه الشخصاني، فما يود أن يعرفه الباحث بالبحث من تجربة السجين هو نظرة المبحوث إلى المؤسسة الإصلاحية لا نظرته إلى نفسه أي أن موضوع الدراسة هو أثر السجن على حياة السجين وليس على السجن.

فلو أجزنا هذه الأسئلة المتعلقة بأثر السجن على حياة السجين وفقا للآتي:

1- هل تحب السجن؟ ولماذا؟

2- هل أثَّر السجن على صحتك ونفسك أم لا أثره له على ذلك؟ ولماذا؟

3- ما رأيك في نظام الرعاية داخل السجن؟

4- هل تُفضِّل حياة السجن على حياة الأسرة بالرغم من القيود التي تلاقيها فيه؟

5- هل تعتبر حياتك لفترة حبيسا بين أربعة جدران تجربة في حياتك العامة؟

6- من وجهة نظرك ما هي الآثار السلبية والإيجابية على حياتك في السجن؟

7- هل تعتقد أنَّ السجن مؤسسة إصلاحية أم عقابية؟ ولماذا؟

8- من خلال تجربتك حياة السجن وظروفه هل تنصح بالالتزام والاحترام الذي يُبعد عن دخول السجون؟.

9- يقال أن السجن للرجال هل تصدِّق ذلك القول؟ ولماذا؟

كل الإجابات على مثل هذه الأسئلة تعبر عن تجربة نتائجها لا تتأثر بخصوصية المبحوث، لأن موضوع التجربة يتعلق بالمؤسسة الإصلاحية ولا يتعلق بشخصية السجين، وعليه إن إجابات المبحوث عن المؤسسة لا تحتاج إلى تحايل من المبحوث ولا تحايل من الباحث بأساليب إسقاطية على المبحوث. إنها تجربة واضحة الأسباب وواضحة الأهداف مما يجعل البحث أو الدراسة للتجربة علمية وموضوعية.

أما إذا كانت الأسئلة منصبَّة على شخصية المبحوث رغم معايشته للتجربة الإيوائية (داخل السجن)، فإن هذه الأسئلة المحددة من خلال المشاهدة أو الملاحظة أو الاستبيان أو المقابلة التي بها يستهدف الباحث جوهر المبحوث ستكون مختلفة تماما عن أسلوب الأسئلة السابقة من حيث الهدف والفلسفة.

فعلى سبيل المثال: إذا كانت التجربة هي حالة سرقة فتكون الأسئلة على النحو الآتي:

السؤال الأول:

لماذا سرقت؟

فقد تكون الإجابة:

لم أسرق وهذه الإجابة قد تكون على احتمالين:

. الصدق.

. الكذب.

فإن كانت صادقة يستوجب التسليم بها، وإن كانت كاذبة، يجب معرفة الأسباب التي دعته إلى الكذب، وهذه هي طريقة الأسئلة المباشرة.

ويمكن صياغة السؤال عن الظروف:

ما هي الظروف التي جعلتك تسرق؟

ويمكن أن تكون الإجابة على هذا السؤال، بلم اسرق. وهذه الإجابة هي الأخرى تحتاج إلى التأكد منها. وهذا النوع من الأسئلة المباشرة أيضا.

وقد يصاغ السؤال بشكل آخر:

هل من حق المواطن أن يسرق إذا لم تُشبع حاجاته؟ أو إذا لم تتوفر له فرص العمل؟

هذا السؤال لا يُعد سؤلا مباشرا وذلك لعدم توجهه لحالة المبحوث الخاصة.

فإذا كانت الإجابة بلا، ينبغي أن يلحق هذا السؤال بسؤال آخر هو: ما هو الحل من وجهة نظرك؟

السؤال الثاني: أن تكون الإجابة:

(بنعم) أو (لا) .... نعم لا

-إن الالتزام الديني لا يشجع على السرقة. [ ] [ ]

-إن البطالة تشجع على السرقة والانحراف. [ ] [ ]

-أفضل البقاء في السجن عن الحياة خارجه إذا لم تحل المشكلة. [ ] [ ]

-أفضل الخروج من السجن عن البقاء فيه. [ ] [ ]

-الحياة الطبقية تستوجب من الفقير أن يسرق. [ ] [ ]

-القتل حق إذا تحكَّم آخر في حاجاتك. [ ] [ ]

-السرقة لا تُعبر عن الاحتياج دائما. [ ] [ ]

-الاعتراف بأنني سارق يعني لا أخلاق لي. [ ] [ ]

-السرقة أقصر طريق لتوفير متطلبات الحياة. [ ] [ ]

-السارق يجب أن تقطع يده [نعم] [لا] ولماذا؟

-أنا لا أحترم السرَّاق [نعم] [لا] ولماذا؟

-سرقة المواطن عيب [نعم] [لا] ولماذا؟

-سرقة الحكومة جائزة [نعم] [لا] ولماذا؟

معظم مثل هذه الأسئلة تعتبر إسقاطية ويمكن أن يتحايل فيها الباحث، ويتحايل فيها المبحوث على السواء. يتلاعب الباحث من حيث صياغة الأسئلة، ويتلاعب المبحوث من حيث إعطاء الإجابات. فتكون النتيجة كلها مبنية على التحايل، والتلاعب.

ولهذا يتضح الفرق بين أهداف التجارب في المثال السابق في كلا الحالتين لقد جرَّب الإنسان حياة السجون، إلا أنَّ الأسئلة التي وجهة (للظاهرة) فهي تُمكِّن الباحث من معرفة نتائج التجربة بموضوعية بعد معرفته للأسباب والعلل الكامنة ورائها، ويمكن إيجاد الحلول والمعالجات العلمية والعملية لها.

أما التجربة التي تستهدف جوهر الإنسان في وجود عقاب وقوانين لا تحمي المغفلين كما يقال عنها. فإن الإجابات المتحصل عليها يحفها الشك من كل جانب، فلا يستأنس لها، وعليه يتعذَّر وصف نتائج تجربتها بأنها علمية سواء اعتمدنا على مشاهداتنا أو ملاحظاتنا أو مقابلاتنا أو استبياناتنا أو أساليبنا الإسقاطية، لذا فإن مُعظم نتائجها موضوع شك، وبالتالي الإدعاء بالتصديق التجريبي فيما يقوله المبحوث أو يلاحظه الباحث مسألة لا يمكن الركون إليها ولا التسليم بها. وبما أن الجوهر لا تراه الأبصار ليكون تحت سيطرة المشاهدة، ولأن الإنسان جوهر فكيف نسلم بالشكل ولا نسلم بالجوهر؟

وعليه فإن السلوك الظاهر يمكن أن يكون مصطنعا ولا يُعبِّر عن طبيعة الموقف أو الظاهرة المنعكسة في الفرد أو الأفراد.

وإذا تساءل البعض:

هل تكون أسباب الظاهرة أو المشكلة في طبيعتها تماما كالأسباب المحققة للموقف الاصطناعي؟ وبصيغة أخرى: هل هناك فروق بين الطبيعة والاصطناع؟

فإذا كانت الإجابة بنعم.

إذاً لماذا الاحتكام إلى التجريب على مواقف لا تستوجب ذلك؟

الاحتكام إلى التجريب من اجل أن يُحكم على الظواهر الطبيعية موضوعيا بطبائعها، ولذا لا ينبغي أن يُحكم على ضمائر الناس بنوايا الباحث أو البحاث، بل الحكم عليها بها وليس بخارجها .

وإذا كانت الإجابة بلا، فإن النتيجة تكون طبيعية أو اصطناعية لا الاثنين معا، وفي هذه الحالة لا يوجد اختلاف، ويفرق الفيلسوف توماس هوبز ذلك بقوله : "إن الطبيعي هو ما نجده على ما هو عليه، أما المصطنع فهو ما يقع داخل حدود الفعل البشري"[1].

وإذا تحدثنا عن السلوك الفردي أو الثنائي أو الجماعي أو المجتمعي يكون حسب ما يتراءى لنا، وهذا ليس بطبيعي، ويكون السلوك صناعة وأحيانا افتعالا، ولهذا لا يمكن أن يكون الفعل هو المفتعل، فالطبيعي هو الموجود الحق وكما هو عليه لا كما يجب أن يكون حسب رؤية الباحث في الفعل الاجتماعي والظواهر الاجتماعية.

والفرق بين الطبيعي والاصطناعي:

إن الطبيعي يوجد أولا ويكون التفكير فيه ثانيا.

أما المصطنع فيكون التفكير فيه أولا ثم يحدث ثانيا. ولهذا فالطبيعي سواء أكان ظاهرة أم سلوكا أم موقفا فهو مثيرا. أما إذا كان مصطنعا فتكون الظاهرة أو السلوك أو أي فعل هو مثارا. أي أن الأولى مثيرة بذاتها، أما الثانية فمثارة من خارجها.

الفرق بين التجربة والتجريب

أولا: التجربة:

---

[1] إمام عبد الفتاح ، توماس هو بر فيلسوف العقلانية . دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1985 م . ص 293 .

يقول لسان العرب المحيط "التجربة من المصادر المجموعة، ومجرب قد عرف الأمور وجربها، أو الذي قد جرب الأمور وعرف ما عنده"[2].

التجربة في العلوم الاجتماعية هي نتاج المعايشة للواقع حلوه ومره، وهي التي تمد مفرداتها بالخبرة، وقد تكون بإرادة وقد تكون عن غير إرادة، مما يجعل الحياة اليومية الاعتيادية في دائرة الممكن تجربة إرادية، ويجعل تجربة السجين في سجنه تجربة عن غير إرادة.

أمَّا التجربة في العلوم الطبيعية فهي قصدية يُهيئ لها المناخ المناسب مع فائق التحكُّم في عناصرها والمتغيرات التي تُستهدف بالاختبار والقياس من قبل الباحث، وهي قابلة للتكرار دون اختلال في تتبع خطواتها.

ولذا فإن التجربة هي نتاج التجريب الذي هو مجموعة من الخطوات المتوَّجة بنتائج أنتجت قوانين التي بإثباتها يصبح التجريب خطوات للتجربة يمكن تكرارها على أيدي البحاث وفرقهم المساعدة.

ونتائج التجربة يمكن أن تكون موجبه ويمكن أن تكون سالبة، وذلك حسب المستخدم لها، فاكتشاف الذرة تجربة ساهمت في التقدم التقني والعلمي للبشرية، وفي نفس الوقت تساهم في إبادتها.

والتجربة دائما ماضية والتجريب دائما حاضرا، أي أن التجربة تعبر عن ماضٍ ويمكن أن تستعمل في الحاضر والمستقبل على السواء، فلولا خطوات حدثت ما حصلت التجربة، ولولا تطبيقاتها ما نجحت أو فشلت، ولولا نجاحها أو فشلها ما كانت تجربة، وبما أنها كانت أو حتى أصبحت فهي الماضية بالنسبة لزمن اكتشافها وإتمامها وهي الحاضرة في تكرار خطواتها على أيدي البحاث كلما كرروها تجربة في المعامل والمختبرات وميادين البحث العلمي الواسعة في العلوم الطبيعية والطبية والاجتماعية والإنسانية.

---

[2] لسان العرب ، المجلد الأول ، دار العرب ، بيروت : ص 429 – 430 .

إن الحياة الاجتماعية مليئة بالتجارب، الزواج، والطلاق، والترمل، والعزوبية تجارب وكل حياة اجتماعية وإنسانية مليئة بالتجارب القديمة والجديدة وتعتبر التجربة الاجتماعية أكثر شمولية من التجربة في العلوم الطبيعية، ومع ذلك فمن السهل إخضاع أحشاء الطبيعة وأديم الأرض للتجريب، ومن الصعب إخضاع الإنسان لذلك، ولذا فإن التجربة تُعد حكما لا شك في نتائجه ناتج عن التجريب الذي له مصداقية.

والتجربة الاجتماعية يمكن مراجعتها ومعرفة عللها وخطواتها ونتائجها، وهي في معظم الأحيان لا تكون مصطنعة، بل تمارس وفق معطياتها، وظروفها وتتأكد بقيمها، وتُرسَّخ بالذين آمنوا بها، فالحياة العربية بعد الإسلام وظهور متغير الدين الإسلامي ومعايشته قولا وعملا أصبح للمجتمع العربي تجربتين اجتماعيتين:

الأولى: في ماضيهم (العصر الجاهلي).

والثانية: في حاضرهم (عصر التنوير).

فكانت الحياة السابقة للرسالة تجربة للعرب تختلف عن التجربة الاجتماعية الجديدة، وذلك باختلاف معطيات كل منهما في مضمون القول وإرادة الفعل والعمل وظاهر السلوك.

وهكذا مرت جميع المجتمعات البشرية بتجارب تُظهر مفارقات في القول والعمل والسلوك، سواء أكانت من خلال الأديان السابقة للرسالة الخاتمة أم للمظاهر الفكرية والفلسفية التي جعلت للمجتمعات أكثر من تجربة، ولهذا مرت ريادات التاريخ بمتغيرات عبر العصور مما جعل لكل عصر مسمى بما امتاز به، فكان العصر الحجري والعصر البرنزي والعصر الجاهلي والعصر التنويري والعصر الصناعي والتقني، ولهذا كان للمجتمع الأثيني تجاربه الاجتماعية، وللمجتمع الروماني تجاربه الاجتماعية وللمجتمع العربي تجاربه الاجتماعية والإنسانية، وفي

العصر الحديث كان للمجتمع الماركسي تجربة بادت قبل أن تسود، وبأسباب تعدد التجارب الاجتماعية كان لكل هوية اجتماعية عنوان ومسمى.

ومع أن عقل الإنسان وأحاسيسه ومشاعره لا يمكن إخضاعها للمشاهدة التجريبية، إلا أن ما ينتجه العقل الإنساني يمكن أن يُكوِّن تجربة، أو أن يؤثر في تجربة.

وعليه، نقول: الحياة الاجتماعية هي التجربة الواسعة التي تفوق أي تجربة في العلوم التجريبية.

ثانيا: التجريب:

ويقصد بذلك التجريب المقصود المبني على خطة لها خطوات حدثت، وفق أسباب، وتسعى إلى أهداف يمكن الوصول إليها من خلال فروض محددة، ومع ذلك التجريب لم يكن يقيني النتيجة لأنه إذا أصبح يقينا صح عليه قول تجربة، ولذا فأنه المحاولات الجادة من خلال اعتماده مبدأ التعديل، والتغيير، والنجاح، والفشل، فإذا فشلنا كان تجريبا، وإذا نجحنا أصبح تجربة من خلال معرفتنا لقوانينها وقدرتنا على إعادتها والتحكم في عناصرها ومتغيراتها وقياس نتائجها.

ولهذا يكون التجريب في العلوم الطبيعية خاضعا لضوابط، ويقبل التضحية بالمجرَّب عليه عندما يستهدف به خير البشرية، سواء أكان المجرب عليه حيوانا أم نباتا أم طيرا أم من باطن الأرض أم من على سطحها.

أمَّا التجريب على بطون البشر وأجسادهم فمحظور فأمره محظورا، وذلك لأن التجريب مبنيا على الشك الذي تتساوى فيه كفتا النجاح والفشل، وهذه عين الخطورة على حياة الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، ولهذا يكون التجريب في العلوم الاجتماعية بالإنسان وليس عليه.

التجريب يحتوي على ديمومة واستمرارية يكون فيها الزمن الحاضر كبيرا أي أنه المتصل المستمر، فما نجح منه (التجريب) يصبح تجربة وفق اشتراطاتها، وما لم ينجح منه تتم تنقيته من الشوائب وفقا للأهداف المحددة له.

التجريب أقل شمولا من التجربة التي هي أوسع دائرة منه، ولهذا فالتجريب هو خطوات للتجربة.

إذاً التجربة تحمل التجريب مع أنها لولا التجريب ما كانت التجربة، ولولا التجربة ما تكرر التجريب، وبما أنه المتكرر إذن هو المستمر وهي التي تنتهي عند كل تجربة.

بناء على ما تقدم تتضح أهمية الطريقة التجريبية في دراسة الماضي والحاضر من خلال دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية المكونة للبيئة وللبشر من أجل معرفة ما عندهم من مخزون معرفي وثقافي، وما جسدوه من حضارات وما عندهم من فضائل وقيم تصنع القول الحق والفعل الحق والعمل الحق والسلوك الحق.

الهدف من استخدامات الطريقة التجريبية في العلوم الاجتماعية:

هدف الطريقة التجريبية في العلوم الاجتماعية التعرف على الظواهر وعللها وأسبابها ومكامنها، وتأثيراتها السلبية والإيجابية، مع إيجاد مقاييس لتقنينها والتحكم في عناصرها، وهي تختلف عن التجريب في العلوم الطبيعية التي تهدف إلى الاكتشاف والاختراع الفني والتقني من أجل تسخير إمكانيات الطبيعة، والعيش من ثمارها الظاهرة والكامنة (من أحشائها أو من على ظهرها).

والغاية من التجريب في العلوم الاجتماعية لأن يواكب الإنسان ونظمه حركة الاكتشاف العلمي ولا يفرط في القيم الحميدة التي صنعها الماضون وهي لا تتعارض مع المكتشف الجديد. وأن يستفيد من الاختراعات والابتكارات التي تمده بها العلوم الطبيعية، وأن يوجه عنايته واهتمامه للطبيعة مصدر رزقه، وميدان تدريبه وتجربته من أجل تقدمه ليصل إلى الفضيلة وينتظم في مجتمع فاضل حسب انتمائه الاجتماعي بود ومحبة وتعاون مع الآخرين الذين تربطه علاقات بهم والذين من أجلهم يحافظ على البيئة.

ومن أهداف الطريقة التجريبية التعرف بالعقل على الخارج عنه والخارج منه، بعد إخضاعه للقياس الكيفي والكمي وتعرضه للنقد الداخلي والخارجي. ولهذا فلطبيعة الفضل على العقل لأنها الميدان الواسع للتجريب بها وعيها فلولا الطبيعة ما بحثنا ولولا البحث ما اكتشفنا، ولولا الاكتشاف ما تقدَّمنا.

إذا لم يكن الهدف هو اكتشاف الطبيعة، فالطبيعة ماثلة أمام الناظرين وهم على ظهرها محمولين، وبما أنها كذلك، إذاً فما هو دور الإنسان حيالها؟

دوره التعرف على ما فيها من كنوز واستثمارها لغاية مستقبل أفضل، والتعرف على الأسس المنتظمة عليها لاستنباط أهمية النظم في العلاقات الاجتماعية والإنسانية.

ولهذا هناك غاية من وراء الهدف من استخدام الطريق التجريبية في العلوم الاجتماعية وهي الانطلاق منه والوصول إليه، أي الانطلاق من الهدف عندما يكون محمولاً في الفرضيات أو التساؤلات، والوصول إليه عندما يكون ظاهرا في النتائج والمعالجات.

وعليه: نتساءل:

بما أننا سنجرب، فلماذا إذن ننطلق من فرضيات؟ ولماذا نحدد أهدافا؟

فتكون الإجابة محمولة في مضمون سؤالا آخر هو:

من أجل ماذا سأجرب؟

كل ذلك من أجل أن أتعرف أو أكتشف، وإذا عرفت أو اكتشفت فماذا فعل؟

. أوصي.

. أقترح.

. أعالج.

. أخطط.

. أصوغ استراتيجيات المستقبل وكيفية صناعته.

إذاً من المستهدف من كل ذلك؟

المستهدف بذلك المجتمع، وذلك لأن تقدم أو تغير فرد منه أو اثنين أو عينة لا يعني تقدم المجتمع وتطوره، ولهذا يكون المستهدف بفلسفة المنهج التجريبي هو المجتمع، وبما أنه المجتمع، هل يمكن إخضاعه المجتمع جملة للتجربة المختبرية؟

إنه من الصعب.

وبما أنه من الصعب، فهل يمكن أن يكون للمجتمع تجربة؟

نعم.

وهل يمكن أن تكون له طريقة ومنهجا؟

نعم.

كيف؟

أولا – تجربة المجتمع:

تجربة المجتمع هي التي يخوضها بكامله وفق قدراته واستعداداته، وحسب المتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة إن وجدت، هذا وقد تشترك أجيالا متلاحقة في تجربة المجتمع، وفي هذه الحالة لا معنى للمجموعة التجريبية والضابطة التي تُستخدم لتنوب عن تجربة المجتمع؛ فالمجتمع هو الضابط وهو المجربِّ والمتجرِّب، ولذلك فتجربته تفوق كل التجارب في العلوم الطبيعية والسلوكية، لأنها أوسع مجالا وأكثر أهمية.

وعليه فإن قرأنا التاريخ نلاحظ أن هناك حضارات سادت ثم بادت، ولسيادتها أسباب ولإبادتها أسباب، وإذا تأملنا حياة أممها وشعوبها نجد أنها عاشت ومارست تجارب كبيرة جدا إذا ما قورنت بتجربة جربت على فأر، أو قطعة قماش، أو رأس بصل، أو شريحة ثوم، وغيرها كثير جدا، ولذا فبدون تحيز فإن تجربة يقوم بها مجتمع بكاملة أهم وأعظم من تجربة على شجر، أو حيوان أو طائر أو سمكة أو نبتةٍ.

إذا التجربة التي يقوم بها المجتمع بأسره لا يمكن أن يلتصق بها تحيزا أو تعمدا، لأنها تجربة علمية وبدون باحت الذي قد يكون من قبله يحدث التحيز والتعمد ألقصدي في غير محله.

ومن خلال مراجعتنا لحياة الأمم والشعوب نجد أنها عاشت تجارب اجتماعية وإنسانية جعلت بعضها في صدارة التقدم، فللمجتمع اليوناني تجربة لا يمكن إغفالها أو التغافل عنها، وللمجتمع الروماني تجربة اجتماعية وسياسية واقتصادية والدينية التي جعلت له نمطا خاصا وحياة اجتماعية وإنسانية متميزة ومتغيرة من فترة لأخرى حسب العوامل والمتغيرات التي نُبِعت منه أو أدخلت عليه، فللمجتمع العربي قبل الرسالة تجارب وبعدها كانت له تجربة أكبر باعتبار الدين كمتغير تصحيحي للقيم الاجتماعية وذلك بإثبات الخيِّر منها وإبعاد السيئ عنها وفق منظور المتغير الجديد (الدين).

ولا ننسى التجربة الحديثة التي أجراها المجتمع الماركسي على ما سمي بالاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية. وفي كل التجارب يمكن ملاحظة النجاح والفشل في فيها، فقد نجحت التجربة العربية الإسلامية داخل محيطها الاجتماعي والمكاني وألزماني كما نجحت خارجه لما لها من معطيات ومسلمات، وحُجج وبراهين وأدلة منطقية وموضوعية غايتها الإنسان قيمه ثابتة في الوجود، وفي مقابل ذلك فشلت التجربة الماركسية لأنها لم تقم على اختيارات ورغبات بل تأسست على إجبار وإكراه فلم يتحقق لها الرضي الذي يؤدي إلى النجاح بالضرورة.

ولأن التجربة الاجتماعية تختلف عن تجارب العينات، والمجموعات، والمختبرات التي تخضع لاشتراطات، وتحكم الباحث في عناصرها وظروفها، لذا فإن المناداة التي تبناه البعض من أساتذة علم الاجتماع، والمتتلمذين عليهم بأنه لا يمكن دراسة المجتمع بأسره أصبحت باطلة لأن المجتمع يمكن له أن يعيش ويمارس تجربة من

خلال تفاعله، واستجاباته وقبوله ورفضه، وتقبله للمتغيرات، كل حسب تأثيرها والأسلوب المتبع من قبل المتأثرين بها.

ولذلك نقول:

إن حياة المجتمعات تحت وطأة الاستعمار تعتبر تجربة مريرة تستوجب البحث والغوص في أغوارها لمعرفة ما جرى وما ترتب على هذه التجربة المريرة من متغيرات في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية.

ثانيا: منهج المجتمع:

المنهج هو الذي به يتم تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع وجماعاته وهو المؤسس على مجموعة من القواعد الفكرية والدينية والعرفية والقيمية التي تهذب الأخلاق وتقوي وحدة المجتمع وتحافظ على هويته التي تُميزه عن هويات الآخرين.

ولذا فمنهج المجتمع هو الذي يرسم سبيله بإرادة حرة من المبادئ إلى الأهداف والغايات التي من ورائها.

ولهذا لا منهج إلا وموضوع، مما يجعل البحاث يستمدون مناهجهم من مواضيع بحوثهم. أي لا يمكن أن يُبحث في أي إشكالية أو ظاهرة كمواضيع للبحث إلا بمناهج تُستمد من صلبها، وإلا سيكون المنهج أجنبيا عليها، وفي هذه الحالة لا يُمكِّن الباحث من تقصي الحقائق بموضوعية.

وعودٍ على بدء، أتساءل:

هل هناك مجتمع بدون موضوع (بدون رسالة أو مهمة)؟

بالتأكيد لا.

وذلك إن لكل مجتمع أو أمة رسالة أو مهام تؤديها (موضوعا) وبما أن للأمة موضوع، إذن لا بد أن يكون لها منهاجا، مصداقا لقوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ

شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ}[3]. أي لكل أمة موضوع ومسلك، تحتكم بالأول وتنتهج الثاني.

لقد تميَّز كل مجتمع من المجتمعات البشرية بما امتاز به عن غيره، ولهذا كان لكل شِرعة ومنهاجا، فقد تميَّز المجتمع الهندي مثلا بالموضوع عن غيره من الشعوب والأمم فكان له منهج يميزه عن غيره، وحسب الموضوع الذي تميز به، وهكذا المجتمع اليوناني والروسي، والروماني، والعربي، ولا يمكن أن تحقق وحدة المجتمع إلا بوحدة الموضوع، والمنهج.

أمَّا إذا كان المنهج لا علاقة له بالموضوع فتكون الطريق المؤدية للأهداف مليئة بالكثبان وسماؤها عواصف ويكون الباحث كالأعمى لا يمكنه أن يقود السيارة بأمان وسلامة. وإذا فرض على المجتمع منهجا لا علاقة له بالموضوع فتكون النتيجة الآية متطابقة مع قوله تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}[4]. إذن وحدة الموضوع والمنهج تؤدي إلى وحدة المجتمع.

وعليه، يكون البحث الناجح هو البحث الذي يتوحَّد منهجه مع موضوعه، أما إذا لم يستنبط المنهج من الموضوع، فتكون النتيجة الاختلاف وعدم الموضوعية.

إذاً الاتفاق يكون مع استخراج المنهج من الموضوع والاختلاف يكون بترويم منهج جاهز في كتب البحث وهو لا يمت بصلة إلى الموضوع المستهدف بالبحث أو الدراسة.

الجماعات التجريبية:

لقد ظهرت محاولات لتطبيق الطريقة التجريبية بين أساتذة علماء الاجتماع وعلم النفس، وظهر قبل ذلك نظريات خاصة بكل مجال وبدأ بعضهم كمن يُعلِّم الطفل المشي باعتمادهم على المحاولة والخطأ، وتحققت نجاحات تدريبية في هذا الميدان

---

[3] سورة المائدة ، الآية 48 .

[4] سورة الحشر ، الآية 14 .

العلمي من خلال إخضاع بعض الحيوانات للتجريب والتدريب، ثم وصلت إلى التجريب على الإنسان من خلال المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، ويمكن الإشارة لكل منها وفق الآتي:

1-الجماعة الواحدة: قد يختار الباحث جماعة واحدة للتجريب وذلك بإدخال متغيرات يراعي فيها الظرف الزماني والمكاني لمعرفة أثر المتغير على الجماعة مع مراعاته للآتي:

أ – تحديد حجم الجماعة المستهدفة بالبحث .

ب – تحديد المكان المناسب للتجربة .

ت – تحديد الزمان المناسب للتجربة .

ث – تحديد المتغير أو المتغيرات المستهدف قياس آثارها .

ج – قياس الجماعة قبل إدخال أي متغير عليها.

ح – توحيد صفات وظروف المجرب عليهم .

خ – قياس الجماعة بعد إدخال كل متغير .

د – مقارنة أثر المتغير على الجماعة القبلية والبعدية .

ذ – اختبار الفروض.

ر – تحديد النتائج .

وتكون الجماعة تجريبية وضابطة في وقت واحد، ضابطة بقياسها قبل إدخال المتغيرات عليها، وتجريبية بعد إدخالها، فإذا أردنا معرفه أثر ممارسة الرياضية على جسم الإنسان وعقله لا داعي هنا لاشتراط مجموعتين بحيث تكون احد المجموعتين ضابطة والأخرى تجريبية، بل يمكن معرفة أثر المتغير المستقل وهو ممارسة الرياضة على مجموعة واحدة، وذلك بقياس مستوى جميع أفراد الجماعة قبل ممارسة الرياضة، ثم قياسه بعد ممارستها، وذلك لتسجيل الفارق ومعرفة درجة الاستجابة والتغير الذي حدث أو طرأ على جسم الإنسان وعقله.

ومع ذلك نتساءل:

. هل السلوك الحاصل من التجريبية سلوكا طبيعيا؟

. وهل السلوك الطبيعي يساوي السلوك المصطنع؟

. وهل هما ينطبقان بالتمام؟

كل هذه الأسئلة تحمل إجاباتها واضحة فيها لأنه لا يمكن أن يكون السلوك الطبيعي هو السلوك المصطنع، ولا حياة التجربة تكون هي مطابقة للحياة الطبيعية. ويؤكد هذا القول، ما قاله أستاذ علم النفس (بجامعة شيكاغو، ت. ج. أندروز) "نوع السلوك اليومي الذي نبغي فهمه يقع خارج المعامل، وأنه حين يكون موضوع الدراسة في المعمل يصبح خاضعا للشروط المألوفة للضبط الصارم والقياس الدقيق، ولا يكون نفس السلوك"[5].

ومع أن دراسة الجماعات تحت كل هذه الظروف تعطينا مؤشرات ونتائج محددة وفق اشتراطات التجربة، إلا أنها غير مضمونة الأثر والفائدة الدائمة.

2 – المجموعتان: كما سبق وأن حددنا شروطا للمجموعة الواحدة فإننا نحدد هنا شروطا للمجموعتين، وهي الشروط السابقة مع التأكيد على توفر شروط التشابه في الصفات بين أفراد المجموعتين، وذلك من حيث الأعمار والمستوى التعليمي، والقدرات، والاستعدادات قبل إدخال أي متغير على المجموعة التجريبية.

وتنقسم المجموعتان إلى الآتي:

أ – المجموعة الضابطة:

وهي المجموعة التي تتوفر فيها نفس شروط المجموعة التجريبية قبل إدخال أي متغير عليها، والمجموعة الضابطة هي التي يتم بها قياس أثر المتغيرات على المجموعة التجريبية، أي أنها المجوعة التي لم يدخل عليها متغير تجريبي وذلك

---

[5] ت . ج . أندروز : مناهج البحث في علم النفس . ترجمة ، يوسف مراد . القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ج 1 ، 1983 ، ص 30 .

لضبط قياسات المجموعة التجريبية ولا يتضح أثر العامل التجريبي إلا بعد دراسة الجماعتين قبل إدخاله كمتغير وبعد إدخاله كمتغير تجريبي.

ب – المجموعة التجريبية:

هي الجماعة المحددة للتجريب وهي التي يتم إدخال متغير عليها ولا يعرف أثره إلا بمقارنتها مع الجماعة الضابطة، ولا يتضح أثر العامل التجريبي إلا بعد دراسة الجماعتين قبل إدخال العامل التجريبي على الجماعة التجريبية أي بعد تحديد معرفة المستوى الذي عليه الجماعتان قبل تنفيذ التجربة، ثم بعد إدخال المتغير التجريبي يُسجل الباحث كل الملاحظات الجديدة التي شاهدها أو لاحظها.

وإذا تساءل البعض عن الفارق بين المجموعتين: ما هو؟

فإن الإجابة تكون هو العامل التجريبي أو المتغير الذي أُدخل على الجماعة التجريبية.

وإذا تساءل البعض أيضا:

هل يمكن إيجاد جماعتين بشريتين متساويتين في الصفات والظروف؟

نقول:

إنه الأمر الأصعب من أي أمرٍ.

وعليه: نستنتج من ذلك أهمية الجماعة أو المجموعة في دراسة أثر العوامل التجريبية ونستنتج في الوقت ذاته صعوبة عدم موضوعية دراسة الجماعة أو المجموعتين بالعوامل التجريبية.

3 . الجماعة المناوبة: وهي الجماعة المشتركة في التجربة ويتم إدخال متغير أو متغيرات عليها فتكون ضابطة لبعضها وتجريبية في وقت واحد مع اختلاف زمن إدخال المتغيرات. ولإجراء تجربة المناوبة يمكن إدخال جماعتين أو أكثر في التجربة وذلك بعد توفير شروط إجراء التجربة من حيث المعطيات والصفات الأساسية للجماعات المستهدفة بالتجريب.

ثم يبدأ البحث التجريبي بالتوالي على الجماعات التي تم اختيارها للتجريب من قبل الباحث وذلك بإدخال العامل التجريبي على كل جماعة بعد الأخرى، وتكون كل جماعة تجريبية حين إدخال العامل التجريبي عليها ضابطة لغيرها من المجموعات الأخرى بعد انتهاء زمن التجريب وتسجيل أثر المتغير أولا بأول، فإذا كانت الجماعات التجريبية مكونة من ثلاثة مجموعات (أ ، ب ، ج) تكون المجموعة (أ) تجريبية عند إدخال المتغير التجريبي عليها وبعد إدخال المتغير التجريبي على المجموعة (ب) تكون المجموعة (أ) ضابطة للمجموعة (ب)، وعند إدخال العامل التجريبي على المجموعة (ج) تكون المجموعتان (أ ، ب) ضابطتين للمجموعة (ج) التي لا زالت تحت أثر العامل التجريبي، وهكذا تتم التجربة بالتناوب على كل المجموعات المستهدفة بالبحث وليس في وقت واحد. وهكذا يتحدد نوع الجماعة بأنها ضابطة أو تجريبية حسب إدخال العامل التجريبي وحسب مراحل البحث وفترة المناوبة على كل متغير.

وهذه الجماعات المناوبة يمكن أن تستهدف في بحث أثر أكثر من متغير مع مراعاة زمن إدخال كل متغير وقياس أثر المتغير السابق والمتغير اللاحق على كل جماعة.

ولكن عندما تكون الجماعات المدروسة أكثر من جماعتين فإن قياس أثر المتغيرات قد يؤثر ويختلف من جماعة لأخرى من الجماعات المستهدفة بالتجريب خاصة إذا كررنا العامل التجريبي بفارق زمني يكون له حسابه بين أول جماعة تجريبية وآخر جماعة تجريبية لأن لكل متغير أثر مباشر وغير مباشر حسب الفروق الفردية التي لا يمكن أن يتساوى فيها الأفراد والجماعات مهما عملنا من حيطة وحذر.

إن البحوث التجريبية في الزمن الحاضر، لم تكن ناتجة عن فراغ فكري لحظة أو زمن ظهورها، أو أنها ناتجة عن المادة المتكونة من الهيولي والصورة، بل إن زمن المشاهدة والملاحظة والإطلاع على المكتوب أو الموثَّق هو نقطة الانطلاق في

الزمنين (الماضي، والمستقبل) لاستكمال المعلومات وإثراء الأفكار مما يجعلنا نقول أن التجريب لم يكن منطلقا من فراغ لا مصدر له، أو أنه لم يستند على معطيات؛ ونتيجة لوحدة الزمن فإنه كفيل بإثبات أو بطلان صحة ما يطلع عليه، فباستخدام الحواس في الزمن المضارع تتم رؤية الماضي، والمستقبل، وتتكرر الصور أو يكتشف الجديد، مع أنه كامن في معطيات سابقة.

فإذا نظرنا إلى شجرة التفاح الصغيرة نرى في الزمن الحاضر (زمن المشاهدة) ثمارها حتى وإن لم تكن في ذلك الوقت مثمرة، وهذا هو مستقبل الشجرة في الذهن العاقل الذي يستقراء ويستنبط ويُدرك. ونرى في نفس الوقت أنها كانت برعما أو بذرة وهذا هو ماضيها.

ولهذا نقول:

إن الاعتماد على الحاضر المشاهد في الزمن المضارع بمنعزل عن الزمنين الهامين (الماضي، والمستقبل) لا يؤدي إلى التعمير، والإنتاج، والتواصل، والتجديد، والتطور وصناعة المستقبل، فالبشر لو لم يتذوقوا طعم التفاح وفوائده ما دعتهم أفكارهم إلى ضرورة الاستمرار في غرسه في الزمن الحاضر ليؤكل منه في الزمن المتوقع (المستقبل).

عيوب التجريب في العلوم الاجتماعية :

1- إن النتائج المتوصل إليها من خلال الجماعات التجريبية والضابطة يصعب تكرارها بنفس الدرجة والدقة مثلما يحدث في العلوم الطبيعية .

2- إنه من الصعب إخضاع الإنسان إلى التجريب المعملي أو ألمختبري نظرا لأهميته.

3- عدم توفير الأجهزة والأدوات الدقيقة التي تمكننا من قياس أثر المتغير التجريبي بين الجماعات التجريبية والضابطة. وما هو مستعمل الآن في قياسات العلوم

الاجتماعية والإنسانية يتأثر سلبا وإيجابا باستجابات المبحوث التي تتغير من وقت إلى أخر في حالة تكرار التجريب.

4- إن الاعتماد على المشاهدة والملاحظة في العلوم الاجتماعية لم يكن ناجحا دائما لأن المشاعر، والعواطف، والحب، والكراهية، والحنان، والتناغم الوجداني من الصعب أن تتم رؤيته أو إخضاعه للمشاهدة، وبما أن الإنسان متكون من كل وهذا وأكثر ، وبما أن كل هذا لا يمكن مشاهدته وملاحظته إذاً لا يمكن الاعتماد على وسيلة المشاهدة وأحكامها في دراسة الإنسان كجوهر(على محتوى أو مضمون داخلي).

5- من الصعب التحكم في أثر المتغير بنفس الدرجة على الأفراد أو المجموعات التجريبية، لأن تفاعل الأفراد أو استجاباتهم مع أي عامل تجريبي قد تتأثر بالفروق الفردية، وبالخلفية الثقافية أو الاجتماعية، أو العاطفية للفرد والجماعة والمجتمع.

6- أخطاء التحيز: والذي يحدث نتيجة الشخصانية (الأنانية) التي يتأثر بها الباحث تجاه الموضوع أو تجاه الأفراد أو الجماعة المبحوثة، وكذلك أخطاء تحيز المبحوثين إذا عرفوا بأن هناك عائدا نافعا عليهم إذا نجحت التجربة مما يجعل الجماعة التي تحت التجربة متصنِّعة السلوك، وفي هذه الحالة يكون السلوك غير طبيعي ، وتجربة غير طبيعية مع إنسان طبيعي.

7- إذا تعمَّد الباحث تفسير المعلومات سيجد بحثه خاليا من الحقائق وذلك لأن الحقائق لا يتم التوصل إليها بتحليل المعلومات بل يتم التوصل إليها بتحليل النتائج.

8- إذا فطن المبحوث بأنه مشاهد أو ملاحظ أو أنه تحت الدراسة فقد يتصنَّع سلوكا ليس بالطبيعي كما لو لم يفطن تجاه ذلك.

الفصل الخامس

طريقة دراسة الحالة

طريقة دراسة الحالة:

أنها الطريقة العلمية المتبعة في دراسة الحالات الفردية والجماعية والمجتمعية، وهي التي تهتم بالبحث في أعماق الظواهر الاجتماعية التي تظهر في كل وقت من الأوقات، وهي الطريقة التي تولي اهتماما خاصا بتشخيص كل حالة من الحالات المبحوثة والمدروسة، ولذا يركز التشخيص على المعلومة وتحليلها مع مقابلة الحالة أو عناصر الحالة لأجراء التشخيص مباشرة على الحالة ومن يعاني من تأزماتها.

وقد تكون الحالة موضوع البحث والدراسة خيرة، من أجل أخذ العبرة منها واستنباط المبادئ التربوية والاجتماعية التي تُسهم في تنظيم المجتمع وبناء شخصيته المتكاملة؛ وقد تكون شريرة مما يجعل التركيز عليها والاهتمام بها مسألة ضرورية من أجل إصلاح العناصر التي انعكست الحالة في سلوكهم المرفوض اجتماعيا.

ولهذا فالحالة كما عرَّفها اللغويون هي: "ما عليه الإنسان من خير وشر يقال حال وحالة"[6].

إذن طريقة دراسة الحالة لم تقتصر على دراسة الحالات المشينة أو السيئة فقط بل كذلك تهتم بدراسة الحالات ذات المضمون الإيجابي الذي هو الآخر يؤدي إلى بلوغ نتائج جليلة تفيد الفرد والأسرة والمجتمع.

والحالة الفردية هي سيرة متكاملة ومتلاحقة يمكن التعرف عليها من خلال مراجعتها وتتبع مراحل تطورها أو تعقدها، وتحديد عناصر القوة والضعف من خلال معرفة مضمونها والمنظومة القيمية والأخلاقية التي انتظمت عليها، وأظهرتها إلى مستوى الحالة الخيرة أو الشريرة.

ومع أن الله تعالى قد خلق الإنسان في أحسن تقويم إلا أن البعض بأسباب وعلل تستوجب البحث والدراسة ارتد عن طبيعة خلقه وعن الفضائل والقيم الحميدة التي ينتظم المجتمع عليها، وارتضى أن يكون في أسفل السافلين.

---

[6] شرح أبن عقيل: الجزء الأول، المكتبة المصرية، بيروت: 1988، ص 568.

وبما أن خلق الإنسان هو حُسن التقويم فلماذا إذاً لم يحافظ على حُسن تقويمه؟ بالتأكيد مجموعة أسباب وعلل تتداخل في حالته لتدفعه بعد ضعفٍ إلى مواطن الفساد والدونية، ومن بين هذه العلل الطمع فيما ليس له حق فيه، وكذلك الحاجة وشدة ضغوطها، والجهل بالأمر (أي أمر)، والانقياد إلى الرغبة والشهوة، وسوء التربية، والتشويش من قبل الغير، والانحرافات السياسية والاقتصادية في البلد، وضعف المناهج والمقررات التعليمية وغفلتها عن الرعاية والوقاية والتوجيه والإرشاد.

ولذا أهتم الأخصائيون الاجتماعيون كثيرا بدراسة حالات الأفراد من أجل إعادتهم إلى سماحة المجتمع التي تستوعبهم أفرادا وجماعاتا فاعلين، ولأجل إخراجهم من المستويات السفلة التي ارتضوا الركون إليها ثمَّ الارتقاء بهم إلى المستويات العليا التي تُحدث لهم النُقلة إلى المستقبل الأفضل. ولهذا فإن باب التوبة مفتوح للذي خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان مُعرَّض للإصابة البدنية والإصابة النفسية والصحية، وفي كل الحالات هو مُعرَّض، مما يستوجب رعايته والعناية به، فكانت مهنة الخدمة الاجتماعية مهنة سبَّاقة في خوض هذا المجال بمهنية وتفنن، بهما تدرس الحالة وتستوعب عناصرها سوا أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا. مهنة تأسست على قاعدة: (ليس عيبا أن يغفر المجتمع لأفراده أخطائهم، وليس عيبا على الأفراد أن يكفِّروا عن سيئاتهم). قال تعالى: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[7]، وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[8].

---

[7] المائدة 39.

[8] الأنعام 54.

هذه سُنَّة الحياة الله تعالى هو الغفور الرحيم، فلماذا لا يكون العباد على هذه السُنَّة الحميدة يغفرون ويتراحمون؟

ولأن الله الذي خلقنا جميعا قادرا على أن يغفر الذنوب جميعا فما بالك نحن الذين نخطأ ونصيب، ولِمِا لا نغفر لمن يهتدي إلى الحق، قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}[9].

فمهنة الخدمة الاجتماعية تؤمن بأن الإنسان لا ييأس ولا يقنط حتى وإن وقع تحت ظروف قد جعلته منحرفا لأن الاستسلام لظروف الحالة هو نتيجة ضعف الإيمان بإمكانية الإصلاح والعلاج الذي بأسبابه تتغير الأحوال من سيئة إلى حسنة، وكثيرا من الذين انحرفوا انحرفوا عن انحرافاتهم إلى الطريق القويم وأصبحوا من المفلحين مصداقا لقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}[10].

ولأن الله تعالى خلق كل فردٍ فرداً بذاته، إذا الله جعل لكل فردٍ خصوصية بها يتميَّز عن غيره ولو كان توأمه، لهذا توجهَّت مهنة الخدمة الاجتماعية إلى دراسات الحالات الفردية حالة حالة، وهي متيقِّنة أن لكلٍ خصوصيته من حيث المشاعر والأحاسيس والقدرات والمهارات والخبرات والاستعدادات ومن حيث أثر التعلم والتعليم والثقافة والدين والعرف والقيم والفكر والمعلومة. مما يتطلب عدم التعميم، أي أن أخطاء كثيرة وغير مفيدة وقد تكون ضارة إن تم تعميم الخصوصيات على الآخرين أو تقييمهم وفقا لمعطياتها.

إذاً ينبغي مراعاة خصوصية الفرد أو الجماعة، أو المجتمع نتيجة وجود فروق فردية، بأسباب القدرات والاستعدادات والأحاسيس والمشاعر والأديان والأعراف والقيم والثقافات والتعاليم التي تختلف من شخص إلى آخر، وبالتالي لا يجب

---

[9] طه ، الآية 82 .

[10] القصص ، الآية 67 .

إغفالها. فقد تكون المشكلة واحدة، كأن تكون سرقة، ألتي قد يشترك أفراد كثيرون في ارتكابها، لكن الأسباب التي دعت للسرقة ليس بالضرورة أن تكون واحدة، بل هي تختلف من فردٍ إلى فردٍ آخر، مما يجعل دراسة حالة كل فرد تختلف عن حالة الآخر، ولهذا فإن دراسة كل حالة تتطلب معلومات وافية عن كل حالة، وكذلك تتطلب تحليلا موضوعيا لمتغيرات كل حالة من الحالات المدروسة والمبحوثة، ثم تشخيصا وافيا للحالة مباشرة، أي أن التحليل دائما للمعلومات التي لا تتطلب بالضرورة أن يكون الفرد حاضرا أمام الباحث، والتشخيص دائما للحالة من خلال مقابلات مباشرة مع الفرد أو الأفراد ذوي العلاقة بالحالة قيد البحث والدراسة.

طريقة دراسة الحالة لا تتوقف عند حد تجميع البيانات والمعلومات وإبداء المقترحات أو التوصيات التي قد يؤخذ بها وقد لا يؤخذ، بل هي طريقة تستهدف الإصلاح والعلاج بما تستند عليه من تعمُّق وتتبع أثناء البحث وبما يظهره من حلول ومعالجات.

والإصلاح ليس هو تقديم المساعدة، تقديم المساعدة هو من صميم عمل المؤسسة أو الجهة المسؤولة، ولتبيان ذلك نفترض أننا سندرس حالة مجتمع طبقي وليكن هذا المجتمع مسلما باعتبار أن موضوعه يحتوي على عناصر الإصلاح فيه، فتكون الزكاة هي الوسيلة الإصلاحية، ولم تكن من أجل استمرار الحاجة وتقديم المساعدة، وإذا تساءل البعض:

لماذا؟

يجاب عليهم بأنها الحق المعلوم، وبما أنها الحق المعلوم فهي لم تكن مساعدة أو منة من أحد، ولذا فهي ركنا من أركان رسالة الإسلام الحنيف، فإذا أنهدَّ هذا الركن أختل التنظيم الاجتماعي السليم وأصبحت حالة المجتمع تحتاج إلى دراسة وتحليل وتشخيص وعلاج.

يتضح من الفقرة السابقة أهمية فلسفة الزكاة، ولكن إذا تساءل آخرون:

لماذا لم يتحقق الإصلاح مع وجود فريضة الزكاة؟

نقول:

لم يتحقق ذلك نتيجة عدم الالتزام بإعطائها، فلو ألتزم المسلمون بإخراج الزكاة من بداية ظهور إسلامهم لما وُجِدَ بينهم فقير وغني، بل يكون المجتمع الإسلامي مجتمع المساواة التي تستهدفه فلسفة الإصلاح الاجتماعي التي نحن بصدد الكتابة عنها في طريقة دراسة الحالة، لأن الإصلاح علاج لِما أعطبه الدهر ظلما، أما المساعدة فهي التلفيق المؤقت الذي أهلك المدن والقرى عبر التاريخ، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[11].

ولذا فالإصلاح يؤدي إلى الاعتماد على النفس، أمَّا المساعدة فتؤدي إلى الاعتماد على الغير.

وعليه، فطريقة دراسة الحالة تعتمد البدء مع الحالات الفردية من حيث هم، وكما هم عليه، وذلك لأجل بلوغ ما ينبغي أن يكونوا عليه وهو الأفضل والأحسن والأجود.

وبما أنَّ الباحث يود أن يكون المبحوث أو المدروس حالته متعاونا، إذا ليس له بدا إلا أن يبدأ معه من حيث هو، حتى يحس بأهميته من خلال مراعاة الباحث أو الأخصائي الاجتماعي لظروفه الخاصة التي أوقعته في الانحراف إن كان من المنحرفين.

وفي دراسة الحالات ينبغي أن يكون الباحث أو الأخصائي الاجتماعي فطنا ومتيقظا حتى لا يقع في الفخ الذي ينصبه له أولئك الذين انحرفوا ذكاءً في غير محله، فهؤلاء بذكائهم قد يقعوا البحث فيما يبعده عن نواميس المهنة وأصولها وأخلاقياتها التي تستوجب من الباحث أن يكون فطنا بما حوله من مظاهر

---

[11] هود ، لآية 117 .

وسلوكيات وأساليب التوائية قد ينتهجها المنحرفون أثناء إجراء عمليات الدراسة معهم.

وأن يكون مرنا في تعامله مع المبحوثين والعملاء مستوعبا لهم ولما يعانونه من هموم، فلا يستخدم معهم كلمات قد تؤدي بهم إلى التخندق حول أنفسهم، كأن يقول لهم إنكم مخطئون أو منحرفون أو سُرَّاق وغيرها من الجمل التي تجعل الباحث وكأنه طرفا وخصما. فالأخصائي الاجتماعي والباحث الماهر يعرف أن هذه الصفات لم يلد الإنسان بها ولم يُخلق عليها، ولكن عندما تحدث يكون من ورائها أسباب كثيرة تستوجب البحث من أجل الإصلاح والعلاج وإحداث النقلة إلى الأجود النافع.

إذاً من البداية ينبغي أن تكون المعاملة المهنية بين الباحث والمبحوث علمية وإنسانية وفنية من حيث التعامل والانتباه لكل المتغيرات التي قد تظهر أثناء الدراسة وتجميع المعلومات عن الحالة .

وهذا الأمر يستوجب مراعاة مستويات المبحوثين أو المدروسين العقلية، والصحية والاجتماعية والتعليمية، والاقتصادية لكي تكون نقاط انطلاق في اتجاه إصلاح الحالة وعلاجها.

تهتم طريقة دراسة الحالة بتثبيت الإرادة، التي تعتبر هي القوة الدافعة للفعل أو السلوك المرتكب الذي قد يكون ايجابيا أو يكون سلبيا، مما يجعلنا نقول أنه ليس كل فعل مرتكب بإرادة حرة يعبر عن أعمال خيِّرة، فالفرد قد ينحرف بإرادته وقد ينحرف بمؤثرات خارجية؛ ومع ذلك حتى ما يرتكبه الفرد في يوم من الأيام قد يأتي يوما آخر فينكره، وهذه ميزة بها يتراجع الفرد عمَّا ارتكب أو اقترف، وفي مثل هذا الأمر يقول اوتورانك Otto Rank : "أن كل إنسان يريد وفي نفس الوقت ينكر ما يريد لأنه ثمة شعور بالذنب يصاحب الإرادة عادة"[12].

---

[12] محمود حسن : مقدمة الخدمة الاجتماعية . بيروت : دار النهضة العربية ، ص 143 .

ومع أن الإرادة كما عرفها العلماء السوفيت هي : "التصميم الواعي للشخص على تنفيذ فعل معين أو أفعال معينة"[13]. وبرغم أنها التصميم الواعي لارتكاب الأفعال، إلا أن إنكارها في ظروف معينة يمكن تحقيقه بإرادة صاحب الإرادة، (الفرد المرتكب للفعل).

وعليه في الوقت الذي ينبغي فيه مراعاة إرادة المبحوث أو المبحوثين عند دراسة الحالات، وخاصة ذات التأثير السالب على حياة الفرد، أو المحيط الاجتماعي له، في الوقت ذاته على الباحث أو الباحثين العمل على تهذيب إرادة المبحوث سواء أكان فردا، أو اثنين، أو أكثر، فتهذيب الإرادة يؤدي إلى التطابق بين ارتكاب الفعل وبين الاعتراف به، ولذا فإن تهذيب الإرادة يؤدي إلى تصحيح السلوك. ولهذا الاعتراف بالفعل لم يكن إدانة في العلوم الاجتماعية والنفسية مع أنه إدانة قانونية.

وعليه تُعتبر مهام البحَّاث والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين إنسانية، غايتهم الإصلاح وليس العقاب، فالمبحوث أو العميل عندما يعي بحاله وبمخالفته للفضائل والقيم الحميدة التي ينتظم مجتمعه عليها يستجيب للإصلاح والعلاج المستهدف من قبل الباحث. ولهذا من المهم أن يُشرِك الأخصائي الاجتماعي المبحوث في تشخيص حالته ليكون متقبلاً من بعده لِما يؤدي إلى الإصلاح والعلاج.

يراعي في دارسة الحالة تداخل الإرادة مع بناء الذات المتكون من قيم المجتمع وتاريخه المنعكس على شخصية الفرد.

تعتبر الذات قيما يتشربها الفرد وقد يتميز بها، وهي ليست الشخصانية الفردية كما يعتقد البعض، بل أن الذاتية هي المتكونة من ثقافة المجتمع ودينه وأعرافه وقيمه وفضائله.

---

[13] الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء الأكاديميين السوفيتيين ، إشراف : م . روزنتال ، ب . يودين . " ترجمة سمير كرم بيروت : دار الطليعة ، الطبعة الخامسة ، 1985 ، ص 17 .

ولهذا إذا ضعف البناء الاجتماعي والتربية الاجتماعية ضعف الذات عند الأفراد والجماعات، وإذا ضعفت الذات ضعف الانتماء الودي مع المجتمع (مع متطلباته وأوامره ونواهيه) فتكون العلاقة الفردية مع المجتمع علاقة نفعية وليست علاقة قيم وأخلاق مما يؤدي إلى الانحراف المتحقق من الانسلاخ عن الذات والتمسك بالأنا التي تمركز كل شيء عليها ولا ترتضيه للآخرين، ولنا وجهة نظر بأن الأنا تختلف عن الذات ، فالأنا شخصانية، أما الذات فاجتماعية والأنا فردية والذات عامة، ولقد فكينا هذه الملابسات الكثيرة في كتابنا (خماسي تحليل القيم).

ولكي تستمر الذات قوية في تكوين الأفراد ينبغي العمل على ديمومة العلاقات الاجتماعية في الاتجاه الموجب، وإذا حسَّ الفرد بتلك الأهمية أزداد تمسكا بها، وإذا أزداد تمسكا بها دامت حالته الخيرة في اتجاه المحافظة على سلامة الذات التي تتطلب وضوح المبادئ ووضوح الأهداف، وهكذا يتحقق العلاج ويستمر. ولكن إذا ارتبط الإصلاح بالماديات فإنه قد ينعكس بانتهاء المصلحة المادية ولا يكتسب صفة الديمومة، أما إذا ارتبط بقيم خيرة تتعلق بالفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه يكون للإصلاح صفة الديمومة مادامت القيم والفضائل بين الناس أفرادا وجماعات ومجتمعات.

إن بناء وتحقيق الإرادة، وديمومة الإصلاح لا يتحققان إلا بوجود تفاعل مسبق يتم بين الباحث والمبحوث ثم بين المبحوث والموضوع لأن التفاعل هو الذي يحقق التفاهم ويؤدي إلى التفهُّم. فبدون تفاهم وتفهُّم لا تبني الذات، ولا تتحقق الإرادة ، ولا يتم الإصلاح والعلاج.

ولا ننسى دور الخبرة في دارسة الحالة التي بها يتم استيعاب المبحوث وموضوعه الذي فيه تكمن الظروف والسباب، فالخبرة يتم تقبل المبحوث كما هود، والعمل على إصلاح حالته وعلاجه من همومها، والوصول به إلى ما ينبغي أن يكون عليه، مع

فتح آفاق المستقبل أمامه حتى تتحقق له النقلة من الحالة السابقة إلى المستقبل الأفضل.

تشخيص الحالة:

التشخيص: diagnosis عملية مهنية يتم من خلاله مقارنة النتائج المبدئية التي وصل إليها البحاث أو الأخصائيون الاجتماعيون أو الطبيب من عملية تحليل المعلومات ومقارنتها مع واقع شخصية العميل والحالة التي يعاني منها، حتى يتمكَّن الأخصائي الاجتماعي من معرفة المستوى القيمي الذي عليه حالة العميل ليعمل على عودته إلى القواعد القيمية المعتمدة من المجتمع ومن ثم دفعه إلى ما يحقق له النقلة. ولا تتم عملية التشخيص على الإطلاق بتغييب العميل أو من يتعلق الأمر به كما هو حال عملية التحليل التي لا ضرورة لها في ذلك.

وتُنسب عملية التشخيص إلى شخوص العميل وتواجده أمام الأخصائي الاجتماعي ومشاركته له في هذه العملية.

والفرق كبير بين عمليتي التحليل الذي يتمركز على تحليل المعلومات وبين التشخيص الذي يتمركز على شخصية العميل مباشرة وعلاقته بالمعلومات المحللة.

وعليه لا يمكن أن يكون التحليل هو التشخيص، مما جعلنا نقول: التحليل للمعلومات، والتشخيص للحالة التي عليها المبحوث أو العميل، ولهذا فحالة العميل في مهنة الخدمة الاجتماعية مثل حالة المريض في مهنة الطب، الذي هو الآخر يتعرض للتحليل والتشخيص وإلا لن يتحقق له العلاج المناسب الذي يُسهم في شفائه، فالمريض بعد أن يقابله الطبيب يطلب منه مجموعة من العينات لأجل إخضاعها للتحليل المعملي أو ألمختبري، وبعد ظهور النتائج يأتي إليه الطبيب وهو في سريره العلاجي ليشخِّص حالته وفقا لما توصَّل إليه من نتائج إن أظهرت للطبيب شيئا يعتد به، وإن لم تُظهر النتائج شيئا يستأنس به الطبيب للعلاج قد يأخذ منه مجموعة من العينات الأخرى وفقا لفرضية لدى الطبيب ويحيلها كما أحال

العينات الأولى إلى المعمل أو المختبر لأجراء عمليات التحليل بعيدا عن وجود المريض، وبعد خروج نتائج التحليل يأتي الطبيب ثانية إلى المريض ليشخِّص حالته وفقا لما توفَّر لديه من نتائج معملية أو مختبرية، فإن لم يتبِّن له شيئا يستدل به على الحالة المرضية قد يحيل المريض إلى طبيبا آخر في تخصص آخر، ليستكمل عمليات التحليل ومن ثم التشخيص، وهكذا الحال في مهنة الخدمة الاجتماعية التي تستوجب تحليل المعلومات وتشخيص حالة العميل.

إذا الحالة تتطلب الآتي:

. تجميع المعلومات.

. تحليل المعلومات.

. تشخيص الحالة مباشرة مع وجود العميل أو المريض.

. تحديد العلاج.

. وصف الدواء من قبل الطبيب إن كانت الحالة حالة مرض بدني أو نفسي.

أهمية دراسة الحالة:

1- إنها تستوعب الموضوع بوضوح من خلال تناوله بشكل متكامل تتضح فيه الأسباب والعلل، والمتغيرات المتداخلة والمستقلة والمتداخلة والدخيلة، التي أظهرت الحالة قيد البحث والدراسة، وبطريقة دراسة الحالة يتيسر التشخيص العلمي والمهني الذي يؤدي إلى إصلاح ومعالجات موضوعية.

2ـ دراسة الحالة تُمكِّن من العودة إلى ماضي العميل أو المبحوث وتُمكِّن من الوقوف على العلل والأسباب والمعطيات التي يحتويها، وهي المؤثر الأساسي في إظهار الحالة قيد البحث والدراسة، وكذلك تُمكِّن من رسم خطط واستراتيجيات لأحداث النُقله في حياة المبحوثين.

3. إنها تهتم بدارسة السلوك والعمل على تقيم انحرافاته.

4 إنها تُلفت الانتباه إلى حالات الذين فشلوا كما تُلفت الانتباه إلى حالات الذين نجحوا في حياتهم بشكل مقارن وذلك لتبيان أسباب النجاح، والتأكيد على أهميتها، والعمل على تعميمها لتعم الفائدة، والتمسك بها في بناء الشخصية المتفاعلة، وكذلك لتبيان أسباب الفشل لأجل الحياد عنها، وتفادي تكرارها، والقضاء على عللها وأسبابها.

5 إنها تُمكِّن المجتمع من الاهتمام بأفراده، وجماعاته بتطبيق الإصلاحات المتوصل إليها عن طريق الدراسة، والتشخيص والعلاج.

6 تُمكِّن من إزالة المخاوف من المبحوث من خلال تقبله (هو كما هو) وتقبل التعامل مع حالته وبما فيها من إشكاليات أو صعاب.

7. تُمكن من تفهُّم حالة المبحوث وتفهُّم الظروف التي ألمت به وجعلته بين الجدران نزيلا بمؤسسة من مؤسسات الإصلاح.

8. إنها تحقق للمبحوث أو العميل التنفيس الوجداني بإجراء مقابلات مهنية تُجرى من قبل بحاثة وأخصائيين مهره يعتمدون على مبادئ مهنية ويسعون إلى إنجاز أهداف إنسانية سامية.

9. تُعد أفضل الطرق البحثية المُمكِّنة من التعرف على المبحوث مباشرة عن طريق إجراء مقابلات متخصصة بمهارة وفن راقيين.

10 ـ تُمكِّن من تكوين علاقات مهنية مع المبحوثين بها يتم تخفيف التوتر من خلال الإنصات والانتباه إلى المبحوثين أو العملاء، خاصة عندما يُعطى العميل حرية التحدث والتعبير عن حالته حتى يتمكن من إظهار ما يكنَّه في أحاسيسه ومشاعره ووجدانه تجاه حالته وظروفه وكذلك اتجاه المجتمع الذي ينتمي إليه.

أهداف دراسة الحالة:

1- تفهُّم الموضوع وآثاره السلبية أو الإيجابية على العناصر المتأثرة به.

2- معرفة موقف الأفراد والجماعات من الموضوع .

3- تبصير المبحوثين إلى ذاتهم ومستقبلهم.
4- تحديد كل العوامل والعناصر المؤثرة والمتأثرة بالموضوع، والكشف عن الأسباب المتداخلة في الحالة المدروسة أو المبحوثة وإيجاد حلول لها.
5- معرفة الجوهر من خلال ملاحظة ما يحدث من سلوك أو فعل.
6- إشراك المبحوث في التعرف على حالته وتوليد الرغبة لديه بما يحفِّزه للبحث عن حلول.
7- الإصلاح والعلاج وليس المساعدة.

مصادر دراسة الحالة:

تنقسم مصادر إلى مصادر بشرية، ومصادر مكتوبة.

المصادر البشرية:

وهم المستهدفون بالدراسة سواء أكانوا على علاقة مباشرة بالموضوع، أم أكانوا على علاقة بالشخص المرتكب للفعل، فقد يكون المصدر فردا، أو اثنين، أو أسرة، أو الرفاق، أو الجيران، أو الطبيب، والمحامي، والمدرس. وقد يكونوا جميعا مصادر للدراسة، وخاصة إذا كانت الحالة سرقة، وأن السارق يقرأ ويعمل في وقت واحد، وأن له قضية تتابعه، وأننا نحتاج إلى معرفة التشويهات والإعاقات التي يعاني منها إن كان معاقا مما يستوجب مقابلة بعض أفراد أسرته، ورفاقه سواء في المدرسة أو في العمل، وجيرانه، ومدرسية، والطبيب المختص، والمحامي الذي يتابع قضيته وهكذا تستمر الدراسة وتتسع كي لا تغفل عن متغيرٍ من المتغيرات ذات العلاقة بالحالة أو العميل.

المصادر المكتوبة:

وهي الدلائل المثبتة للحقائق، والشواهد الدالة على أفعال أو نوايا يمكن القيام بها، وهذه المصادر تشمل الوثائق العامة والخاصة، والشهائد والتقارير المعتمدة، والسير الخاصة، والمذكرات الخاصة وهذه المصادر قد تكون من جهات رسمية وبالتالي

يستوجب اعتمادها حتى لا يحدث التزوير، وقد تكون شخصية وتُقبل كما هي، على أن تتعرض للنقد الداخلي، والنقد الخارجي من أجل سلامة محتوياتها والتفسيرات المترتبة عليها.

وسائل دراسة الحالة:

تعتمد دراسة الحالة على أهم الوسائل العلمية في تجميع وتحليل المعلومات والبيانات، وهي:

1 . المقابلة: التي تُمكِّن الباحث من عرض أسئلته، واستفساراته للمبحوث عن كل ما يتعلق به شخصيا وكذلك عن الموضوع المتعلق به، ثم الاستماع والإنصات لما يقوله أو يفعله المبحوث، وتُمكِّن المقابلة من التثبت من مصداقية الوثائق من عدمه.

2 ـ الملاحظة: التي بها يتمكّن الباحث أو الأخصائي الاجتماعي والنفسي من متابعة القولِ والفعلِ والعملِ وكل مسموع ومشاهد من قبل المبحوث أو العميل فبها تتم ملاحظة ردود أفعال المبحوث تجاه كل سؤال أو استفسار يوجِهه إليه الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي.

3 . المشاهدة العلمية سواء عن قرب مباشر، أو غير مباشر وأعني بالقرب المباشر هو الدور الذي يقوم به الباحث المشاهد ويعرفه المبحوث، أما بالقرب غير المباشر فهو ما لم يعرفه المبحوث ويقوم به الباحث من خلال اشتراك المبحوث سواء أكان فردا أم أكثر في مناشط أو أعمال لمعرفة التغيرات التي تحدث على سلوكه في وسط جماعة .

4 ـ التصنيف القيمي: الذي به يتمكّن الباحث من معرفة وتحديد المستوي القيمي الذي عليه المبحوث، فلكي يتمكَّن الباحث من البدء مع العميل من حيث هو عليه بإخضاع العميل للبحث والدراسة بأحد التصانيف القيمية التي بها يتم تحديد المستوي القيمي الذي عليه العميل ومن ثم يستطيع البحث والبدء مع العميل من

المستوى الذي هو عليه لأجل أن يُحدث له النُقلة إلى المستوى الأفضل الذي يُمكِّنه من المشاركة في صناعة المستقبل للمجتمع.

5 . الاستبيان: وهو مجموع الأسئلة المحددة وفقا لأهداف الدراسة وفروضها العلمية، لأجل استيضاح حالة العميل أو المبحوث، وقد يكون الاستبيان مكتوبا ويوزع على المبحوثين وقد يتم وهو الأفضل عند دراسة الحالات بمصاحبة المقابلة، حيث أن بعض المبحوثين لا يجيدون القراءة والكتابة مما يجعلهم في حاجة لمن يساعدهم في قراءتها وملء الاستمارة التي تصاحبها كثيرا من العيوب إن لم تكن مصاحبة للمقابلة.

وكثيرا ما تتداخل هذه الوسائل في دراسة حالة واحدة سواء أكانت فردية أم جماعية أم مجتمعة وذلك حسب متطلبات الموضوع، والظروف الزماني والمكاني للحالة وخصوصيتها.

أنواع دراسة الحالة:

تنقسم دراسة الحالة إلى أربعة أنواع سواء من حيث المجال البشري أو من حيث الموضوع، وتشمل كل حالة على جوانب إيجابية وجوانب سلبية وفقا للآتي:

أولا– من حيث المجال البشري: ويقصد به عدد الأفراد المشتركين في الحالة ، فقد يكون فردا واحدا، أو اثنان، أو جماعة، وقد يكون مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما.

ثانيا– من حيث الموضوع: وتنقسم إلى أربعة أنواع هي:

1– حالة فردية: وهي الحالة التي تخص شخصا واحدا ولم تكن مُركَّبة بتداخلها أو اشتراكها مع حالات أفراد آخرين، وتنقسم إلى جزأين:

أ– حالات فردية سالبة: مثل حالة الانتحار، وحالة التزوير، أو السرقة ، أو أي نوع من أنواع الانحراف الشاذ.

ب– حالات فردية موجبة: مثل حالة الجهاد، وحالة الفوز العلمي أو الرياضي أو الفني.

2- حالات ثنائية: وهي الحالات التي تشترك فيها عناصر الوجود الحي مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[14]، ومع أن هذه الآية تدل على الذكر والأنثى إلا أن الحالات الثنائية لا تقتصر عليهما فقط فقد تكون الحالة بين نوع واحد، وقد تكون بين النوعين. أي قد تكون الحالة بين الزوج وزوجته، أو الصديق وصديقته، وقد تكون بين الأخ وأخيه أو صاحبه، وقد تكون بين الرجال والنساء، أو تكون بين دولة ودولة أخرى، وقد تكون بين أهل ديانتين دينين، هذه وغيرها كثير كلها حالات ثنائية وتنقسم هي الأخرى إلى جزأين:

أ - حالات ثنائية سالبة: مثل حالات الطلاق، والصراع، والاقتتال، والسرقة، وثنائيات أخرى من أنواع الانحراف.

ب - حالات ثنائية موجبة: مثل حالة المودة والمحبة، وحالة الزواج، والانسجام، والتوافق، والاتحاد، والتعاون، والوفاء.

3- حالات جماعية: وهي الحالات التي يتأثر بها أكثر من الاثنين وتعود نتائجها عليهم، فتكون الحالة واحدة والأسباب مختلفة كحالات الدراسة، وحالات الجيرة، والمناشط، والجمعيات، وحالات الرفقة، وحالات العمل. وتنقسم إلى جزأين:

أ- حالات جماعية سالبة: مثل حالة تعاطي المخدرات، وتعاطي المسكرات، والهروب من العمل ومن المدرسة ومن المعسكرات، وجماعات العصابات للسرقة والسطو وغيرها كثير.

ب - حالات جماعية إيجابية: مثل التعاون بين جماعات المناشط الرياضية والفنية والموسيقية والمسرحية والجمالية والكشفية، وحالات التنافس التي تساهم في اكتشاف الموهوبين والمتفوقين والعمل التطوعي الذي يساهم في إصحاح البيئة، وزيادة الإنتاج، وحالات إحياء الأفراح وحالات التآزر في المأتم.

---

[14] الذاريات ، الآية 49 .

4- حالات مجتمعية: وهي الحالات التي تحدث على مستوى المجتمع المحلي والمجتمع العام كوحدة واحدة وتؤثر على أفراده حسب الموضوع المتعلق بهم في المجالات السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والصحية والفنية والاجتماعية بشكل عام. وتنقسم إلى جزأين:

أ – حالات مجتمعة سالبة: مثل التحزُّب، والتعصُّب، والمجاعة، وتدني المستوى التعليمي والصحي، وتدني مستوى الدخل وكذلك الانحلال.

ب – حالات مجتمعية إيجابية: مثل ممارسة الديمقراطية بإرادة، والحالات التي تؤدي إلى زيادة الدخل العام، وارتفاع المستوى التعليمي والصحي والفني وكذلك حالات التعاون والوحدة.

مميزات دراسة الحالة:

1- تُمكِّن الباحث من تكوين علاقات مهنية مع المبحوث.

2- نتائجها لا تعميم على غير مفرداتها البحثية.

3- تعطي للباحث فرصة للتحقق من المعلومات والبيانات من خلال التتبع والتقصي الدقيق أثناء إجراء المقابلات بأنواعها وتُمكِّن من استخدام وسيلتي المشاهدة والملاحظة كما تُمكِّن من الرجوع إلى الوثائق إثناء تجميع المعلومات وأثناء تحليلها وإثناء التشخيص الموضوعي للحالة.

4- تعتبر من الأدوات المهمة في دراسة عمليات التغير الاجتماعي وسلوك الأفراد.

5- تمكن الباحث من دراسة الموضوع دراسة متكاملة مكانا وزمانا وموضوعا.

6- تعتبر المبحوث شريكا أساسيا مع الباحث في عملية دراسة حالته.

7- تلتزم بتتبع المبادئ العلمية في التعامل مع الأفراد وحالاتهم الخاصة.

8- إنها تمتاز بالمرونة في تجميع المعلومات من خلال استعمال وسيلة المقابلة ولا تعتمد على الاستفسارات الجامدة والأسئلة الجاهزة مسبقا قبل التعرف على نوع الحالة ومؤثراتها الأساسية والثانوية.

9- إنها تُمكِّن الباحث من اختيار المواقف، والنظم، والأشخاص بالتتبع الدقيق للحالات المدروسة.

10- تُمكِّن الباحث من عدم التسليم لكل ما يشاهد، أو يلاحظ، أو يقال، أو يكتب.

المآخذ على دراسة الحالة:

1- إنها تحتاج إلى وقت كثير وجهد أكبر.

2- يصعب عن طريقها دراسة المجتمع كثير العدد إذا استهدفت التشخيص والعلاج واستعملت وسائلها الهامة في تجميع البيانات والمعلومات.

3- أنها تحتاج إلى خبرة وتدريب فائق لكي تحقق تعاملا ونتائج ناجحة مع الحالات الفردية، والثنائية والجماعية والمجتمعية.

4- نتيجة الزمن المتعلق بتاريخ الحالة فقد ينسى المبحوث بعض المعلومات، والبيانات المهمة في استكمال دراسة الحالة.

5- قد يكون المبحوث أصم وأبكم ولا يجيد أو يعرف اللغة الحركية الخاصة بهذه الفئة.

6- قد تتأثر الحالة بالجوانب الشخصية للباحث كأن يكون الباحث ذكرا والمبحوثة فتاة جميلة أو بالعكس، مما يجعل الحالة معرضة لأن تتأثر بالجوانب العاطفية ويتم إهمال الجانب المهني.

الفصل السادس
طريقة تحليل المضمون

طريقة تحليل المضمون:

المضمون content مكمن الشيء ومركز اختفائه، وهو الذي يكمن في الكلمة والفكرة والجملة التي ينقلها المحتوى، وفي تكراراتها يتأكد سلبا أو إيجابا، والمضمون الذي يحمله النص كمحتوى هو ما يدور عليه الحديث أو الكلام أو ما يُعبِّر عنه في الخطاب. ولهذا يحمل الكتاب مضمونه في عنوانه، ويحمل الكتاب ما يحتويه في صفحاته، فالمضمون لا يشاهد ولكن يُدرك إدراكا من المشهد والصورة والارتسام والحركة والمعنى والفعل السلوك. ولذا يكمن المضمون في الكلمة والفكرة والموضوع كما يكمن الزيت في حبة الزيتون ويكمن الكائن الحي في الخلية، ويكمن الزبد في اللبن.

ولتحديد المضمون دلالة ومعنى ينبغي تحديد المحتوى حيث هناك من البعض من يظن بأن المضمون هو المحتوى، ولذا نقول:

المضمون شيئا والمحتوى شيئا آخر، فالمضمون كما سبق تحديده، هو الذي يتوحد في الكلمة والجملة الناقلة له مع الفكرة والمحتوى في وقت واحد مثل توحده في رسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ملك الروم (اسلم تسلم) هذه الرسالة محتوى متكون من كلمتين، وفي الكلمتين يكمن المضمون، وفيهما تُحمل الفكرة وتتجلى، ولكن ليس دائما يحدث مثل هذا الأمر بل في مُعظمه قد ينتشر المحتوى في خطابه أو نصه الذي فيه يكمن المضمون كما يكمن الزبد في اللبن. فالمضمون يُدرك ويُستنبط ويُستقراء استقراءا حتى يُستدل عليه معرفة. أمَّا المحتوى غير ذلك.

فالمحتوى: content: هو ما يشتمل عليه النص أو الخطاب أو الكتاب أو الموضوع، فمحتوى الكتاب من الغلاف إلى الغلاف، ومحتوى الخطاب أو النص

من أول كلمة قيلت أو كُتبت إلى آخر كلمة قيلت أو كتبت، مما يجعل تحليل المحتوى يتمركز على التكرارات اللفظية للكلمة أو الجملة أو الفكرة أو الموضوع.

والمحتوى غير المضمون فالمضمون هو ما يتمركز عليه المحتوى من فكرة عامة أو أفكار متجزئة، والمحتوى هو ما يمتد بالكلمة من خطاب أو نص حتى يشاهد ويُلحظ، ولذا فالمحتوى بلا مضمون كالحديث بدون معنى والتنظير بدون دلالة.

وعليه: يتكون مصطلح تحليل المضمون من جزأين: الأول هو التحليل، والثاني هو المضمون، وكلمة تحليل تعنى تفحُّص عن وعيا وانتباه يُميِّز بين الدقيق والأدق منه، والمضمون هو المكمن الدلالي الذي تتمركز عليه الفكرة أو القيمة أو النص والخطاب وما يحمله من معنى للمفاهيم التي يتم عرضها أو قولها أو كتابتها، ولذلك فالتحليل العلمي عندما يستهدف الدلالة على وحدة الموضوع، وبؤرة اهتمامه يكون منصبا على المضمون، ويتم التعرف على المضامين من خلال التعرف على محيطها الذي استوعبها، ومن خلال الإطار العام الذي يحتويها، والذي يميزها عن غيرها من المواضيع، وتعتبر المواضيع ذات أهمية إذا كانت لها مضامين، ويعتبر المضمون هو لب المحتوى، وبؤرة اهتمامه، وعلة وجوده؛ ولهذا ينبغي أن يحلل المضمون في إطار محتواه.

في بعض الأحيان يعتمد تحليل المضمون على المعلومات الجاهزة، كالوثائق، والمطبوعات، والخطب، والأحاديث، وفي البعض الآخر يتجاوز ذلك لدراسة الشخصية التي تُمكِّنه من ربط الظاهر بالباطن (القول بالفعل أو بالسلوك والعمل) وكذلك ليربط الثابت بالمتحرك، وهذا الأسلوب هو الذي يجعله طريقة إنتاجية، تكتشف الجديد وتعمل على تطويره، لأن اقتصار البعض له على تحليل المعلومات الجاهزة، دون متابعتها وربطها بالفعل والسلوك، هو الذي يجعل طريقة تحليل المضمون طريقة استهلاكية.

طريقة تحليل المضمون لا تسلم بالمعلومة هكذا وكأنها مطلقة بل تخضعها للاختبار والقياس والتجريب من أجل التأكد من أنها على الصواب أم أنها على غير ذلك، ولذلك فإن اختبار المضمون يتعلق بربط المشاهد بالمجرد (ربط الفعل بالمضمون) لكي يتم الوقوف عند المصادق والحجج المثبتة نظرية أم قانونا، لأن القول الذي يحمل المضمون فيما يقال قد لا يكون له مصادق، وبالتالي يكون في حالة الشك الفاقد إلى البراهين التي تجعله يقين بالإثبات.

إن الاعتماد على المضمون المكتوب أو المنطوق قد يؤدى إلى نتائج كاذبة، وذلك لتناوله قضايا كاذبة، فالكاتب على سبيل المثال عندما يكتب أو يتحدث عن الإنسان بقوله انه لا يحمل في قلبه إلا حبيبا واحدا، ثم نلاحظ أن هذا الكاتب له أكثر من حبيب، فماذا يعنى قوله السابق؟ إنه يعنى تناقض بين المضمون الذي احتواه النص، وبين الفعل، ولكن كيف نعرف ذلك؟ نعرفه بمقارنة القول مع الفعل والسلوك.

وإذا تساءل أحد:

أيهما أفضل، القول الذي يؤكد على حبيب واحد؟ أم الفعل الذي يخالف ذلك؟

بدون شك الفعل الذي يخالف ذلك أفضل لأن قلب الإنسان لا يمكن أن يقتصر على حبيب واحد، فهو يحب الله، ويحب الأب والأم، والأخت والأخ، والزوجة والأبناء، والأقارب والجيران، والأمة والبلد اللذان ينتمي إليهما، والأصدقاء الذين تربطه بهم مودة، والدين الذي أختاره للعبادة، وإلى الأكثر من ذلك إذا عددنا، ولكن للحب درجات ولا يلتقيان اثنان في درجة واحدة مهما قربا، فمكانة الله في القلب بالنسبة للمسلم لا يزاحمه فيها أحد على الإطلاق، وهكذا مكانة الوطن، ومكانة الأب والأم، والابن ولأخ والزوجة وإلى النهاية، لا يمكن أن يزاحم أحد آخر، وبناء على ذلك يعتبر مضمون النص لا مصادق له، وللفعل مصادق.

ينبغي على الباحث أثناء إقدامه على تحليل المضمون أن يحدد وحدة اهتمامه، الفرد، أو الاثنين، أو الجماعة، أو المجتمع المستهدف بتحليل المضمون، وحسب موضوع البحث أو الدراسة، وقد تكون وحدة الاهتمام جريدة أو مجلة، أو وثيقة،، أو كتاب، وقد تكون حديث أو خطاب، أو مذكرات خاصة، أو عامة، ولهذا يتعلق التحليل بمضمون المصادر الجاهزة ذات الصلة بموضوع البحث والدراسة، من خلال تتبع عناصر كل منهما، ومقارنتها بأثر المتغيرات من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر مع تحديد المبادئ، والأهداف، والصفات، والخصائص، والاتجاهات التي تأثرت أو تغيرت، أو أنها في طريقها إلى ذلك.

إن التكرار الكمي، والكيفي للكلمة، والفكرة، والجملة في الخطاب الشفوي، أو النص المكتوب، قد يعطى دلالة للموضوع بتأثير سالب، أو موجب، مما يجعل الباحث منتبها إلى ذلك أثناء تجميع المعلومات وتحليلها وتفسيرها، وأن يكون منتبها إلى التكرار الكمي للكلمة، أو العبارة، أو الجملة. ولذلك قد يتعمد الكاتب أو الخطيب على سبيل المثال التكرار، من أجل تثبيت المستهدف من الموضوع، مما يجعل للتهكم والسخرية أحيانا أهمية واعتبار عند تسفيه بعض المواقف أو الأفراد أو التقليل من أهمية الموضوع. ولذا عندما يكون التكرار بلا أهداف، يكون تكرارا بلا معنى (كم ليس إلا)، وتضييع للوقت والجهد، أما إذا كان من ورائه حكمة وهدف، فيكون له معنى وأهمية.

إذاً متى ينبغي أن تتكرر الكلمة، أو الجملة، أو الفكرة في النص أو الخطاب أو الموضوع؟

تتكرر عندما يكون لها مضمون وقصد (عندما يكون للكم كيف).

إذا هل التكرار ككم يعبر عن مصادق؟

ليس بالضرورة، لأن القول غير الفعل والكم غير الكيف، ولهذا لا هوية للكم إلا بالكيف. وعندما يكون للكيف هيئات وأشكال، يتعدد، وعندما يتعدد يُكوِّن كما،

وعليه لكل كم كيف، ولكل محتوى مضمون، ومضمون الكم محمولا في الكيف كما تحمل المعاني في الأرقام، وعليه إذا عرفنا على سبيل المثال الأرقام 1، 2، 3، 4، وإلى النهاية من الكميات ، فهل معنى ذلك أننا عرفنا مضامينها؟

كل الأعداد والأرقام مجردة ، ولا تعطى معنى وافٍ لها، إلا إذا عرفنا الكيفيان التي هي عليها من خلال معرفتنا لصفاتها، وخصائصها، فالأرقام 1، 2، 3، 4، على ماذا تدل؟

. هل تدل على أوزان؟

. هل تدل على درجات حرارة.

. هل تدل على الإنسان؟

. هل تدل على الحيوان؟ أم على ماذا؟

فإذا افترضنا أنها تدل على الإنسان، فهل ألإنسان متعدد ليكون 1، 2، 3، 4؟ أم أنه إنسان واحد لا يتعدد؟

في اعتقادنا الإنسان واحد، لا يتعدد، ولكن البشر هم الذين يتعددون، ويختلفون، لأن الإنسان يعبر عن مضمون واحد (بتوحد الإنسانية فيه)، إذن من خلال تحليل المضمون يمكن أن ينتقل الباحث إلى المتعدد منه، أو المتجزئ منه، أو المحتوي له، فعندما نحدد إنسانا واحد ونقول أنه أمة كما قال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}[15] إن ذلك يعنى أن أخلاقيات الأمة، واعتباراتها التي تحتويها مجتمعة قد توحَّدت في إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مما جعل مضمون الأمة الذي هو مضمون لمجموعة من البشر الذين تربطهم رابطة الأصل والانتماء، مساويا للمضمون الذي كان عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفى هذه الحالة فإن إبراهيم لوحده كان امة.

وعليه عند تحليل المضمون يجب مراعاة الآتي:

---

[15] النحل 120.

1 . الكلمة.

2 . الموضوع.

3 . الخصائص.

4 . واصفات.

5 . والظرف الزماني والمكاني للمعلومة.

6 . الصلاحيات.

7 . الاختصاصات.

إن غياب المصادر المباشرة، كالأفراد، والجماعات والأقوام (كقوم عاد وثمود)، وغياب بعض المفكرين، والفلاسفة والمجاهدين الأبطال الذين توفاهم الأجل، أو استشهدوا وتركوا لنا تاريخا، وفكرا، وعلوما موثقة، وفى متناول أيدينا، يعتبر غيابهم حاضر من خلال ما تركوه لنا من أثار علمية تتطلب من الباحث سبر أغوارها، وتحليل مضامينها، لآخذ العبر منها، وتجنب ما وقع فيه البعض منهم من انحراف أدى بهم إلى الهاوية، وهناك من ترك لنا آثارا مكتوبة، أو مسموعة ومرئية بوسائل الإعلام الحديثة، كالقادة والمفكرين الذين لازالوا على قيد الحياة، وقد لا يتمكن الباحث من مقابلتهم لبعد المسافة أو لصعوبة الاتصال بهم، مما يجعله يولي اهتماما بتحليل ما قالوه، أو يكتبوه عبر الزمن، وذلك بهدف لدراسة شخصياتهم، أو لمعرفة اتجاهاتهم وما حدث عليها من تغير، أو لمعرفة العوامل التي أثرت في حياتهم واتجاهاتهم وأفكارهم سلبيا أو ايجابيا.

ويكون لطريقة تحليل المضمون أهمية اكبر عندما تسنح الفرصة للباحث بأن يطَّلع على المضمون ويشاهد صاحبه، لكي يتمكن من ملاحظة ردود أفعاله، وإجراء مقابلة معه للاستيضاح عن بعض الاستفسارات التي يرى الباحث أهمية الإجابة عليها في إثراء الموضوع.

وتعتبر وسيلة الملاحظة هامة جدا في تحليل المضمون،من حيث:

1 . تجميع المعلومات.

2 . تحليل المعلومات.

3 . تشخيص الشخصية والحالة التي هي عليها.

4 . استخلاص النتائج.

فقد يشاهد الباحث الأشخاص والصور والأشكال، ولكنه لا يشاهد معاني الكلمات والجمل، ولا يميز بالمشاهدة بين أسلوب الجد وأسلوب الهزل الذي قد يصاغ الخطاب أو النص به مما يجعل للملاحظة أهمية في التمييز بين ذلك وتمكين الباحث من التعرف بواعي.

فعند مشاهدة الباحث للقائد أو الرئيس وهو يلقى خطابا عن موضوع بحثه الذي يتابعه، وليكن: (دراسة اتجاهات الخطيب الوحدوية) فالباحث من خلال مشاهدته للخطيب وهو يلقي خطابه يستطيع ملاحظة تفاعلاته ودرجة تحمسه، وردود أفعاله من ذوى الاتجاهات الانفصالية، ولهذا يتمكن من استقراء اثر الكلمة، أو الفكرة على الموضوع قيد المشاهدة والملاحظة، وينبغي ألَّا يكون الخطاب نقطة النهاية، بل يجب على الباحث أن يتابع موضوعه من حيث التعرُّف على ما تم تجاهه من إجراءات عملية، لتنفيذ ما ورد في الخطاب (موضوع البحث والدراسة) كإصدار اللوائح والقوانين والاتصالات مع الأطراف ذوي العلاقة لتحريضهم على الوحدة، ودفعهم إلى توقيع الوثائق التاريخية، وإلا لن يكون لمضمون الخطاب مصادق، وبل يصبح عبارة عن حبر على ورق أو كلمات في أشرطة التسجيل قد تساعد الخطيب على امتصاص غضب الناس من النظام الذي يرأسه.

تحليل المضمون طريقة ونحن نتفق مع التعريف الذي صاغه الدكتور سمير نعيم بقوله: "تحليل المضمون هو إحدى طرق البحث التي تستخدم من أجل الوصول إلى وصف منظم موضوعي وكمي لمختلف تسجيلات التعبير الرمزي"[16].

الوسائل العلمية لتحليل المضمون:

1 . التصانيف القيمي.

2 . المشاهدة.

3 . الملاحظة.

4 . المقابلة.

5 . الاستبيان.

أسس تحليل المضمون:

1 . محتوى:

المحتوى هو الذي يحمل المضمون في نصه، ولذا فالمحتوى عام، وهو ما كتب، أو قيل، أو سجل على وسائل تحفظه، ويمكن الرجوع لها عند الحاجة، من أجل التعرف على ما تحتويه من مضامين، ولذلك يتم التعرف على المضمون بالإطلاع على المحتوى، والمحتوى هو الإطار العام الذي يستوعب بؤرة الاهتمام وهوامشه، والمضمون هو اللب الرئيس الذي يبنى عليه النص.

2 . محلل:

المحلل هو الباحث المولي اهتماما بالموضوع قيد البحث والدراسة، والمستخدم لوسيلة الملاحظة بانتباه أثناء تحليل المضمون، أو أثناء اطلاعه على استمارة تصنيف قيمي، أو استمارة مقابلة، أو استمارة استبيان تحتوي على معلومات ذات دلالة علمية من تستوجب التحليل.

---

[16] سمير نعيم، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية. القاهرة: الطبعة الخامسة، 1992، ص159.

وتعتبر استمارة التصنيف القيمي من أهم الأدوات المستخدمة في تحليل المضمون ثم وسيلة الملاحظة، وللمقابلة أهمية كبرى في استخدامات هذه الطريقة لأجل التحقق من المعلومات الجاهزة.

وعليه لم يكن تحليل المضمون وسيلة كما حدده البعض ولم يكن خطوة علمية مجهولة كما اعتقد البعض الآخر، بل إنه طريقة علميا بؤرة اهتمامها التقصي الدقيق للمعلومات من المصادر الآتية:

1 . المصادر البشرية: وهم شهود العيان، والمعاصرين، والمشتركين في الموضوع قيد البحث والدراسة.

2 . المصادر المشاهدة وملاحظة: وهي الآثار، والتحف، والرسومات كشواهد مادية يمكن مشاهدتها وملاحظتها.

3 . مصادر مكتوبة، وتنقسم إلى الآتي:

أ . المخطوطات: بعد مراجعتها وإخضاعها للنقد الداخلي من خلال ما تتضمنه من نصوص ولغة وأسلوب، وشواهد وبراهين، ثم إخضاعها للنقد الخارجي من حيث الزمن الذي كتبت فيه، والزمن الذي تتحدث عنه، وعلاقاتها بما كتب في مجال نصوصها، ومضامينها.

ب . الوثائق الرسمية: من مقالات، وأفكار، وأشعار، وسجلات، وتقارير، وصحف معتمدة، وكذلك المذكرات والمراسلات الرسمية، والمذكرات الخاصة إن وجدت، وهذه المذكرات الخاصة تعتبر على درجة عالية من الأهمية خاصة إذا كان صاحب الحالة المدروسة من الذين يعانون من أمراض نفسية، واجتماعية.

3 . المحلل من أجله: وهو المستهدف بالبحث والدراسة، فإذا اعتبرنا أن المحتوى هو الموضوع من خلال نصوصه العامة، وأن المحلل للموضوع هو الباحث، فيكون المحلل من أجله الموضوع هو المبحوث فردا أم جماعة أم مجتمعا، مما يجعل للموضوع مصادر مباشرة أو غير مباشرة يستوجب الاتصال بها للتعرف على العلل

والأسباب التي يحتويها الموضوع، وفق أهداف واضحة. ولكي يستوفى الموضوع بالدراسة والبحث العلمي، ينبغي على الباحث مشاركة المبحوث في تشخيص الحالة وما يتم التعرف عليه من معالجات وأن لا ينوب الباحث عن المبحوث في ذلك، لأن الموضوع يتعلق بالدرجة الأولى بالمحلل من أجله (هو المبحوث) .

ولتوضيح ذلك احلل التعليم كموضوع يستوجب اشتراك العناصر البشرية ذات العلاقة به من حيث فلسفته وأهدافه ومهامه.

التعليم: إن التعليم المنهجي المنظم، والمقررات المفروضة على الدارسين قد تؤدى إلى قولبة الفكر الإنساني، وتكون قامعة لرغباته، لذا فالإجبار على تعلمها لا يمكن المتعلم من بناء مستقبله، لأنها تستهدف تعليم رؤية معينة، أو اتجاهات محددة مع طبيعة القضايا المقررة على الدارسين، مما يجعل من المعلِّم طرفا ومن المتعلم طرفا آخر على النحو الآتي:

من المعلم طرفا موجبا ، ومن المتعلم طرفا سالبا.

ومن المعلم طرفا ملقِّنا ، ومن المتعلم طرفا ملقَّنا.

ومن المعلم طرفا متحدثا ، ومن المتعلم طرفا مستمعا.

ومن المعلم طرفا مُرسلا ، ومن المتعلم طرفا مستقبلا.

ومن المعلم شرطيا أثناء إجراء الامتحانات ، ومن المتعلم لصا مطارد.

إن هذه المنهجية العقيمة لا يمكن أن تنجب المبدعين، ولا تعلم علوم الصحوة والتنوير (علوم الاختراع المنتج) بل أنها تعلم الأمية، وتُسهم في تخريج اللصوص والغشاشين، إن مثل هذه الطريقة التعليمية عن طريق الجلوس على الكراسي المصفوفة هي بحق تعتبر في العصر الحديث طريقة تعليم الأمية عن عمد وقصد.

إن الأمية التي كانت الشعوب تعلم أبنائها خوفا منها أصبحت اليوم تعلمها لأبنائها عن طريق مقررات وأساليب التلقين التي لا تُخرِّج إلا الببغاوات. وإن علوم اليوم والغد يجب أن تكون هي علوم تحرير المتعلمين من القيود وهى علوم إشباع

الحاجة التي تتطلب الإبداع والإنتاج وتبنى الشخصية الواعية، وهذه العملية لا تتحقق من قبل معلم واحد أو مدرس واحد، بل أنها تتطلب أكثر من معلم لكي تكتمل وتستوعب من قبل المتعلم، وأن تكون المعلومات قابلة للتطبيق والتجريب والاختبار والقياس بكل معيارية وموضوعية، وأن يُسمح للمتعلم أن يشارك في التطبيق والتجريب، ويُفضَّل أن يكون تعلمه في الميدان لا في الفصول التي تعزله عن أداء هذه المهمة العلمية في أماكنها المناسبة.

إن العلوم الاجتماعية والإنسانية التي توصف من قبل البعض بالنظرية هذه هي علوم تعليم الأمية، وكذلك علوم المختبرات التي لا تمكّن المتعلم من الانتقال إلى الميدان هي الأخرى علوم تعليم الأمية. فعيوب التربة أو ميزها التي تضر أو تفيد الزراعة والإنتاج الزراعي للبلد لا ينبغي أن تقتصر دراستها في المختبرات ليتعلم الطلبة عليها، بل ينبغي أن يخرج الطلبة من الفصول والكراسي إلى الميدان المراد دراسته وإجراء التجارب عليه، حتى لا يقتصر تعليمهم على العينات الترابية التي قد لا تكون ذات علاقة بالبيئة التي هم من أجلها يتعلمون ويتخصصون.

ولذلك لو كانت دراسة المشاكل الاجتماعية في الفصول تفيد المتعلمين لقضوا على كل المشاكل التي تواجه مجتمعاتهم، ولكن الذي يحدث هو تضاعف هذه المشاكل والظواهر وازدادت تعقيدا، وإذا كان الأمر كذلك، إذاً ماذا يتعلَّم الطلبة ليفيدوا به مجتمعاتهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا؟

في اعتقادي لم يتعلموا إلا الأمية.

ولكي لا تفرض مثل هذه المقررات على المتعلمين ينبغي أن يتم تغيير الأساليب المنهجية للعملية التعليمية، المتعلقة بالمعلم والمتعلم والمعارف المفروضة، أي أن تترك حرية الاختيار أمام المتعلم، وأن تكون أساليب التعليم قائمة على الجدل والحوار والنقد، والشك من أجل اليقين، والتجريب، وليست مسلمات قائمة على التلقين. أنه التعلم الذي تكون أطرافه موجبة، عندما تستوعب جسارة المعلم،

والمتعلم الإبداعية، دون تحديد مواقف مسبقة منها، ولذا فإن إعطاء المعلِّم للمتعلمين ما قاله ديكارت في الشك أثناء إلقاءه المحاضرات التعليمية، ثم مطالبتهم بإعادته إليه إجابات أثناء الامتحان، هل هذه الطريقة تضيف الجديد للمتعلمين أي هل هذه الطريقة تُسهم في خلق المفكرين والمبدعين؟ أي تعليم لم يخضع للتحليل والنقد والتفسير لن يضيف الجديد، أنه مجرد تكرار روتيني يطفئ روح التألق والإبداع، وهو عبارة عن عنعنة من خلالها نقلت النص عن ديكارت للمعلم، ثم يأتي المعلم للفصل ليقول للطلبة ما قاله ديكارت، وبعد ذلك يعود إليهم في الامتحان ليسألهم عما قال ديكارت، فيقول له الطلبة على مضض ما قاله ديكارت مع الفاقد منه.

التعليم يجب أن يكون تشخيصيا وأن يبدأ مع المتعلمين من حيث هم، ليرشُدهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، أي في المجتمعات الفقير ينبغي أن يبدأ المعلم مع المتعلمين في البلدان الفقيرة من حيث فقرهم وظروفهم لينتقل بهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه، ومثال على ذلك التعليم في موريتانيا، أو مالي أو الصومال عندما يكون في محتوياته الحديث عن أهمية القصور الفاخرة، وأهمية ارتداء الملابس الحريرية، والحلي الثمينة والبرجوازية العظيمة، يعد أضحوكة لأن المواطن في حاجة لتعليم يحلل واقعه، وظروفه المعوزة، لأجل أن يؤهله ويحفَّزه على الإنتاج والمثابرة التي تُمكِّنه من أن يطوي صفحات الفقر، والجهل والمرض، ويتحرر من قيودها، ليسهم في تغيير واقعه، ولذا فالفقر لا يكن عيبا، بل العيب عدم الاعتراف به، وعدم العمل على التخلص منه إلى غير رجعة. وعليه، يكون لتعليم السياسة، والاقتصاد والآداب، والفنون، والرياضة، والطب والعلوم المتنوعة والمتعددة معنى ومضمون عندما تسعى جادة في تحليل وتشخيص الواقع، وتعمل على تغييره إلى الأفضل.

ويتم تحليل المضمون وفق المعطيات الأساسية التي تكوِّن وحدة الموضوع، وتبرز أصوله، وتظهر فلسفته، ويتم تفسيره وفق النتائج والأحكام والقوانين المتوصل إليها، وكما يرتبط التحليل بالمضمون، يرتبط التفسير بالتحليل.

ولتوضيح ذلك اعرض التحليل الآتي:

في حالة الاستماع لخطاب أو نص أو في حالة قراءة موضوع، وليكن هذا الخطاب، أو النص، أو الموضوع مستندا على فلسفة إسلامية، بتأكيده على أهمية الكتاب كمصدر للتشريع الإسلامي، فإذا تضمن الموضوع وتحليله النتائج الآتية:

1 . إن القرآن هو مصدر التشريع.

يكون التفسير لأن الكاتب، أو المشرِّع، أو الخطيب مسلم.

2 . التأكيد والتركيز على تحريم الخمر.

يكون التفسير لان القائد، أو المسؤول، لم يكن من متعاطي الخمر، إلى جانب كونه مسلم.

3 . إنَّ النصوص، والقوانين الصادرة، والخطب تُحرِّض على قيام الوحدة بين أبناء الأمة الواحدة.

تفسر لان المسؤول أو المُشرِّع وحدوي.

خطوات طريقة تحليل المضمون:

1 . تحديد مشكلة البحث أو موضوعه.

2 – تحديد أهداف البحث.

3 . تحديد وحدة الاهتمام.

4 – تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.

5 . تحديد مصطلحات البحث.

6 . استطلاع الدراسات السابقة.

7 – جمع المعلومات والبيانات.

8 – تحليل المعلومات.

9 – استخلاص النتائج أو الاستنتاجات وعرضها.

10 . تفسير النتائج.

11 . التوصيات أو المقترحات.

12 – كتابة التقرير.

أهداف استخدام طريقة تحليل المضمون:

من أهداف طريقة تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية والإنسانية معرفة الجوهر الخاص والعام في الدراسات الفردية، والجماعية، والمجتمعية، ومع أن الجوهر لا يخضع للمشاهدة نظرا لكمونه، إلا أنه في دائرة الممكن يُستدل عليه بما يلاحظ في القول والفعل والعمل والسلوك.

ولهذا أتساءل:

هل يحق لنا أن نحكم على كل ما نشاهده من سلوك أنه خير معبِّرٍ عن حقيقة الجوهر؟

إذا كانت الإجابة بنعم.

فإننا اعترفنا بوجود تطابق بين الصورة والجوهر، وإذا كان كذلك فإن السلوك الظاهر في هذه الحالة وكأنه الجوهر، مع العلم أن الجوهر لا مادة فيه فهو مجموع تلك المكونات من المشاعر، والعواطف، والأحاسيس والحق، والعدل وغيرها، مما يجعلنا نستنتج أنه لم يكن من الأمر الهين أن يتطابق السلوك مع الجوهر، وإن تطابقا كان السلوك أو الفعل والعمل على درجات الصدق العالية، وإن لم يتطابقا فالحقيقة دائما كامنة في الباطن لتستدعي باحثا ماهرا لينقب عنها بفنٍ ومهارةٍ ومهنيةٍ.

أمَّا إذا كانت الإجابة بلا.

إذن لماذا يثق البعض في صورة أو سلوكٍ لا يعبر عن الجوهر (مكمن الحقيقة)؟ ولماذا تُصدر الأحكام وتعمم على من لم يشترك فيما يشاهده الباحث؟

وعليه فالمشاهد لم يكن علة أو سببا، بل السبب والعلة هما الكامنان وراء ما يشاهد، وهذه العلة تنقسم إلى جزأين:

1 . علة صادقة.

2 . علة كاذبة.

1-العلة الصادقة: هي التي تنعكس في السلوك، ويكون أصدق معبر عنها أي أن السلوك في هذه الحالة مترجم حقيقي للجوهر من حيث كونه لم يكن متأثرا بمتغيرات ذاتية أو خارجية، بل كان التصرف والسلوك حسب الموقف تصرفا وسلوكا طبيعيا.

2- العلة الكاذبة: هي العلة الظاهرة التي لا تحمل المعنى الحقيقي للموضوع ولا تُشير إلى ما يدل عليه، مما يجعل السلوك الظاهر لا يُعبر عن حقيقة الجوهر، بل قد يعبر مما يُعبِّر عنه اتخاذ موقفا من الباحث أو من الموضوع مما يجعل المبحوث مُتصنِّعا للسلوك المشاهد.

وعليه يكون واضحا عدم الثقة في كل مشاهد أو ملاحظ. وبما أنه كذلك فإنه أصبح من الصعب الاعتماد عليهما كأداتين في إصدار الأحكام مع إنهما هامّان في تجميع المعلومات، ومن هنا وجب تصحيح الخلط بين المشاهدة والملاحظة كأداتين هامتين في تجميع البيانات أو أنهما مصدرا حكم.

أ- في حالة تجميع المعلومات:

تعتبر المشاهدة التي تعتمدها طريقة تحليل المضمون أداة مهمة من خلال اعتمادها على حاسة البصر والرؤية المُمكِّنة للباحث من الوقوف مباشرة من مشاهدة السلوك.

والملاحظة مهمة جدا لأنها تُمكِّن الباحث هي الأخرى من التعرف على السلوك أو الفعل الملاحظ وتُمكِّنه فوق ذلك من استعمال أكثر لحاسة البصر، وذلك لأن الملاحظة تُستمد من المشاهدة وبقية الحواس مع سيادة العقل على رأسها، فبها يتم الاستنباط والاستقراء والاستنتاج، ولهذا تكون الملاحظة أكثر شمولا من المشاهدة.

ب- في حالة إصدار الأحكام:

فإذا قبلنا بأن المشاهدة والملاحظة وسيلتين لإصدار الأحكام فإننا لغينا أهميتهما في تجميع المعلومات، وإذا تساءل البعض كيف؟

يجاب عليه بالأسئلة التالية:

إذا حكمت على فعل أو سلوك من أفعال أو سلوك الفرد أو الجماعة أو المجتمع فبماذا أيها الحاكم (الباحث) حكمت؟

هل لأنك نظرت أم لأنك سمعت؟

إذا كانت الإجابة بنعم لكليهما.

إذاً اعترفنا بأن الوسيلة استعملت في إصدار الأحكام وليس في تجميع المعلومات والبيانات.

وإذا كانت الإجابة بلا.

إذاً اعترفنا بأن الوسيلتين هما لجمع المعلومات والبيانات، وبما أن الإجابة كانت باستعمالهما في تجميع المعلومات والبيانات إذاً لا داعي للحكم، ولهذا فأي حكم عن طريقهما لا يعتد به.

ويستنتج من الفقرتين (أ ، ب) أن هناك ازدواجية الاستعمال للمشاهدة والملاحظة في تجميع المعلومات وفي تحليلها أو تفسير نتائجها، ونحن نقول:

ينبغي عدم الزج بهما في أحكام مطلقة فالمعلومات التي تصدر الأحكام عليها استنادا على الملاحظة والمشاهدة هي معلومات تحتاج إلى تحليل علمي وموضوعي، ولهذا المعلومات تحلل ولا تفسر، فالذي يُفسر هو النتائج.

وكما سبق أن وضَّحنا لا يمكن التسليم بصحة كل ما يشاهد أو يلاحظ، ولهذا يُفضَّل إبعادهما عن الحكم واعتبارهما وسيلتين مهمتين في تجميع المعلومات وملاحظة السلوك، فتجميع المعلومات عن طريق المشاهدة والملاحظة يُعد مادة أولية قابلة للتحليل وليست قابلة للتفسير.

وعليه تُعتبر المقابلة في هذه الحالة اختباريه للمعلومات التي تم تجميعها أو الحصول عليها بأي وسيلة من وسائل جمع المعلومات، ولذا فبالمقابلة يمكن مساس الجوهر (المضمون) عن طريق الجدل والحوار والنقاش الهادف والتنفيس الوجداني حول الموضوع وعلى مرتكزاته ووفقا للسلوك أو الفعل الذي تمت مشاهدته وملاحظته.

ولتوضيح ذلك نقول على سبيل المثال:

لو شاهد اثنان من المسلمين هلال شهر رمضان هل تعتبر هذه المشاهدة حكما أم لا تعتبر حكما؟

بالطبع تكون الإجابة بلا.

لأن مشاهدة الاثنين لم تكن حكما بل معلومة وهذه المعلومة قابلة للتحقق منها وفق اشتراطات باعتبارهما مسلمين والمسألة تتعلق بصوم شهر رمضان المبارك وذلك من حيث:

أ – هل هما مسلمان بالفعل؟

ب – هل هما عاقلان.

ت – هل هما في حالة صحو وفطنة ولم يكونا في حالة سُكر.

ث – ألا يكون من المهم أن تُجرى مقارنة لحديثهما من أجل إثبات المصداقية من عدمها.

ج – ولأجل أن تطمئن القلوب إلا ينبغي أن يقسما على المصحف بأنهما عن حق شاهدا الهلال الذي يدل على بداية شهر رمضان لهذا العام.

بعد ذلك يصدر الحكم على مشاهدتهما التي تؤكد رؤيتهما لهلال شهر رمضان من عدمه. وكل ذلك لا تم إلا عن طريق المقابلة التي من خلالها يتم اختبار أقوالهما عمَّا شاهداه لهلال شهر رمضان من عدمه.

الفصل السابع

الكيفية التي يتم بها تحديد الإطار النظري للبحث

تحديد الإطار النظر للبحث:

يُقدم الباحث في هذا الإطار الإنتاج الفكري المؤسس على التصورات المعرفية والعلمية ويركِّز بعناية على تحديد المفاهيم دلالة وبُعدا ومعنى، ويتولى بالعرض الموضوعي تلك التطوُّرات العلمية التي حدثت في مجال تخصصه، ثم يولي اهتماما بالتحليل متغيرات البحث وتأصيلها من خلال العودة إلى النظريات ذات العلاقة، مع فتح آفاق التطلع أمامه لأجل المشاركة في صناعة المستقبلِ الأفضل.

ويتضمن الإطار النظري للبحث الآتي:

أولا: الدراسات السابقة وكيفية استطلاعها:

الدراسات السابقة هي تلك البحوث التي تم انجازها في ميادين البحث العلمي سواء أكانت في مراكز البحوث أم الجامعات والأكاديميات العلمية أم التي أجيزت بعد مناقشة في الندوات والمؤتمرات العلمية المتخصصة.

وقد يتساءل البعض:

لماذا استطلاع الدراسات السابقة؟

نقول:

لأنها تحتوي على السابق: subject of concern والسابق هو كل قول أو فعل أو سلوك متصل ومستمر فهو يحتوي على سابق من نوعه، وهكذا يحتوى الزمن الحاضر على كل الماضي بالفعل، ويمتد إلى المستقبل بالقوة، فلو لم يكن هناك ماضٍ ما كان هناك حاضرا ولن يكون هناك مستقبلا، ولذا فالحاضر هو نتيجة تراكم الزمن الماضي كوحدة ثابتة بالفعل المتحرك (المتغير) الذي كان حاضرا، وبناء على ذلك ينبغي أن ينطلق التحليل والتفسير العلمي موضوعيا من ماضٍ إلى حاضر في اتجاه المستقبل بالقوة. ولأجل ذلك تتكون الأفكار الحاضرة بقوة الماضي، الذي يمدُّها بقوة التطلّع للمستقبل الأفضل.

ولذا يحدث التغير والتقدم والتطوَّر باحتواء الزمن الحاضر على الزمن الماضي بما له وما عليه كاحتواء الجسم على وزنه، واحتواء العمر على أيامه، والمسافة المقطوعة على أمتارها المتكونة منها.

وإذا لم يتم التعرف على السابق واحتوائه، لا يجد اللاحق مكانا له بين الذين قد سبقوه ليكون مصدرا، أو مرجعا للباحثين عن المستقبل. ولذلك لا ينبغي أن ينعزل التحليل الحاضر عن التحليل الذي سبقه حتى وان كان بينهما اختلاف في طرق التحليل وأساليبه. وهذا لا يعنى أن يكون بينهم بالضرورة تماثل أو اتفاق.

إن الاحتواء على السابق يؤصِّلُ المواضيع، ويجعل بينها صلة، تُمكِّن الحاضرين واللاحقين من مراجعتها، والتعرف على أسرارها وخفاياها، والأخذ بميزها، والابتعاد عن عيوبها التي وقعت فيها، ويتم استطلاع الدراسات السابقة عرضا مختصرا وفقا للآتي:

1 . منهجياتها.

2 . القضايا العلمية التي أثارتها في الميدان العلمي.

3 . مقارنتها بما يجريه الباحث من بحث أو بحوث.

4 . علاقة النتائج المتوصل إليها في الدراسات السابقة بفروض الباحث أو تساؤلاته.

5 . الجديد الذي أضافته كل دراسة.

6 . ما أثارته من تساؤلات جديدة في ذهن الباحث لأجل أن يتفادى أو يبحث فيما يُفيد.

7 . علاقة الدراسات السابقة بالنظريات والقوانين وعلاقتها بصناعة المستقبل.

وإذا أراد الباحث أن يعرف أهمية الدراسات السابقة عليه بمحاولة الإجابة على الأسئلة التالية:

1 . هل كانت فصول الدراسات السابقة متوازنة في دراسة متغيرات مشكلة البحث؟ أم أنها أولت أهماما ببعض المتغيرات الرئيسة وغفلت عن البعض الآخر، وهل كان لذلك أثرا على النتائج التي وصلت إليها الدراسات السابقة؟

أي إجابة من قِبل الباحث على هذا السؤال المركب يُفيده في إجراءات بحثه، من أجل أن يكون متوازنا دون أن يغفل عن أي متغير من المتغيرات الرئيسة والمتداخلة في موضوع بحثه، والتي قد تؤثر سلبيا على نتائج بحثه لو لم يتداركها بالبحث والتقصي الدقيق.

2 . ما هي القيم التي أكدت الدراسات السابقة عليها؟ وما هي القيم التي أثارتها دون إن تؤكد عليها؟

إجابة الباحث على هذا السؤال تلفت انتباهه لِما يجب أن يقوم به حيال بحثه فيتداركه قبل أن يتعرض للمسائلة، أي عندما يضع الباحث أمام ذاكرته هذا التساؤل لن يغفل عن القيم التي يمكن أن تثار في بحثه، والقيم التي يجب عليه إثارتها بنفض الغبار عنها، وتبيانها وأهميتها في التأثير على متغيرات البحث وسلوك الفرد والجماعات والمجتمعات، ولتكون بين أيدي الناس متجسدة في القول والفعل والعمل والسلوك.

3 . إذا كانت هناك توصيات أو مقترحات متضمِّنة في الدراسات السابقة فما علاقة تلك التوصيات والمقترحات بالمشاكل البحثية التي تناولتها تلك الدراسات السابقة؟ ثم ما علاقتها بالنتائج التي توصَّل الباحث إليها في بحثه أو دراسته؟

هنا يجب أن ينتبه الباحث وإلا سيقع في الفخ الذي وقع فيه البعض بأن يوصي ويقترح في حين لا توجد علاقة بين توصياته ومقترحاته وبين موضوع بحثه مما يعرِّضه للانتقاد وأحيانا إلى عدم إجازة رسالته من قبل لجنة المناقشين والمحكمين أثناء المناقشة سواء أكانت مناقشة علنية أم كانت على غير ذلك.

4 . على ماذا أجمعت وتوافقت الدراسات السابقة؟ وعلى ماذا اختلفت وتباينت؟ وعن ماذا غفلت؟

هل أجمعت على وحدة المصطلح والمفهوم؟ أم أنها اختلفت عليه؟ أم أنها غفلت بالتمام عن ضبط مفاهيم دراساتها وتحديد مصطلحاتها؟

كل هذه الأسئلة إرشادية تفيد الباحث وتلفت انتباهه إلى منهجيات البحث وأهمية متغيراته في إظهار المعلومة من المعلومة والحُجَّة من الحُجَّة. ولذا على الباحث أن لا يغفل عمَّا أجمعت الدراسات السابقة عليه، وذلك ليؤكده بعلمية ويثري بحثه به، أو يبطله أو ينفيه بعلمية وموضوعية، أي في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع يمكن له أن يكتشف ما يُبطل أو ينفي ما أكدته بعض الدراسات السابقة في مجال تخصصه وقيد بحثه.

5 . ما هو المتغير البحثي الرئيس الذي ربط بين الباحث ومشكلة بحثه بالدراسات السابقة واضطره للعودة إليها؟ أم أنه لم يرتبط بها إلا عناوين عامة تشير إلى عنوان بحثه العام؟

بطبيعة الحال إنْ فهم الباحث وألَمَّ بمشكلة بحثه ومتغيراتها ألَمَّ بأسرارها، وإن لم يلِمَّ بها فلن يلِمَّ بأسرارها وخفاياها التي تستوجب منه التقصي والتتبع الدقيق والفطنة والانتباه، ولهذا ليس عيبا أن ترتبط عناوين الدراسات السابقة بعنوان البحث الذي صاغه الباحث وفقا لمشكلة بحثه، ولكن التعمُّق البحثي يُمكِّنه من معرفة وكشف أدق العلاقات التي تستوجب مقارنة مع متغيرات بحثه، ومثل هذه المقارنة تزيد بحثه رصانة وقوة وأهمية.

6 . هل كان البحث في ضوء مقارنته بالدراسات السابقة متميزا عنها؟ وبماذا كان متميزا؟

من الصعب جدا أن نقول: من المؤكد أنه كان متميزا، ولكن نقول: من المفترض أن يكون متميزا وإلا لن يضيف الجديد. ومع ذلك حتى لا يسود التعبير الإنشائي

على البرهنة والمحاجَّة العلمية نطلب من الباحث أن يخبرنا بما تميِّز بحثه، ولهذا لا ينبغي أن يغفل الباحث أثناء مراجعته ومقارنته وتحليله للدراسات السابقة عن إظهار ما تميز به بحثه أمام المناقشين وأمام القراء بعد أن يجاز من قبل المناقشين ويعرض أو ينشر في المكتبات. ولذا إن لم يتفادى الباحث هذا الأمر سيجد نفسه أمام هذا السؤال من قبل المناقشين له، وفي ذلك اليوم تكون الفرص قد انتهت، ولهذا فنحن ننبه ونذكر لعلها تنفع.

7 . من خلال مراجعة وتفحُّص الباحث لمتغيرات الدراسات السابقة هل تمكَّنَ من معرفة متغيرٍ رئيس يرى أنه ضروري وكان من الواجب تناوله بالدراسة ولكن بعض الدراسات أهملته ولم تتناوله بالاهتمام الموضوعي؟

إذا فطن الباحث لذلك فطن بمتغيرات بحثه الضرورية، وفطن بما يمكن أن يواجهه به المناقشون فيكون قد أقفل عنه بابا بفتحه أبواب البحث العلمي ودخوله منها إلى أعماق المعرفة العلمية.

8 . هل كانت الدراسات السابقة مهتمة بالتوثيق والعودة إلى المصادر؟ أم أنها لم تولي اهتماما واضحا بذلك؟

بدون شك مناقشة الدراسات السابقة تتطلب من الباحث أن يُقلِّبها من هذا الجانب، فإن لم يُقلِّبها فقد يغفل هو الآخر عن أهمية التأصيل العلمي والعودة إلى المصادر سواء أكانت بشرية أم وثائق مكتوبة ومخطوطة ومطبوعة أم آثار تخضع للمشاهدة والملاحظة.

ولذلك فإن لم تولي الدراسات السابقة أهمية بالتوثيق والتأصيل يوجَّه النقد العلمي إليها، وتوصف بالدراسات التي لا تُسهم في إثراء المكتبات، وهذه تُكتب ميزة للباحث الذي كشف أمرها وعرضه بموضوعية.

9 . هل اهتمت الدراسات السابقة بدراسة المعلومات والبيانات وتحليلها كما وكيفا؟ أم أنها تناولت أحد الجوانب وأهملت الآخر؟

بدون شك تكون الأهمية العلمية عندما تُقلَّب المعلومة من جميع جوانبها وزواياها حيث لكل زاوية قراءة ودلالة فلا ينبغي أن يغفل الباحث عنها، ولهذا تكون الفرصة متاحة أمام البحاث لينتبهوا إلى أهمية ذلك عندما يجرون بحوثهم العلمية فكما نعطي للإنسان قيمة أخلاقية عامة، كذلك نُعطي لمساهماته الكمية في الإنتاج، ونُعطي لعمره سواء أكان طفلا أم شيخا عندما نقارنه بعطاء الآخرين الذين هم في شبابهم أقل عطاء وأقل مقدرة وأقل تميزا عنهم وذلك بما يسهمون به من إنتاج فكري أو علمي أو مادي.

إذا على الباحث أن لا يغفل عن تقليب المعلومات والبيانات في الدراسات السابقة وكذلك تقليبها في بحثه ليزداد رصانة وعمقا في توليد المعلومة من المعلومة والفكرة من الفكرة، وكذلك ليتجنب ما غفلت عنه الدراسات السابقة التي تناولها بالتفحُّص والمراجعة الواعية.

وعليه إن لم يعرف الباحث ويكتشف ما غفلت عنه الدراسات السابقة لن يجد مكانا لائق ببحثه، ولن يكون مساهما في إضافة الجديد المفيد. ولذا فمن غير المقبول أن لا يكتشف الباحث ما غفلت عنه الدراسات السابقة، أي لابد وأن تكون قد غفلت حيث لا كمال إلا لله تعالى، وهذه فرضية دائما مستمرة وهي: (كل دراسة لابد وأن تغفل عن شيء هو مفيد لمن يأتي من بعد من أجراها لتفسح مجالات جديدة أمام البحاث).

ولهذا فمن الأهمية أن يتوجه الباحث إلى الدراسات السابقة ليتبينوا مكامن القوة والضعف فيها وكذلك مكامن الفطنة والغفلة، ومكامن العلة والمعلول والسبب والمسبب أيضاً.

10 . من خلال دراسة ومراجعة الباحث للدراسات السابقة هل تبيَّنَ له ما تؤكد عليه الدراسات السابقة إن جاءت مؤكدة على شيء ما؟ وهل هناك تناقض بين الدراسات السابقة وبين ما يؤكده بعضا منها؟

لا يُقبل من الباحث الذي رجع للدراسات السابقة أن لا يكشف أو يُبرز ما تؤكد عليه تلك الدراسات، ولا يُقبل منه أن لا يبدي رأيا علميا من خلال بحثه تجاه ما تؤكده الدراسات السابقة ليكون معترفا ومؤيدا له أو يكون كاشفا لِما يخالفه فيعرضه إضافة جديدة.

وكذلك إن كان هناك تناقضا بين ما تؤكده بعض الدراسات وما يخالفها في دراسات أخرى وأن لم يُظهر الباحث هذا التباين أو الاختلاف وكَشَفَهُ أحد المناقشين لرسالته إن كانت رسالة لنيل الماجستير أو الدكتوراه فكيف يكون حاله؟ صامتا والملأ يشهد، أم أنه متحدثا في غير محله؟

11 . بعد أن يدرس الباحث بعناية الدراسات السابقة ذات العلاقة بمشكلة بحثه، هل يمكن له أن يخرج بنتيجة ومفادها؟ أم أنه لم يخرج بنتيجة ليكون من ورائها إفادة؟

إن لم يخرج الباحث بنتيجة من مجموع الدراسات العلمية المجازة نعتقد أنه في حاجة لإعادة دراستها، وإن تأكد له ذلك خاصة بعد مراجعة أستاذه المشرف فالأمر سيكون في صالح ما يجريه الباحث من بحثٍ، وذلك ليكون غير غافلا عما وقع فيه من سبقه من الباحثين في مجال تخصصه، وليوجه بحثه وفقا لأهدافه حتى تنجز وتحقق نتيجة ذات إفادة. وإلا ستجد المكتبات ما تُضيفه للبحوث المهملة أو التي سيلقى بها في سلال المهملات.

12 . إذا كان للبحث إطارا نظريا وآخر عمليا أو معياريا أو ميدانيا، في مقابل ذلك هل تمكَّنَ الباحث من معرفة ما يُفيده من الدراسات السابقة في إثراء إطاري بحثه؟ أم أنه درس ولم يجد ما يفيده لأيٍ منهما؟ أم أنه وجد ما يُفيده في أحدهما؟

إذا تعرَّف الباحث على ما يُجيب به على هذه الأسئلة، يكون قادرا على مقارنة الدراسات السابقة وقادرا على الاستفادة مما وصلت إليه من نتائج، وما كشفته من قضايا. وتكون الدراسات السابقة مثرية لبحثه وإن كانت كذلك يعد الباحث قد حقق هدفا من استهدافه إليها بالدراسة.

13 . هل أجريت الدراسات السابقة سواء أكانت نظرية (مكتبية) أم ذات الإطارين (النظري والعملي أو المعياري أو الميداني) هل أجريت على المجتمع أو عينة منه من ذات المجتمع السكاني في البلد الذي منه الدارسين أم أنها أجريت في الجامعات داخل البلد ولكن مجتمع الدراسة أو عينته كانت على غيرهم (على من هم خارج البلد من الأجانب)؟

ولأن لكل مجتمع خصوصية دينية وعرفية وثقافية وسلوكية وعرقية لذا يكون من الأفضل للمجتمع أن تجرى الدراسات والبحوث على ما يجري فيه من تغيرات أو انحرافات من أجل تقويم من انحرف والعودة بهم إلى الجادة التي يُقرها المجتمع ويرتضيها.

ولذا فإن أجريت الدراسات على غيره وهو في حاجة لأن تُجرى عليه أو على عينة منه، يكون من الأهمية أن توجَّه الانتقادات من الباحث إلى تلك الدراسات، مما يجعل الباحث ملتفتا وموجها بحثه إلى الميدان الذي يجب أن يوجَّه إليه بموضوعية وليس بتحيز.

ولذلك سبق لنا وأن قلنا: عندما يكون المجتمع فقير فعلى البحاث والدارسين أن يتوجه إلى دراسة هذه الظاهرة، ليعرفوا أسبابها ومكامن عللها ويعملوا على إيجاد المعالجات الاقتصادية والسياسية التي تفيد في استثمار إمكانات البلد وتُسخِّير طاقاته البشرية إلى الإنتاج وفتح فرص العمل المنتج أمامهم. أمَّا إذا توجَّهت الدراسات والبحوث في ذات المجتمع الفقير إلى دراسة المجتمعات الغنية لتبحث في الغنى والطبقات التي تَقسَّمَ المجتمع بينها بين فقير وغني، ثم تكون التوصيات مبرزة لأهمية الغنى فهل هذا سيكون عائدا بالفائدة على المجتمع الذي حاله بين فقير وأكثر فقرا؟

14 . ما مدى أهمية الدراسات السابقة في توصيف الظاهرة أو المشكلة؟ وكيف فسَّرتها؟ وما هي القضايا التي أثارتها في ميادين البحث العلمي؟

بطبيعة الحال إنْ رَجَعَ الباحثون في دراساتهم السابقة (في إطارها النظري) إلى النظريات ذات العلاقة بتلك الظواهر والقضايا فمن المفترض أن يكون من أجرها متمكِّناً من توصيف تلك الظواهر والمشاكل والقضايا، ومن لم يَعُد إلى النظريات ويقوم بمراجعتها بهدف الاستئناس بها والاستئناس إليها يكون قد غفل عمَّا يُفيده، وكذلك إنْ رجع إليها ولم يتمكن من التوصيف فهو في كلا الحالتين يُعد من الغافلين لذا يستوجب على الباحث أن يوجِّه مآخذه الموضوعية للدراسات السابقة التي لم تتمكن من توصيف الظاهر أو المشكلة البحثية، ويجب عليه أن لا يغفل في بحثه عن أهمية ذلك.

وعليه تكون الدراسات السابقة أكثر أهمية إذا أثارت قضايا أمَّا إذا لم تُثِر قضيا فلن تستفِّز البحاث علميا ولا تلفت انتباههم إليها، فعندما تكون ذات أبعاد متعددة قد تمتد إلى مجالات أخرى متعددة فتؤثر فيها سلبيا أو إيجابيا، ولذا فإن لم يولي المجتمع اهتماما بما توصلت إليه مثل هذه الدراسات فقد يجد نفسه في مواجهة مشاكل هو في غنى عنها.

15 . هل الدراسات السابقة ركَّزت وأولت اهتماما بالتحليل الموضوعي للمعلومات؟ أم أنها أولت اهتماما بتفسيرها (تفسير المعلومات)؟

على الباحث أن ينتبه إلى الكيفية التي بها تصرَّف الدارسون في تلك المعلومات التي جمَّعوها من مصادرها، فهل قاموا بتجميع المعلومات ثم أجروا تحليلا لها؟ أم أنهم جمَّعوا المعلومات ثمَّ قاموا بتفسيرها؟

فإن وجد الباحث أنهم جمَّعوا المعلومات ثم حللوها ثم استخلصوا منها نتائج موضوعية فهذا يدل على صواب المنهجيات البحثية التي اتبعوها، وإنْ وجدهم أو وجد بعضهم قد توجّهوا لتجميع المعلومات ثم قاموا بتفسيرها، فهنا وجب النقد الموضوعي الذي ينبغي أن يُوجَّه إليهم أو إلى بعض منهم، وإن عرف الباحث ذلك جيدا يكون قد عرف كيف لا يكرر أخطاء وقع فيها من سبقه من الدارسين أو

بعضهم، ويكون قد الـمَّ بالقاعدة التي تنص على أنَّ: (المعلومات تجمَّع من مصادرها لتحلل بهدف تحقيق النتائج التي من بعدها تكون قابلة للتفسير).

إذا بناء على هذه القاعدة، لا يجب تفسير المعلومات، بل يجب أن تحلل المعلومات حتى يتمكَّن الباحث من الوصول إلى نتائج علمية، أي أن لم تخضع المعلومات للتحليل العلمي لا يمكن أن يتوصَّل الباحث إلى نتائج علمية، وإن لم يتوصل الباحث إلى نتائج علمية وموضوعية فهو كمن لم يجري بحثا مع أنه قد أهدر وقتا وجهدا.

16 . هل الدراسات التي رجع الباحث إليها تأسست على دراسات سابقة؟ أم أنها لم تكن مؤسسة على دراسات سابقة؟

بطبيعة الحال إذا كانت العودة للدراسات السابقة ضرورة لاستمداد القوة منها فتكون العودة حميدة، وإن لم تكن هناك عودة للدراسات السابقة فهذا يعني أن الدراسات التي بين يدي الباحث فقدت عنصرا مهما من عناصر استمداد القوة العلمية؛ وهنا وجب الالتفات إلى هذه الأهمية والضرورة العلمية التي ينبغي أن لا يغفل البحاث عنها أثناء قيامهم بالبحوث العلمية التي تؤصل الحقائق وتستكشفها وتظهرها أمام الآخرين.

17 . هل الدراسات التي تم الرجوع إليها قد وُظِّفت من قِبَلِ الباحث في تحديد أبعاد مشكلة بحثه؟ وهل لَعِبَ هذا التوظيف دورا بارزا في إثراء المشكلة البحثية التي يوليها الباحث اهتماما؟

إنْ لم توظَّف الدراسات السابقة في تحديد أبعاد المشكلة البحثية المترتبة عليها تعد فاقدة للأهمية، وإن كانت فاقدة للأهمية يكون اختيار الباحث لها في غير مكانه، ومن هنا توجه الانتقادات إليها.

ولذا لا ينبغي العودة للدراسات السابقة بغرض جعلها فصلا لملء الفراغ، بل يجب أن توظَّف بما يخدم قضايا البحث ومشكلته الرئيسة، وبذلك تكون متغيرات البحث

على علاقة بمتغيرات الدراسات السابقة، ولهذا يجب عند تحليل المعلومات لا تُغيب الدراسات السابقة وكأنها لم تكن.

وهنا علينا أن ننتبه إلى جانبين:

أ . ما يتعلق بالدراسات السابقة: يجب تفحُّصها من قبل الباحث من حيث: هل كانت الدراسات السابقة قد استفادت من دراسات سابقة عليها في تحديد مشكلاتها البحثية، وهل وظِّفت تلك الدراسات في تحليل المعلومات من خلال مقارنات موضوعية؟ أم وكأنها لم تكن؟

ب . ما يتعلق بالباحث: أن لا يغفل الباحث عن أهمية ما ذكرنا، أي يجب على الباحث أن يوظف الدراسات السابقة في تحديد مشكلة بحثه وكذلك في تحليل متغيراته العلمية، ومقارنة نتائجه بنتائجها، وإن لم يفعل ذلك يجد نفسه قد وقع فيما وقع فيه من سبقه من اخطأ.

18 . هل تمكَّن الباحث من معرفة المرتكزات الرئيسة التي يشترك فيها بحثه مع الدراسات السابقة التي تناولها بالدراسة؟ أي هل هناك بعض من الأهداف المشتركة؟ أم أنه لا اشتراك إلا في الأهمية العلمية التي يتولاها الباحث بالبحث؟ أم أن بعض المتغيرات المتداخلة أو الدخيلة على علاقة واضحة بالمشكلة قيد البحث؟

ولأن أي بحث علمي يُنجز سيكون بين أيدي القراء والنقاد وفي المكتبات الجامعية والمراكز البحثية أو أن يُنشر في الدوريات العلمية، لذا على الباحث أن ينتبه إلى أهمية ذلك فلا يستعجل على إتمام بحثه فيغفل عن معرفة المرتكزات الرئيسة للدراسات السابقة ذات العلاقة بمرتكزات بحثه؛ وإنْ غَفِلَ عن ذلك سيكون بحثه معرَّضا للانتقادات العلمية والموضوعية سواء أكان يوم المناقشة أم بعد ما يجاز ويكون بين أيدي البحاث الذين سيأتون من بعده فيكون بحثه يومها دراسة من الدراسات التي يوجَّه إليها النقد وتُتَهم بالغفلة والقصور عن تحقيق أهدافها بموضوعية.

ولذا إنْ وجد الباحث أو كشف علاقات فعليه بالمقارنات العلمية التي تُمكِّنه من معرفة الأثر، ومعرفة الفارق بين ما وصلت إليه الدراسات السابقة وبين النتيجة أو الاستنتاج الذي وصل الباحث إليه، ومعرفة الأسباب التي جعلت من سبقه يقع في أخطاء التحليل وجعلت منه خير باحث في تفديها.

19 . هل الدراسات السابقة التي بين يدي الباحث أو بعضا منها بحثت في مواضيع ذات مصادر رئيسة ومع ذلك لم تتوجه إليها لتستمد المعلومات منها، واكتفت بالرجوع إلى المراجع التي نقلت عنها؟

إن كشف الباحث هذا الخطأ يعد خير باحثٍ يوجِّه النقد في أماكنه ومواضيعه، وتكون تلك الدراسات على حالة من الضعف والوهن الذي يستوجب إعادة البحث الذي به تُثرى المكتبات والجامعات ومراكز البحث العلمي.

قوة البحث دائما تُستمد من قوة المصادر التي إن توفَّرت توفرت المعلومة الميسرة لمعرفة الحقائق التي يسعى البحاث لمعرفتها، فكيف يُقبل من الباحث أن يتوجه إلى المراجع في الوقت الذي تتوفر فيه المصادر، فإن كشف الباحث ذلك الأمر فعليه بعرضه في بحثه والإشارة إليه بكل وضوح، نقدا وتسفيها.

20 . هل كان الباحث متحيزا (أي باحث من الذين أجروا الدراسات السابقة) في إجراءات دراسته التي أجراها في قريته أو مدينته أو مجتمعه؟ وهل كان ذلك التحيز مؤثرا على نتائج دراسته التي أجراها؟ أم انه كان موضوعيا في اتباعه لمنهجيات البحث وخطواته العلمية؟

الجميع يعرف أن التحيُّزَ لا يعد صفة من صفات البحاث الموضوعيين، سوى التحيُّز للحق فهو الحق، ومع ذلك إن وجد الباحث أن بعض من الذين قاموا بالدراسات السابقة هم متحيزون بأسباب دينية أو عرقية أو مكانية فعليه بكشف هذا الأمر وفي مقابل ذلك عليه أن لا يقع فيه كما وقع فيه من يُوجَّه النقد إليه.

وعليه يُعد التحيُّز اكبر مؤثرٍ على نتائج البحث العلمي، ولهذا لا ترتقي الدراسات المنحازة إلى مراتب البحث العلمي ولا توصف به.

ولذا فإن لم يكتشف الباحث التحُّيز الذي اصطبغت به دراسة من الدراسات السابقة التي تولاها الباحث بالدراسة، وجاء من بعده باحثا آخرا وكشفها، يصبح هذا الباحث من المنعوتين بعدم الجدية الموضوعيين ويوصف هو الآخر بالمنحاز لصاحب هذه الدراسة أو تلك.

21 . هل هناك علاقات موضوعية واضحة بين المناهج والطرق المتبعة والأساليب والوسائل المستخدمة وبين تلك الدراسات السابقة؟ أم لا علاقات بين هذا وذاك؟

الدراسة وأي دراسة وأي بحث علمي لا يمكن أن يكون مترابطا ومنتظما ما لم يكن هناك منهجا يَنْظِمَهُ، ولا يمكن أن يُحقِّقَ البحث أهدافه ما لم تكن له طريقة ذات خطوات واضحة ومحددة، ولا يمكن أن تُصاغ الجمل وتُعرض القضايا وتحدد المفاهيم ما لم يكن هناك أسلوبا لعرضها، ولا يمكن أن تُجمَّع المعلومات بموضوعية ما لم تكن الوسيلة مناسبة لجمعها.

لذا على الباحث أن ينتبه إلى أهمية ذلك ويتوجَّه إليه بالدراسة والتفحُّص حتى يتبيَّن مدى ملامسة المنهج والطريقة والأسلوب المُتَّبع والوسيلة المستخدمة للموضوع أو لمشكلة البحث ومدى درجة استخدامها في تحليل المتغيرات العلمية، وإن لم يفعل ذلك لن يتمكَّن من إظهار الحقائق وكشفها بموضوعية على الملأ.

وعليه فإن اكتشف الباحث وجود علاقات كان من الواجب عليه أظهار ذلك وتقديره تقديرا عاليا، وإن لم يجد علاقات بين هذا وذاك، فعليه أيضا بكشف الحقيقة التي تُظهر الضعف فيما تمت إجازته من قبل لجنة المناقشين أو المحكِّمين العلميين، الذين هم الآخرون قد غفلوا عن إظهار ما تمكَّن الباحث من معرفته وكشفه ليكون درسا مهما بين أيدي الدارسين والمتعلمين حتى يتفادوه في مستقبلهم العلمي أو البحثي.

22 . ولإعطاء الدراسات السابقة بُعداً علميا ومنهجيا ألا يكون من المناسب أن يقارن الباحث بين تلك الأهداف التي صِيغتْ في الدراسات السابقة والأهداف التي صاغها لتتبع وتفحُّص وتقصي مشكلة بحثه؟ وهل كانت العلاقات واضحة بين الأهداف والنتائج المتوصل إليها في الدراسات السابقة؟

ولأن الأهداف هي التي يأمل الباحث الوصول إليها وإنجازها بما يتوصَّل إليه من نتائج تحتوي وتتضمن معالجات أو حلول لمشكلة البحث التي حُددت وأثيرت من قِبل الباحث في الدراسات السابقة، لذا فهي تُعد من العناصر الرئيسة التي تستوجب المقارنة بينها وبين ما توصلت إليه من نتائج، وكذلك بينها وبين الأهداف المصاحبة لها في الدراسات الأخرى التي أخضعها الباحث إلى الدراسة، ومقارنتها أيضا مع الأهداف التي حددها الباحث لمشكلة بحثه، وذلك لمعرفة المرامي التي استهدفتها الدراسات السابقة والمرامي التي هي الآن مستهدفة من قبل الباحث، وكلما قام الباحث بهذه المقارنات واستنتج ما استنتجه من مفارقات أو اختلافات أو تنوع يكون قد أعطى بعدا موضوعيا لأهداف بحثه، وأعطى أهمية لِما يقوم به من جهد موضوعي في ميادين البحث العلمي.

23 . هل النتائج المتوصل إليها في الدراسات السابقة تُثبت صحة الفروض أو التساؤلات التي حُددت وصِيغة من أجلها؟ أم أنها قد أبطلت بعضها بفروض بديلة؟

الفروض في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع هي قابلة للإثبات وقابلة للرفض، ولهذا ليس دائما النتائج تأتي متطابقة أو متوافقة مع الفروض التي صاغها البحاث، مما يستوجب استبدالها في حالة ما إذا أبطلتها النتائج العلمية الموضوعية التي تم المتوصل إليها، ولذا عندما يتم بطلان أحد الفروض بالبحث والدراسة من خلال النتائج المتوصل إليها لا تُلغى الدراسة أو البحث بل يغير الفرض الذي أثبت بطلانه بفرض بديل.

وعليه إذا عرف الباحث أن نتائج الدراسات السابقة (قيد الدراسة من قِبله) لم تُثبت صحة بعضٍ من الفروض وأنَّ أحد البحاث لم يقم بإبطالها واستبدالها في بحثه بفروض بديلة، فيكون من الواجب عليه أن يوجِّه انتقاداته إلى مثل هذه الدراسات وينبِّه إليها ومن ثم ينتبه هو الآخر من علاقة فروضه بنتائج بحثه حتى لا يقع في الخطأ الذي اكتشفه أو تعرَّفَ عليه لدى احد أو بعض الدراسات السابقة التي تناولها بالدراسة الموضوعية في إطار بحثه النظري.

24 . هل الوضوح كان محالفا لصياغة المصطلحات والمفاهيم العلمية في الدراسات السابقة؟ أم أن بعض من المصطلحات والمفاهيم في بعض منها لا زال محفوفا باللبس والغموض؟

من خلال مراجعة واستقراء وتتبُّع وتفحُّص الباحث للدراسات السابقة لابد وأن تتضح أمامه المصطلحات والمفاهيم التي استخدمها البحاث في تلك الدراسات، فإن تبيَّن له أن غموضا قد أحاط ببعض منها فعليه بالإشارة إليه، وإن كانت على الوضوح التام فعليه بالثناء تقديرا لجهد البحاث الذين سبقوه في مضمار البحث العلمي.

ومع ذلك قد يتساءل البعض:

لماذا الدراسات السابقة؟

نقول:

لكي يجد الباحث مكانا لائقا ومناسبا لبحثه، ولكي لا يجد نفسه يكرر ما سبق أن بُحِثَ من قِبل الذين سبقوه في مجالات وميادين تخصصه أو اهتماماته.

وقد يتساءل البعض أيضا:

لماذا سميت البحوث السابقة بالدراسات السابقة ولم تسم بحوثا كما هي عليه؟

نقول:

هي في حقيقتها بحوث سابقة، ولذا فهي لا توصف بغير ذلك لمن أجراها وقام بها بحثا وافيا، وكذلك لمن قام بالإشراف عليها أو شارك في مناقشتها لأجل أن تُجاز إن تمت إجازتها بعد استعراضها ودفاع الباحث عنها.

وهي دراسة بالنسبة لمن أختار أن يستطلعها دراسة، أمَّا من حيث كونها أو وصفها بحثا فهي بالجهد الذي بذله الباحث السابق الذي أوجدها بحثا، ولذا فهي توصف بالدراسة نسبة إلى الجهد الذي يبذله الباحث الذي يقوم باستطلاعها دراسة ولم يقوم بها بحثا، وعليه فهي بالنسبة لمجهود الباحث الأول الذي أجراها بحثا توصف وتسمى بحثا، وهي بالجهود التي بذلها المستطلع لها دراسة فهي لا توصف إلا بالدراسة.

وباستطلاع الدراسات السابقة نلاحظ أن العلوم بمختلف ميادينها ومجالاتها وروافدها تصب في محيط المعرفة الذي يثرى بكل بحث علمي جديد، وتثرى البحوث هي الأخرى بما ترتوي به من ينابيع المعرفة، وهكذا تتأثر البحوث الجديدة بالدراسات والبحوث التي سبقتها وتؤثر فيها، وذلك لأن المعرفة واحدة وإن تعددت ميادينها ومجالاتها أو اختلفت، فلكي يجد الباحث مكانا لبحثه بين البحوث التي سبقته عليه أن يطَّلِعَ عليها قبل كتابة بحثه حتى لا يضيع جهده هباء مع هبات الرياح، فإذا كان بحثه تكرارا لبحوث سابقة لا يلتفت القراء إليه ولا يحترم صاحبه ولا يُقدَّر من قبل الآخرين، ولهذا لن يكون لبحثه مكانا بين البحوث والدراسات التي سبقته في ميدان تخصصه، أو في ميادين أخرى ذات علاقة، أما إذا تم الاستطلاع بوعي، فإن إشكالية البحث ستكون على أهمية بمبرراتها الموضوعية، ويكون للبحث مكانا مهيئا بين البحوث التي سبقته.

وتعتبر مرحلة استطلاع الدراسات السابقة هامة مرتين:

الأولى: قبل أن يحدد الباحث موضوع بحثه: أي أثناء الحيرة التي تصاحبه أثناء تفكيره وسعيه لأن يبحث في إشكالية على درجة من الأهمية العلمية، حينها يكون

الباحث في حاجة لأن يقرأ في مجالات كلية وميادين معرفية لأجل أن تمده بِتيسِيرٍ يُخرجه من حيرته التي قد تضيق بها نفسه من فترة لأخرى، فعندما يكون الاستطلاع واعيا بالقراءة النقدية وواعيا بالمفارقات المنهجية التي انتهجها من سبقه في مجالات البحث العلمي يُمهد الطريق للباحث حتى يتعرَّف على مكامن الضعف والخلل والخطأ أو الغفلة التي وقع فيها من سبقه من البحاث.

وكذلك من خلال شكه العلمي الذي يحفِّزَهُ على البحث عن الحقائق والحلول يستطيع الباحث أن يحدد موضوع بحثه بوضوح.

الثانية: بعد أن يحدد موضوع بحثه: على الباحث أن ينتبه إلى نقاط الضعف التي وقع فيها من سبقه من بحاث في مضمار تخصصه، لأجل أن يعرف عن بيِّنة كيفية تفاديها في بحثه لو واجهته أثناء تجميع المعلومات، أو أثناء تحليلها أو أثناء تشخيص الحالة وتفسير النتائج، ومن خلال مراجعة البحوث والدراسات السابقة بوعي وانتباه قد يكتشف الباحث أن الذي سبقه لأحدى المواضيع لم تكن نتائج بحثه صادقة لفقدانها العلاقة بين أهدافها أو فرضياتها ونتائجها، أو أن الخطوات التي اتبعها الباحث لا تؤدي إلى النتائج المتوصل إليها نتيجة لتحيز الباحث أو لخطأ قد وقع فيه وهو لا يدري، أو أن النتائج المتوصل إليها والموصى بها قد تم بطلانها بنتائج بحث آخر جديد، أو أنه يكتشف أن النتائج مخطئة لتناقضها مع القوانين الطبيعية والاجتماعية أو الفروض التي صيغت لها من قبل الباحث.

ونظرا للتطور والتغير المستمر فأنه من الممكن أن يتم التعرف أو أن يُكتشف أنَّ بعضا من البحوث السابقة متضمنة لخطأ أو أنها قد وقعت في فخِّهِ. فالتقدم العلمي والتقنيات الحديثة ساعدت وتساعد على إعادة بعض الدراسات السابقة من أجل تصويبها وتطويرها، ونظرا لأن العلوم تربطها علاقات مع بعضها البعض وبمختلف تخصصاتها ومجالاتها وميادينها، لذلك يكون للإطلاع العام أهمية تفيد الباحث في استكمال جوانب بحثه وتهيئ لبحثه مكانا مرموقا بين البحوث.

بناء على ما تقدم على الباحث أن يميز بين ما تدل عليه المفاهيم العلمية وما تدل عليه تلك الفروض والقوانين التي تحتويها النظريات، وعليه أن يعرف أن المفاهيم لا تضيف الجديد ولكنها تُسهم في تحليله جيدا، أما النظريات فهي التي تُحفِّز على التحليل وتُمكِّن من التفسير العلمي للظواهر.

ثانيا: النظريات وكيفية ربطها بمتغيرات البحث:

وهي المصادر الأساسية للقوانين الطبيعية والاجتماعية والإنسانية التي من خلالها يتم تأصيل المواضيع وإمدادها بقوة الحُجَّة والبرهان، والسند العلمي الذي به تحلل المعلومة وتُشخَّص الحالات قيد البحث والدراسة. ولذا فالبحاث الموضوعيون هم الذين يتجهون إلى سبر أغوار النظريات ليستمدون منها حُجَّتهم العلمية.

وعليه في هذا الفصل يهتم الباحث باستعراض النظريات الرئيسة التي سبق وأن نظَّرت للظاهرة التي يتولى الباحث متغيرا من متغيراتها بالبحث وفقا للظروف الخاصة بالحالة ومبررات ظهورها في الزمان والمكان المحددين للبحث أو الدراسة.

فإذا كانت مشكلة البحث متعلقة بظاهرة انحرافية فعلى الباحث أن يعود لتلك النظريات التي تناولت هذه الظاهرة تنظيرا وتفسيرا حتى يتعرَّف على القوانين التي تتحكم فيها أو التي تُظهرها إن لم يراع المجتمع تجنُّب معطيات أكدت النظرية عليها وصنفتها من العلل التي إذا ما توفرت شروطها أظهرت السلوك الانحرافي بين الشباب أو المراهقين أو إي مرحلة من المراحل العمرية التي بيَّنتها تلك النظرية الاجتماعية أو النفسية أو السلوكية أو الطبيعية.

وعلى الباحث إن لا يغفل عن القوانين التي تأسست النظرية عليها أو التي أوجدتها وأظهرتها في ميادين المعرفة والبحث العلمي، باعتبارها مسوغا رئيس يُمكِنه أن يؤصِّل بحثه به، أو أن يقلِّب به بحثه من خلال محاولته كشف العلاقة إن وجدت بواقع الحالة قيد البحث والدراسة.

ولذا فإنَّ رجوع الباحث إلى النظريات يسنده كثيرا بالحُجَّة والقانون الذين عندما تحلل القضايا على أسسهما يكونا خير ساندٍ لِما يُكتب أو لِما يُبحث فيه أو يُبحث من أجله.

وبالعودة لتلك النظريات التي تناولت بالتنظير ظاهرة الانحراف يجد الباحث مسوغا يستند إليه علميا، في تناول متغيرات بحثه بالتقصي الدقيق الذي يُمكِّنه من ربط العلة بالمعلول والسبب بالمسبب والسلوك الظاهر بما هو كامن في الصدور.

ولأن للبحث موضوع، إذا لا مفر من العودة إلى النظريات التي تُعد المصدر العلمي الذي يمد البحاث بالحقائق والقوانين التي تفتح آفاقا أمامهم في مجالات تخصصاتهم ومتغيرات بحوثهم، لِيَسبُروا أغوارها ويكشفوا أثارها على المنحرفين والذين تربطهم علاقات بهم كالأسرة والعشيرة والجيران ورفاق التعليم ورفاق العمل ومن يشترك معهم في تعليمٍ أو عملٍ أو أي حركةٍ وسلوكٍ.

وبالعودة إلى النظريات يتعرَّف الباحث على المعطيات التي على أساسها تم تناول تلك القضايا والأفكار والفروض والقوانين، ويتمكن من خلالها من معرفة ما يجب أن لا يغفل عنه في ما يتناوله في مشكلة بحثية، وبهذا يكون قد استطاع أن يربط بين القضايا والقوانين التي أثارتها النظريات وبين أهداف وفروض بحثه، ثم بإمكانه بعد ذلك أن يكتشف ما غفلت النظرية عنه، بأسباب تغير المعطيات الزمانية أو المكانية أو الثقافية أو الدينية أو العرفية أو كلها مجتمعة أو بعض منها.

وبوصول الباحث إلى ذلك يُمكِنه أن يضيف الجديد ويُمكِنه أن يكتشف القوانين ويمكنه أن يصوغ النظريات كما سبقه غيره في ذلك من قبل. ومع أن هذا الأمر قد لا يكون هدفا من أهداف الباحث، ولكنه في دائرة الممكن ممكنا، فلا استغراب، ولذا فهو بين متوقع وغير متوقع.

وبالعودة لتلك النظريات يستطيع الباحث الماهر أيضا أن يعرف ما إذا كانت نظرية من النظريات صامدة أم أنها بدأت تفقد شيئا من قوتها، خاصة إذا تمكَّن من إبطال قانونا من قوانينها.

ولأن النظريات هي مكامن للقيم والمبادئ والقوانين لذا لا يُقبل من الباحث أن يغفل عنها تحت مبررات قد تكون غير موضوعية، ومع ذلك ليس بالضرورة أن يكون تناول القيم والفضائل كما تناولته نظرية من النظريات في العلوم الاجتماعية، فالقيم مثل الحاجات دائما تتطور ولكِّنها بكل تأني وإرادة جماعية.

ومع أن النظريات أمرها ليس هيينا إلا أن في دائرة الممكن يتم توجيه الانتقادات إليها أو على شيء من صُلبها، وذلك وفقا لقاعدة (لا مطلق إلا من عند الله تعالى ومن غيره كل شيء في دائرة الممكن).

وعليه النظريات تُعد إطارا مرجعيا للباحث يحتكم بها، ويحتكم إليها، في كثيرٍ من القضايا والظواهر والمواقف والإشكاليات التي تجعل البعض بين مؤيدٍ ومعارضٍ أو بين سويٍ ومنحرفٍ، فهي التي تمد الباحث بما هو طبيعي أو متفقا عليه، أو أنه قانونا لا مفر منه أو لا مفر مما يترتب عليه من أعباء إن لم يؤخذ به أو يؤخذ ببعض منه.

وعليه:

إذا كانت النظريات هي مصادر ممتلئة بالحُجج والفروض والقوانين المُفسِّرة للظواهر الاجتماعية والطبيعية، ألا يكون من الأفضل أن يعود البحاث إليها ليؤصلوا بحوثهم ويحصِّنوها علميا، ثم منها ينطلقون إلى معرفة الحال في الزمن الحاضر ووفقا للمتغيرات التي تحوطه من كل جانب، ثم من بعدها يمتدون إلى معرفة أثر المحيط الذي يلامسهم بالآخرين، وبعد تفحُّص وتتبع كل ذلك يجب أن لا يغفل الباحث عن أبعاد أهداف بحثه وفروضه العلمية التي يفترض أن تكون متطلعة إلى ما هو أفضل وأجود لتسهم في صناعة المستقبل المأمول.

ولأن النظريات مصادر علمية ومعرفية تُسهم في تفسير التاريخ والسياسة والعلاقات الاجتماعية والإنسانية وكذلك تُسهم في تفسير الظواهر الطبيعية، ألا يكون من الأفضل للباحث أن يعود إليها وأن لا يغفل عنها خاصة إذا أراد أن يُعزز رأيا أو اتجاها أو موقفا أو منهجا؟ ومع ذلك لا يُقبل أن يتوقف الباحث عند حدودها وكأن الأبواب لن تفتح إلا بها، بل عليه أن يمتد لمعرفة ما يخالفها إن وجد أو أن يبحث من أجل تطويرها وصوغ تساؤلات يمكن أن تولِّد الحيرة لدى نفسه أو لدى غيره من البحاث، وإن ولَّدت ذلك تكون هذه التساؤلات قد فتحت أبوابا للإضافة والمعرفة الجديد.

ولأن النظريات لا تقتصر على ما نعرفه، بل هي مصادر إمداد لمن أراد أن يبحث ويتعرف، فلِما لا تكون مراجعاتها وتقصي أبعاد ما تشير إليه مادة بين أيدي البحاث من أجل صناعة مستقل أكثر تقدما من تلك النظرة التي على ضوئها صيغت تلك النظريات؟ هذا بالنسبة لمن أراد أن يبحث ويطوِّر، أما بالنسبة للباحث الذي يعود إليها من أجل أن يُحصِّن نفسه وبحثه من الانتقادات فالمهم أن لا يغفل عن إيجاد علاقة بين متغيرات بحثه أو بعض منها وبين تلك النظريات التي اعتبرها مصادر أساسية لتناول مشكلة بحثه.

ولأن النظريات في مُجملها هي مصادر للفروض والقوانين، إذاً لو أهملت من قبل البحاث ألا يؤثر ذلك الإهمال أو التغاضي على بعض من أفكار الباحث في صوغ مفاهيم الظاهرة التي يتناولها بالبحث؟

ولأن كل شيء يبحث فيه أو يبحث من أجله لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع لذا نقول:

من أهمية النظريات أنها تُسهم في تنظيم أفكار الباحث وضبط مفاهيمه وتُخلِّصه من كل ما من شأنه أن يتنافى مع المنطق.

ثالثا: تتابع فصول الإطار النظري:

هي الفصول التي يتم تحديدها من قِبل الباحث وفقا لمتغيرات البحث فإن كان على سبيل المثال متغير البحث المستقل أو المتداخل أو التابع يتعلق بالقيم إذاً ينبغي أن يَخُصَ الباحث بحثه بفصل أو أكثر ليبحث عن أهمية القيم وأثرها على موضوع بحثه أو إشكاليته بموضوعية.

وفي هذا الفصل على الباحث أن يؤصِّل موضوع القيم لغة ومفهوما ودلالة مع استخدام ما تم أن حدده من مصطلحات في هذا الخصوص.

وأن يكون تناوله للقيم التي أخذناها على سبيل المثال، مرتبطا بمشكلة البحث ارتباطا وثيقا مع الأهداف والفروض أو التساؤلات، ولهذا لا يُقبل من الباحث أن يكتب ما يشاء وكيفما يشاء عن القيم، بل يُطلب منه الكتابة عنها وفقا لفروض بحثه وأهدافه الواضحة.

ولأن مواضيع البحث المتعمقة تتابع وتتفحص الدقيق من اجل الوصول إلى الأدق منه، لذا ينبغي على الباحث أن تكون القيم في ذهنه واضحة ومستوضحة مما يُمكِّنه من البحث فيها بيُسرٍ وهو يتنقل في أعماق أبعادها من الكل إلى الجزء ثم من بعده إلى المتجزئ، ليغوص في أعماق مفاهيمها ومضامينها وأبعادها ودلالاتها العلمية والمعرفية، حتى يتمكَّن ببحثه من المساهمة في إضافة جديدة تفيد الذين من اجلهم أختار أن يكون متخصصا أو باحثا علميا في مجالات القيم الحميدة.

وعليه ينبغي أن تكون فصول البحث متوازنة المباحث، ويكون الفصل الأخير من الفصول النظرية حلقة الوصل مع الفصول اللاحقة في الإطار العملي أو المعياري، وهذه الربطة لا تكون إلا بطريقة تم رسمها في خطة واضحة للبحث وتم اتباعها بمنهجية متصلة لا منفصلة، وبأسلوبٍ مرن يجعل خلاصة ما تم التوصل إليه في الإطار النظري قاعدة مؤسسة للإطار العملي أو المعياري.

ولأجل التوضيح لو كانت الدراسات السابقة متعلقة بالقيم فهل تلك الدراسات قد ركزت على دراسة القيم من حيث؟

أ . أهمية القيم ودورها في التربية الأسرية.
ب . أهمية القيم في المقررات الدراسية.
ت . أهمية القيم في تحقيق التوافق الاجتماعي.
ث . أهمية القيم في المشاركة والتعاون والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.
ج . أهمية القيم في إعداد المعلم والمتعلم.
ح . أهمية القيم في تطوير أساليب البحث العلمي.
أهمية القيم في أحداث النُقلة إلى ما هو أنفع وأفضل وأجود وأحسن واهم وأفيد وأعظم.
خ . أهمية القيم في صناعة المستقبل.
د . أهمية القيم في استيعاب الآخر والتعاون معه دون أن يكون ذلك على حساب الخصوصية الاجتماعية.
ذ . أهمية القيم في ممارسة الحقوق.
ر . أهمية القيم في أداء الواجبات.
ز . أهمية القيم في حمْل المسؤوليات.
س . أهمية القيم في تنظيم العلاقات الزوجة.
ش . أهمية القيم في تنظيم المعاملات الاقتصادية.
ط . أهمية القيم في الدفاع عن الوطن والعِرض والشرف والكرامة.
ظ . أهمية القيم في صياغة القوانين المنظمة للعلاقات الاجتماعية على مستوى الدولة.
وإذا لم تولي الدراسات السابقة اهتماما بكل ذلك إلا تكون قد أغفلت أهم المتغيرات الموضوعية في دراسة القيم؟

إذا تبيَّن ذلك جليا أمام الباحث فعليه أن يشير إلى أنها قد غفِلت، وعليه أن لا يغفل. فإن غفِل كان بحثه عبارةِ عن عموميات لا يلتفت القراء إليها.

وفي هذا الفصل لو افترضنا أن موضوع مشكلة البحث هو: (القيم وعلاقتها ببناء الشخصية الوطنية المنتجة).

فيكون من الأنسب العلمي للباحث أن يحدد ويبحث في الآتي:

. مفهوم القيم دلالة ومعنى.

. علاقة القيم بالمصادر التي تُستمد منها (الدين والعرف، والثقافة).

فهل هذه القيم مستمدة من الدين؟ أم أنها مستمدة من العرف؟ أم أنها مستمده من الثقافة العامة؟ أم أنها مستمدة من نظرية سياسية؟

وهل الدين الذي أسمدت القيم منه هو دين سماوي؟ أم انه دين وضعي كما هو حال البوذية والكنفوشية وغيرها كثير؟

كل هذه المتغيرات تؤثر تأثيرا مباشرا في منظومة القيم وأثرها في بناء شخصية المواطن

. علاقة القيم بالمبادئ المؤسسة عليها (المبادئ هي التي تؤسس على القيم).

هل هي مبادئ بنائية؟ أم أنها مبادئ وظيفية؟

وهل هي مبادئ منغلقة على مستوى قيمي ذاتي من مستويات بناء الشخصية؟ أم أنها استيعابية تتطلع تجاه الآخر وبموضوعية؟

وهل هي مبادئ مؤسسة على ممارسة المواطن لقيمة الحرية بكل شفافية؟ أم أنها مبادئ مؤسسة على التبعية للأوامر والنواهي الفوقية؟

هل الدين والعرف والثقافة (المصادر المنتجة للقيم) هي على علاقة بالمبادئ التي حُددت لتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؟ أم أنها على غير علاقة بها؟ فإن كانت على علاقة بها، كانت المبادئ وما تحتويه من قيم هي مؤصَّلة في تلك المصادر التي يحتكم الناس بها ويحتكم إليها؟ وإن كانت على غير

علاقة بها، سيكون لتلك المبادئ أثارا سلبية قد تحيد فأفراد المجتمع عن النهج الذي رُسم من تلك المصادر التي ارتضاها المجتمع عبر التاريخ.

. علاقة القيم بمتغيرات بناء الشخصية.

هل هذه الشخصية هي القيادية في المجال الاجتماعي؟ أم أنها القيادية في المجال السياسي؟ أم أنها القيادية في المجال الاقتصادي؟ أم أنها القيادية في المجال النفسي؟ أم أنها القيادية في المجال الذوقي؟ أم أنها القيادية في المجال الثقافي؟ أم أنها الشخصية العادية التي لا تُسهم في قيادة أي مجال من هذه المجالات القيمية؟ وفي كل الحالات فالأمر يتعلق بمتغيرات القيم والمبادئ التي تؤسس عليها، وإن لم يتعرَّف الباحث على العلاقات بين هذه المتغيرات القيمة سيجد بحثه على غير تأسيس علمي.

. علاقة القيم بالانتماء للوطن.

في كل المعارف والعلوم تعتبر القيم هي القوة التي تؤسس النظم الاجتماعية وتبني شخصية المواطن، وفي كل المعارف والعلوم نصوص تؤكد على أن الحياد عن القيم التي ارتضاها المجتمع بإرادة يُعد انحرافا يستوجب التقييم ومن ثم يستوجب تقويم الذين انحرفوا.

ولذا فالقيم هي التي تبنى العلاقات مع الوطن أو تؤسسها، فإن فسدت القيم فسدت أخلاق المواطنين، ولهذا فالعلاقة قوية جدا بين إفساد القيم وإفساد الوطن، ولذلك ينبغي على الباحث أن لا يغفل عن أهمية هذه العلاقات المؤثرة على متغيرات بناء شخصية المواطن المنتجة.

وعلى الباحث أن يميِّز بين الذي يرى أن علاقته بالوطن هي علاقة مصير ووجود وبقاء، وبين الذي يرها علاقة عيش واستنفاع من خيراته؟ وبمعرفته لتلك الأسباب والعلل التي جعلت البعض ينظر إليها أنها علاقة بقاء ومصير، وبين الذي يراها علاقة استنفاع وعيش، فالأول هو الذي له من القيم ما يربطه بتراب الوطن،

والثاني لا شيء يربطه به سوى المنفعة، مما يجعله متخلّيا عن الوطن إن لم يمده بالمنفعة. أما الذي تربطه به قيمة المصير والبقاء فسيكون في صدارة الذين يضحُّون من أجل الوطن إذا ما تعرض للخطر، أما الثاني فعندما يتعرض الوطن للخطر سيتخلى عنه ويفر بما يملك خارج حدوده، وعندما يستقر أمر الوطن أو يتحرر من الفساد والمفسدين أو المستعمرين يمكن أن يعود ويمكن أن لا يعود.

. المتغيرات التي تنمي قيم المواطنة لدى أفراد المجتمع.

عندما تكون ثروة الوطن كترابه ملكا عاما، وعندما تكون ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات جميعها بين المواطنين على كفتي الميزان القيمي، وعندما تكون المقررات التعليمية مستمدة من مصادر التشريع التي هي (الدين والعرف) وعندما تكون القيم المستمدة من الإطار المرجعي للمجتمع هي القيم المؤسسة للمبادئ التي تنظم العلاقات الاجتماعية، فعندما يكون كل ذلك، يكون لهذه المتغيرات إسهامات عالية في تنمية قيم المواطنة بين أفراد المجتمع. ولذا فعلى الباحث أن يبحث في مكامن هذه المتغيرات حتى يتمكَّن من معرفة الحقيقة المستهدفة من قبله بالبحث والدراسة.

. العلاقة التي تربط متغيرات بناء الشخصية بمتغيرات الانتماء للوطن.

لكي يتعرَّف الباحث على العلاقة التي تربط بين متغيرات بناء الشخصية ومتغيرات الانتماء للوطن، عليه أن يعرف المستويات القيمية لكل شخصية، ثم عليه أن يبحث حتى يعرف العلل والأسباب التي تؤثر سلبيا في هد الشخصية وهدم أركانها والتي تؤثر إيجابيا في جعلها متطلعة إلى ما هو خير أو جعلها موضوعية.

والمستويات القيمية للشخصية وفقا لخماسي تحليل القيم هي:

1 . المستوى القيمي للشخصيّة الذاتية:

إنه مستوى إظهار الخصوصية الاجتماعية (الرأسمال اجتماعي) والتمسك بها وعدم القبول بمن يحاول التفوق عليها، وعندما تكون الشخصية على المستوى

الذاتي تبرز النديّة في علائقها مع المجتمع الإنساني، وتود أن تُعامل بالمثل، تناضل من أجل أمتها وانتماءاتها الاجتماعية، وتقبل بالتضحية في سبيل تحريرها وتحرير الوطن، وهذه الأفعال تتطلّبُ أن تكون العلائق مع الوطن فدائية، ولهذا تعتز الشخصية بعلائق المجتمع المحلي وتشعر بالفخر والكبرياء.

2 . المستوى القيمي للشخصية التطلُّعية (المنطقية):

يُعد هذا المستوى هو المكمن القيميّ الذي تعيشه الشخصية كمرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي التي تنقلها من حيّز التمركز على الذات، إلى التطلع تجاه الأخر الذي له من الخصوصيات التي تميزه عن غيره وفقا لقدراته واستعداداته ومواهبه وإمكانياته، فتتمكن الشخصية من معرفة الفوائد التي يمكن أن تحدث لو توصلا الأنا والآخر إلى مشاركة وتعاون، وعندما تستكشف تلك الإمكانات، ويُستكشف الحسن والذوق، يحدث الالتفات ويزداد الانتباه ويرتفع الشعور بالآخر والحاجة إلية، وتزداد أهميته فيحدث التجاذب الطبيعي والتجاذب الواعي في ذات الوقت، دون أن يكون هذا التجاذب على حساب قيم الوطن والمواطنة.

3 . المستوى القيمي للشخصية الموضوعية Objectivity:

تُعد الموضوعية أحد مقاطع خماسي تحليل القيم، وهي مكوّنا قيميّا استيعابيا تندمج فيها المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسلوكيات تؤدىَ من قبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميّة ذات أبعاد ومرامي إنسانية خالية من التعصب والتحيّز.

ولذا فمستوى الشخصية الموضوعية هو مستوى قيمي مؤسسا على العقلية التي تتجاوز بها الشخصيّة مرحلة العاطفة والمنطق، فلا تحتكم إلا بالعقل، وبعد أن كانت تحتكم بالمنطق الذي يعتمد في أحكامه على ما هو متوقع أو مفترض أصبحت تحتكم بالعقل الذي يميّزها في أحكامها وسلوكياتها التي تفعلها بعد أن تتبين الحق من الباطل والخير من الشر وما يجب وما لا يجب.

4 . المستوى القيمي للشخصية الإنسحابية:

هو مستوى تراجعي، حيث تتراجع الشخصية من مستوى قيم الذاتية إلى مستوى قيم ذاتية تميل إلى الأنانية، فبعد أن كانت السيطرة للذات أصبح الانفلات عنها هو السلوك ألانسحابي، الذي تترتب عليه علائق تعسفية ظالمة مع المجتمع الإنساني، فينتشر الفساد والاستغلال ويحل الشك محل الثقة، إنها الشخصية غير المبالية بما يجرى على مستوى الأمة التي تنتمي إليها.

5 . المستوى القيمي للشخصية الأنانية Egoism:

ترتبط الأنا بالأنانية عندما تخرج عن الذات والموضوع، وتوصف في هذه الحالة بأنها في حالة ميل أو انحراف سلوكي يؤدي إلى الأنانية حيث إظهار السلوك الأناني على حساب الآخرين الذين لهم الحق في الوجود أو الظهور المماثل.

الأنانية مرحلة من مراحل تكوين الشخصية الفاقدة للقيم والثقافة والسلوك الاجتماعي والإنساني، والمستجيبة للرغبات والأهواء والأطماع الخاصة، التي تسود سلوك الفرد وأفعاله، حيث ينعدم عندها الإحساس بالنخوة والغيرة والشرف، لفقدانها كل ما هو عاطفي أو منطقي أو موضوعي.

الفصل الثامن

الكيفية التي بها يتم تحديد الإطار التطبيقي (العملي أو المعياري) للبحث

تحديد الإطار التطبيقي (العملي أو المعياري):

. يتم تحديد وسيلة جمع المعلومات وفقا لمجتمع البحث أو العينة المأخوذة منه، بعد أن يتم تجريبها واختبارها وفقا لمقاييس (الثبات والصدق).

ـ يتم توزيع استمارة الاستبيان أو استمارة التصنيف القيمي على المستهدفين بالبحث.

. يتم تفريغ المعلومات بوسائل التقنية الحديثة.

. يتم تحديد الوسائل الإحصائية.

ـ تتم المعاملة الإحصائية مع المعلومات لتصبح المعلومات النظرية مُفرَّغة في كميات إحصائية.

. يتم تفريغ المعلومات في جداول إحصائية.

. يتم تحليل الكميات الإحصائية التي عُرضت في جداول بيانية ويفضل في العلوم الاجتماعية والإنسان استخدام (spss).

. يتم عرض النتائج الخاصة بكل متغير في جداول إحصائية، وكذلك تداخل بعض المتغيرات وأثر كل منها على الآخر.

ـ تتم مقارنة المعاملات الإحصائية من خلالا مقارنة أثر المتغيرات ذات العلاقة بمشكلة البحث وذلك لكشف الأثر السلبي من الإيجابي على الموضوع أو البحث.

. عرض الرسومات البيانية المعبرة عن أثر تداخل المتغيرات.

. استخلاص النتائج العامة من النتائج النوعية التي ظهرت في الجداول الإحصائية المحللة آليا بوسيلة (spss).

في هذا الإطار ينبغي على الباحث أن يحدد مجتمع بحثه أو عينة بحثه سواء أكان مجتمعا بشريا وعينة بشرية أما أكان تربة أم اقتصادا أم زراعة أم ثروة حيوانية أم

بحرية أم معسكرات تدريب أو معسكرات ثقافة وإعداد رياضي أم أكانت وثائق وكتب وخطب أم قيم وفضائل أم مبادئ وأهداف وغيرها كثير، وعلى الباحث أن يحدد وسائله الإحصائية التي يرى أنها المناسبة لتجميع المعلومات وتحليلها واختبار فرضيات البحث.

ويجوز للباحث أن يذكرها ويحددها بكل وضوح في الفصل الأول للبحث مما يجعله الفصل الرئيس تحت عنوان (منهجيات البحث وتقنياته).

وفي الإطار الميداني أو العملي أو المعياري يتم تجميع المعلومات من مصادرها بمجموعة من الوسائل أو أحدا منها وذلك وفقا لمشكلة البحث ومتطلبات فروضه أو تساؤلاته الموضوعية، وهذه الأدوات أو الوسائل هي:

وسائل جمع المعلومات للإطار التطبيقي للبحث (العملي والمعياري):

أ . الاستبيان.

ب . المشاهدة.

ت . الملاحظة.

ث . المقابلة.

ج . التصنيف القيمي.

الاستبيان: questioner

الاستبيان استيضاح استفساري لاستبيان المعلومات التي لدى المبحوث لأجل المعرفة عن كتب عن كل ما يتعلق بالموضوع قيد البحث والدراسة. وهو مجموعة من الأسئلة المعدة والمصاغة لمتغيرات الموضوع أو معطيات الحالة وفقا لفروض موضوعية. وقد تُطرح الأسئلة على المبحوث أثناء إجراء مقابلات مهنية معه، أو توزع مباشرة في استمارة من الباحث على المبحوثين أو عن طريق فريقا من المساعدين أو عن طريق وسائل الاتصال المتعددة.

الاستبيان يُمكِّن الباحث من استقراء حالة الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو العينة واستيضاحهم عما يلمُّون به من معرفة عن الموضوع المتعلق بهم.
ويعتبر الاستبيان أحد الوسائل العلمية التي يعتمد الباحث عليها في تجميع المعلومات من مصادرها. إلا أن هذه المعلومات المشار إليها قد لا تعكس الواقع بالتمام كما يتوقعه الباحث ولكنها تعطي مؤشرات ينبغي عدم الإغفال عنها، ولهذا نتساءل:

. هل الاستبيان يمثل الباحث؟

. أم هل يمثل موضوع البحث؟

. أم يمثل المبحوثين؟

إنَّ الإجابة على هذه الأسئلة المركبة قد لا نجد لها سندا من اليقين، لأن الاستبيان إذا كان هو الممثل لموضوع البحث، إذاً ما هي الوسيلة التي ربطت بينهما؟ فإذا افترضنا أن الموضوع المبحوث فيه هو الجهاد، أو الحرية، أو الطلاق، فكيف يمكن للاستبيان أن يمثل ذلك؟ ولأن الاستبيان لم يصغه المبحوثين، فلا يحق لنا أن نتهمهم بصياغته؟ ولأن المبحوثين هم مصادر المعلومات ومكمنها إذا لا ممثل غيرهم للموضوع، ولذا نقول:
الاستبيان لا يمكن أن يمثل الموضوع ولا يمكن أن يمثل المبحوثين ولكنه يمثل توقعات الباحث عن الموضوع.
إذا الاستبيان هو مجموعة من الأسئلة التي يطرحها الباحث على المبحوثين وفق توقعاته للموضوع، مما يجعل إجابات المبحوثين في معظم الأحيان لا تخرج عن توقعات الباحث المسبقة التي صاغها في استفسارات محددة.
وإذا تساءل البعض:

. هل نعنى بذلك الاستغناء عن الاستبيان؟

نقول:

لا عندما يكون من الضرورة البحثية. ولكن المقصود هنا العمل على تطويره بشكلٍ يسمح باستيعاب رؤى المستهدفين بالبحث أو الدراسة، كأن يُثيروا بعض الأسئلة مع الباحث قبل صياغته للاستمارة صياغة نهائية، وذلك عن طريق إجراء مقابلات استطلاعية من قبل الباحث على المجتمع المراد التعرف عليه أو على مشاكله وظواهره من خلا الموضوع، ثم بعد ذلك يتم إعداد استمارة البحث وفق الخطوط العريضة التي أشار إليها مجتمع البحث أو الدراسة، بعد أن استنبطها أو استوضحها الباحث منهم.

وعليه لو لم تكن هناك مصادر للموضوع أو المشكلة ما كان هناك موضوع أو مشكلة للبحث.

وعليه: البحث العلمي يستوجب باحثا، ومصدرا، وموضوعا، ووسيلة. والمصدر (منبع المعلومات) قد يكون (بشرا) وقد لا يكون، إذا كان بشرا كانت الوسيلة ضرورية، وإذا كان (وثيقة) أو إي مطبوعا ومخطوطا كان المصدر محمولا بالوسيلة، ولا يحتاج إلا للتحقق والتحليل الموضوعي الممكِّن من الوصول إلى نتائج تُظهر الحقيقة من مكمنها.

فإذا أخذنا جهاد عمر المختار موضوعا للبحث فانه بالإمكان التعرف على جهاده من خلال الوثائق والمخطوطات التي كتبها، أو التي كتبها أنصاره والذين رافقوه في الجهاد أو اعترف بها أعدائه عندما تتوفر بين يدي الباحث، وفى هذه الحالة لا داعي لاختيار وسيلة الاستبيان إذا لم يكن عمر المختار ورفاقه أحياء. بل قد يستفيد الباحث من اختصار مرحلة تحديد الوسيلة واستعمالها والابتعاد عن الأخطاء التي هي كثيرة وتعلق بالاستبيان.

أما إذا استهدف الباحث بالاستبيان تجميع المعلومات من سكان الجبل الأخضر الدين نمى معهم جهاد عمر المختار ورفاقه الأبطال، فان الاستبيان في هذه الحالة لا يمثل مصادر المعلومات وهم المجاهدين، بل يمثل انطباع سكان الجبل

الأخضر عن الفعل والمصدر الذي غاب عن أنظار المجتمع، مع انه باقيا في ذاكرتهم فتكون النتيجة المتحققة بالاستبيان هي انطباعات وليست حقائق.

إذا ما هو الاستبيان؟

انه وسيلة الباحث لاستقراء المجتمع والعينة، واستيضاحهم عما يلمُّون به من معرفة عن الموضوع الذي يتعلق بهم أو يتعلق بمن لهم علاقة به، وذلك لتبيان ما لم نعرفه ليكون حاضرا من خلال برهنة ومشاهدة الآخرين أصحاب العلاقة. ولهذا فالاستبيان وسيلة استيضاح لمعرفة سبيل مجتمع الدراسة سواء أكان مجتمعا سويا أم مجتمعا غير سوى، يقول الله تعالى: { وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}[17]. ولاستبيان سبيل المجرمين قد يختار الباحث الاستبيان ويصوغه في استمارة بحث تحتوى على مجموعة من الأسئلة التي تمس الموضوع بشكل مباشر، على أن تكون الإجابات المرتقبة برضاء المبحوثين دون إجراء أي تلاعب، ويتم التوصل إلى المعلومات موضوعيا عن طريق اتباع أساليب البحث العلمي ومناهجه، وهكذا يكون الاستبيان من اجل استيضاح الآراء، والاتجاهات، ومعرفة الانحرافات، والإنتاج، والإبداع ، والتأثير والتأثر بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

---

[17] الأنعام 55.

أنواع الاستبيـان:

أولاً: الاسـتبيان المصـور: photo questioner يخـص صـغار السـن وغيـر المتعلمين، ولـه ميز التشويق ويساعد علـى التوليد العقلـي والفكري، ويستخدم هذا النـوع من الاستبيان فـي معرفـة الاتجاهـات الاجتماعيـة عنـد الأطفـال، ومحـدودي القدرة على القراءة والكتابة وكذلك لمعرفة ديناميات التفاعل بينهم. ويفضـل أن يكـون الاستبيان المصور مباشر التوزيع حتى لا تتضارب التفسيرات أو تتأثر بوجهة نطر أفراد الفريق المساعد أو بعضا منهم.

ثانيـاً: الاسـتبيان اللفظـي المكتـوب: يخـص الكبـار والمتعلمـين ويـوزع بإحـدى الطريقتين الآتيتين:

الأولى: الاستبيان المباشر:

وهو الاستبيان الذي يوزع باليد مباشرة من الباحث أو الفريق المساعد لـه وتتم تعبئة الاستمارة مباشرة من قبل المبحوثين، ومما يُيسر للمبحوثين الاستفسار إن واجههم غموض فـي بعض المعاني أو المفاهيم أو المصطلحات العلميـة، ولهذا النـوع من الإست بيان ميزٍ ومآخذٍ منها.

ميز الاستبيان المباشر:

أ – نسبة المردود منه عالية ونسبة الفاقد منه قليلة.

ب – يعطى فرصة للتأكد من أن المبحوث هو الزى يجيب علـى استمارة الاستبيان مباشرة .

ت . إنه اقل الوسائل تكلفة.

ث – إنه أكثر الوسائل تقنينا.

ج – يسـاعد علـى إعطـاء معلومـات وبيانـات قـد تكـون حساسـة نتيجـة عـدم كتابـة الاسم على الاستمارة.

ح – انه لا يحتاج إلى وقت كبير وعدد كثير من المساعدين البحاث، وفي نفس الوقت يسمح بجمع معلومات من أعداد كثيرة.

2 - المآخذ على الاستبيان المباشر:

أ – لا يصلح مع الذين لا يجيدون القراءة والكتابة.

ب – قد لا يتضمن مصداقية المبحوثين أو مصداقية بعضهم نظرا لاعتماده على الإجابات النظرية أو اللفظية وهذه ليست بواطنهم.

ت . قد تكون الإجابات غير واضحة أو أن هناك لبس ولم يتم استفسار المبحوثين عنه.

ث . لا يعتمد عليه في دراسة الحالات النفسية وفى خدمة الفرد، ومع الحالات الإنحرافية أو الشاذة.

ج – كثرة اسأله الاستبيان أو إطالتها قد تجعل الملل في نفوس المبحثين مما يضطرهم لملأه هكذا عشوائيا.

ثانيا – الاستبيان غير المباشر:

وهو الذي يتم توزيعه عن طريق وسائل الاتصال التي منها:

أولا: البريد المرسل:

ويتم اختيار هذه الوسيلة في حالة انتشار أفراد المجتمع أو أفراد العينة في مناطق جغرافية متباعدة يصعب على الباحث الاتصال بهم مباشرة، فترسل لهم استمارات الأسئلة على عناوينهم لكي تتم الإجابة عليها وإعادتها للباحث عن طريق البريد المرسل، ولهذه الوسيلة ميز، ومآخذ منها.

1 – ميز استمارة البريد المرسل:

أ . إنها تعطي فرصا كافية للمبحوثين للإجابة على الأسئلة واختيار الوقت المناسب.

ب . تساعد على الحصول على معلومات قد تكون أكثر صراحة لعدم معرفة المبحوثين للباحث أو نتيجة عدم مقابلتهم له.

ت . تمكِّن الباحث من إجراء بحوث ودراسات واسعة جغرافيا.

2 . عيوب استمارة البريد المرسل:

أ – قلة العائد منه حتى ولو اتخذ الباحث بعض التحوطات التي يتوقع أنها تقلل من نسبة هذا الفاقد مثل إحالة الأظرف والطوابع البريدية مع استمارة الاستبيان المرسلة للمبحوثين كمحاولة ضمان لإعادتها.

ب – قد يكون بعض المبحوثين لا يجيدون القراءة والكتابة مما يجعلهم لا يولون اهتماما لاستمارة البحث.

ت – قد لا يستوعب بعض المبحوثين المفاهيم والعبارات الواردة في الاستمارة نظرا لبساطة مستواهم الثقافي والتعليمي، خاصة أنَّ بعض المفاهيم تعطى أكثر من دلالة ومعنى.

ث – قد يستعين المبحوث بآخرين في الإجابة على استمارة الاستبيان، وبالتالي تكون المعلومات المتحصل عليها خالية المصداقية.

ج – قد يغير بعض المبحوثين عناوينهم نتيجة ظروف العمل أو الحاجة أو المصلحة الشخصية وبالتالي لم تصل بعض الاستمارات المرسلة إلى الأفراد المستهدفين بالبحث.

ح – لا يمكن التأكد من صدق الاستجابات ولا يتمكّن الباحث من استقراء ردود أفعال المبحوثين كما لو كانت الوسيلة المستعملة هي المقابلة.

خ – قد لا يكون لكل أفراد المجتمع عناوين بريدية.

ثانيا: الاستبيان عن طريق الهاتف:

وهو الذي يتم من خلاله الاتصال بالمبحوثين وطرح أسئلة الاستمارة عليهم وكتابة ما يجيبون به على الباحث أو الفريق المساعد له في حالة وجود فريق مساعد لاختصار الوقت والجهد على الباحث. ولهذا النوع ميز وعيوب منها:

1 – ميز الاستبيان الهاتفي:

أ – يُمكِّن الباحث من الاتصال بالمبحوثين في أماكنهم وعلى انفراد هاتفي.

ب – يعطى فرصة للمبحوث لأن يستفسر عن أي لبسٍ أو غموضٍ وكذلك يعطي فرصة للباحث لأن يوضح.

ت – تندمج مع وسيلة الاتصال الهاتفي وسيلة المقابلة غير المباشرة (التي لم تكن وجه لوجه) ولكنها مقابلة هاتفية، قد تؤدي إلى التفاعل بين الباحث والمبحوث مما يساعد على إعطاء معلومات أكثر أهمية.

2 – عيوب الاستبيان الهاتفي:

أ – قد يتم الاتصال ولكن قد لا يكون المجيب هو الشخص المقصود بالبحث أو المعنى بالدراسة، فتتاح الفرص أمام منتحلي الشخصية ليجيبوا عن غيرهم وهم منتحلوا شخصية المبحوث.

ب – قد يكون وقت الاتصال الهاتفي غير مناسب للمبحوث كأن يكون المبحوث وقت الاتصال يعانى من مرضٍ، أو أنه في مآتم لأحد ا قاربه أو في حفلة عرس أو أثناء تأدية واجب. وقد يكرر الباحث الاتصال ثانية بالمبحوث وقد تتكرر معه الظروف هي الآخرة ثانية.

ت – قد تكون فترة الاتصال الهاتفي خطوط الهاتف تعانى من عطب فني.

ث – قد يكون المبحوث الذي وقع عليه الاختيار أصم وأبكم أو انه ضعيف السمع.

ج – قد يشك المبحوث في مصداقية الباحث ويتحسس من كيفية حصوله على رقم هاتفه. حتى وان أجابه، قد أتمَّ الحصول عليه عن طريق الدليل العام.

ح – قد يعتقد المبحوث أن الباحث سفيه ويريد من وراء ذلك المعاكسة التي لا تليق بمكارم الأخلاق.

خ – قد يعتقد المبحوث أن الباحث يتجسس عليه.

ويلاحظ بشكل عام أن البحوث عن طريق الهاتف لا تصلح لدراسة المجتمع لاعتبار أن المجتمع لم يكن بكامله يمتلك وسيلة الاتصال الهاتفي.

ثالثا: نشر وعرض الاستبيان عن طريق الصحف والمجلات:

تطبع استمارة الاستبيان على احد الصحف أو المجلات بحيث تكون في متناول الجميع خاصة في دراسة المواضيع العامة لاستطلاع الرأي العام، أو لمعرفة المؤشرات التي تفيد في إجراء بحوث أو دراسات أخرى، وتتداخل وسيلة البريد مع الصحف والمجلات من حيث أن توزيع الصحف قد يكون بريدي وإن ترجيع إجابات المبحوثين على أسئلة الاستبيان الموزع عن طريق الصحف والمجلات يكون من خلال البريد وعليه تكون ميز البريد وعيوبه عالقة بهذه الوسيلة، إلى جانب عيوب وميز الاستبيان المطبوع في الصحف والمجلات التي منها:

1 – ميز الاستبيان الموزع عن طريق الصحف والمجلات:

أ – إنه سريع التوزيع والانتشار.

ب – إنه اختصارا للوقت والجهد .

ت – إنه لم يكن مكلفا كثيرا.

2 – عيوب الاستبيان الموزع عن طريق الصحف والمجلات:

أ – قد لا توزع الصحف والمجلات في كل المناطق وبالتالي لا تفيد في إجراء بحوث ودراسات عامة.

ب – لم يكن كل أفراد المجتمع قادرين على القراءة والكتابة.

ت –لم يكن كل أفراد المجتمع مطّلعين على الصحف والمجلات.

ث – قد تكون أسئلة الاستمارة تحتوى على أخطاء مطبعية ولم تراجع من قبل الباحث قبل توزيعها.

ج – إنه لم يفيد في التحليل النفسي والتكيف الاجتماعي وفى دراسة الحالات الخاصة.

رابعا: نشر وعرض الاستبيان عن طريق الإذاعتين المسموعة والمرئية:

هذه الأنواع من الاستبيانات تقوم بها الدول والشركات الكبرى، التي تود استطلاع الرأي العام عن إنتاج معين أو برامج معينة. ومع أن وسيلة الإذاعتين كثيرة الانتشار والبرامج من خلالهما أسرع انتشارا، إلا أنه يؤخذ عليها أن أوقات عرض الاستبيان قد لا تكون مناسبة حتى وان عرض في أوقات مختلفة وذلك لأن المجتمع كثير المهن والحرف التي قد تجعل الكثيرين منه خارج المنزل ساعات عرض الاستبيان سواء أكانوا في الصناعة أم الزراعة أم التجارة أم السفر خارج البلاد، ونتيجة لذلك تختلف ساعات الراحة من مواطن لآخر حسب طبيعة عمله، وظروفه الاجتماعية والصحية والنفسية التي قد لا تسمح له بالاستماع لمثل هذه النوعية من البحوث.

خامسا: نشر وعرض الاستبيان عن طريق وسائل المعلومات المتطورة (الإنتر نت):

بلغ العلم من التطوُّر ما يُمكِّن الباحث من دخول المنازل في جميع أنحاء العالم من خلال شبكات الاتصال المتطورة (الإنتر نت) سواء للحديث المباشر أو عن طريق بث أسئلة استمارة الاستبيان على الجميع وعلى جميع المواقع المسموح بها أو تلك التي تخضع للرقابة من قبل البعض، ولهذه الوسيلة المتطورة ميزا وعيوبا منها:

1 . ميز نشر الاستبيان عن طريق (الإنتر نت):

أ . إنها واسعة الانتشار.

ب . إنها سريعة الانتشار.

ت . قليلة التكلفة.

ث . وقد تكون مجانية الكلفة.

ج . تسمح للباحث أن يجري مقابلة مع المبحوثين في مواقعهم، ليجيب عن استفساراتهم إن واجههم غموض.

ح . سرعة إعادة الإجابة إلى الباحث.

2 . عيوب نشر الاستبيان عن طريق الإنتر نت:

أ . يمكن أن تكون الردود مزوَّرة أي ليست من الذين يعنيهم الأمر.

ب . تعمُّد تزوير المعلومات تسفيها للموضوع أو تسفيها للباحث.

ت . إهمال المبحوثين وعدم اكتراثهم بأهمية الموضوع.

ث . ليس بالضرورة أن يكون كل المبحوثين مشتركين في شبكة الاتصالات المتطورة (الإنتر نت).

ج . مع أن شبكة الاتصالات المتطورة سريعة الانتشار إلا أن الردود قد لا تعود بالسرعة التي من أجلها أختار الباحث (الإنتر نت) وسيلة لنشر استبيان بحثه.

وعليه: يلاحظ أن المآخذ على معظم وسائل الاستبيان هي أكثر من الميز مما يجعلنا نقول أن القصور يصاحب وسيلة الاستبيان إذا ما قورنت بوسيلة المقابلة.

أنواع الاستبيان من حيث صياغة أسئلة الاستمارة:

ينقسم الاستبيان من حيث صياغة أسئلة الاستمارة إلى الأنواع الآتية:

1- الأسئلة المفتوحة: وهى الأسئلة التي لا تحد من إجابة المبحوث، بل تترك له حرية الإجابة وفق السؤال المطروح عليه، وهى المتضمنة لأسئلة لماذا؟ وكيف؟ واشرح، وعبر، كأسلوب أمر يتطلبا إجابات مفتوحة.

2- الأسئلة المقفلة: وهى التي تتطلب إجابات محدودة من المبحوث بـ(نعم)، أو بـ(لا) أي أنها تقتصر على احد الإجابتين: الإثبات أو النفي ويقتصر استفهامها على الأداة هل؟.

3- الأسئلة محدودة الإجابة: هي الأسئلة التي يصوغ الباحث إليها مجموعة من الإجابات ويترك حرية الاختيار للمبحوث وحسبما يتوقعه مناسبا أو ملائما من إجابات، مثال الصيغة الآتية:

لدينا بعض العوامل التي نعتقد أنها تؤدى إلى ضعف المستوى ألتحصيلي للطلبة في مرحلة التعليم المتوسط. المطلوب تحديد درجة هذه العوامل، هل هي تؤثر بدرجة كبيرة، أم بدرجة متوسطة، أم بدرجة اقل؟

أ - عدم كفاءة المدرس. بدرجة كبيرة متوسطة اقل

ب- التركيز على الطريقة التقليدية (التلقين). بدرجة كبيرة متوسطة اقل

ج- عدم استعمال وسائل الإيضاح. بدرجة كبيرة متوسطة اقل

د- عدم ملائمة المقررات للطلبة. بدرجة كبيرة متوسطة اقل

هـ- تغلب الجانب النظري على الجانب العملي. بدرجة كبيرة متوسطة اقل

ز- عدم توفر الضبط الإداري بالمدرسة. بدرجة كبيرة متوسطة اقل

ح- عدم توفر المعامل والمختبرات. بدرجة كبيرة متوسطة اقل

و . عدم ترابط المناهج السابقة مع الحاضرة. بدرجة كبيرة متوسطة اقل[18].

4 - الأسئلة المقفلة المفتوحة:

وهى الأسئلة المُركَّبة من الصيغتين المقفلة والمفتوحة، وهي التي تتطلب إجابتين في وقتا واحد مثال: هل توافق على منزلية التعليم؟ ولماذا؟

5-الأسئلة المحددة المفتوحة:

وهى الأسئلة التي تصاحبها مجموعة من الإجابات الاختيارية وتذيَّل نهاياتها بأخرى تذكر. مثال: ما هي الجوانب التي تعتقد بأنها تفيد في تقييم المدرس إذا طُلب منك أن تقيِّمه؟

---

[18] عقيل حسين عقيل ، وآخرون ، دراسة ميدانية عن مستوى التحصيل لطلبة التعليم المتوسط ببلدية طرابلس . طرابلس : اللجنة الشعبية للتعليم ، 1989م ، ص 213 .

أ- طريقة المدرس أثناء الشرح   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

ب- مقدار ما دُرِّس من المقرر.   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

ت- مستوى التحصيل عند الطلبة   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

ث- علاقة المدرس بالطلبة.   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

ج- المناشط المصاحبة للمادة.   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

ح - استعمال وسائل الإيضاح.   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

خ - التعاون مع الإدارة والمفتش.   تفيد كثيرا   تفيد لحد ما   لا تفيد

د - جوانـــــــب أخـــــــرى تـــــــذكر......
....
...
....
....[19].

إن تحديد نوع الاستبيان يرتبط بطبيعة المشكلة ونوع الحالة ونوع المبحوثين المستهدفين بالبحث، فالبحوث الاجتماعية والإنسانية، لم تكن مقولبة بصورة واحدة، فما تتطلبه دراسة الحالة في خدمة الفرد وعلم النفس، يختلف عما تتطلبه في علم الاجتماع، ونتيجة اختلاف وتنوع طبيعة كل حالة عن الأخرى فإن ذلك يستوجب مراعاة كل الفروق الفردية والجماعية والمجتمعية قبل تحديد نوع الاستبيان.

شروط الاستبيان:

مع أن للاستبيان ميز وعيوب إلا إننا إذا أردنا استعماله، أو إذا استوجب الموضوع اختياره لتجميع المعلومات، فينبغي مراعاة الأتي:

1- أن يصاغ الاستبيان بلغة واضحة وأسلوب غير ممل.

[19] المصدر السابق ، ص 222 .

2- أن يطبع ويراجع بعد طباعته ثم يصحح إذا وجد داعي لذلك ويطبع من جديد، ثم يوزع.

3- ألا يكون مطولاً حتى لا يمل المبحوثين من ملئه برغبة.

4- ينبغي أن يجرَّب على مجموعة من الأفراد قبل توزيعه النهائي على مجتمع البحث، كاختبار له من حيث نجاح اشتراطاته وبما يحقق أهدافه العلمية، على أن يكون الأفراد من مجتمع الدراسة.

5- ألا يوزع في أوقات غير مناسبة للمبحوثين.

6- أن تراعى أهمية الظرف المكاني عند توزيعه، بحيث يكون مناسبا لطبيعة البحث وطبيعة المبحوثين.

الخطوات التي تحفِّز المبحوثتين على ملء الاستمارة:

1- أن يحس المبحوثون بفلسفة الاستبيان وفلسفة البحث.

2- أن يوضَّح الباحث أهداف البحث للمبحوثين.

3- أن لا يحمّل المبحوثين بأي تكاليف بريدية أو غيرها.

4- أن يوضَّح الباحث للمبحوثين أسباب اختيارهم أفراد أساسيين البحث.

5- أن تذكر لهم الجهة التي تدعم البحث إن وجدت أو الجهة التي ترتقب نتائجه.

6- أن لا يطلب الباحث كتابة الاسم على الاستمارة قدر الأماكن.

7- أن يراعى الوقت المناسب للمبحوثين أثناء توزيع الاستمارة

الفصل التاسع
الملاحظة والمشاهدة

الملاحظة: notice

تعتبر الملاحظة من الأدوات المهمة في عمليات دراسة حالات المبحوثين، عندما تكون قابلة للتحقق منها، وتبيِّن الملاحظة مدى سعة تفكير الباحث، وإدراكه ووعيه لما يحدث معه ومن حوله، بما يُمكّنه من فهم سلوك الفرد أو الجماعة وظروفهم المحيطة مع استقراء ما يحدث من ردود أفعال، وذلك من خلال الربط بين المشاهد والمسموع والمحسوس والمدرك).

وتشتمل الملاحظة على لحظة حدوث الشيء فيُلحظ في حينه (وقت حدوث الفعل) وهذه قد تكون عن رؤية، وقد تكون عن استماع مباشر واعٍ ومقصود، وقد تكون عن استقراء واستنباط، وترتكز الملاحظة على أهمية الحضور لكي تتم عملية المقابلة المباشرة للمصدر ذي العلاقة بالموضوع أو المشكلة قيد البحث أو الدراسة.

كما ترتكز على المعاينة لما هو محسوس بشكل مباشر أو غير مباشر، فكل ما يتم عن طريق الحواس الخمس هو مباشر، أما الذي يتم عن طريق الاستنباط والاستقراء فقد يكون غير مباشر، ولهذا يجب أن لا يغفل الباحث عن استقراء ما بين الأسطر، واستنباط المحمول في المضمون. ولهذا تعتبر الملاحظة الأداة المُمكِّنة من التمييز بين الصدق واللغو، وبين ما يجب وما لا يجب. فعن طريق المعاينة السماعية يتمكّن الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي من التعرف على العلاقات السالبة والموجبة بين المواضيع. فحاسة البصر (العين) لا تشاهد الكلمات المنطوقة مع أنها تشاهد المكتوبة منها.

وحاسة السمع (الأذن) قادرة على ملاحظة المسموع وغير قادرة على التمكُّن من المكتوب، وبمشاهدة المكتوب يُمكن أن يتم استنباط واستقراء ما ورائه من أغراض وغايات أو نوايا من خلال ملاحظة ما يحمله من مضامين تدرك إدراكا.

ولذا فبالاستماع يمكن أن يتعرَّف الباحث أو الأخصائي على اتجاهات أو نوايا الطرف أو الأطراف المستمع إليها، وحتى فاقد حاسة البصر يُمكن أن يكون شاهدا

مع أنه لم يكن قادرا على أن يشاهد شيئا بعينيه، فإذا أُنصِت إلى حديث جماعة تتحدث عن فلسفة التغير الاجتماعي، فيمكن أن يُلاحظ المُنصت ما يرمي إليه الحديث من مرامي واتجاهاتهم حول هذا الموضوع، وكذلك يُمكنه أن يلاحظ الوحدة التي بينهم، أو الاختلاف والتباين في وجهات نظرهم.

ولأنها الأداة المعتمدة على الحواس ودرجة سلامتها، فهي تتطلب من الباحث كفاءات وقدرات يمكن قياسها، هي:

أ – القدرة على الإنصات الواعي للآخرين وتفهُّم وجهات نظرهم.

ب – القدرة على التذكُّر والتصّور والتخيل، والتفكُّر وفقا لما هو متوقع وغير متوقع.

ج – القدرة على التمييز بين المعايير التي يحتكم الأفراد والجماعات والمجتمعات إليها.

د – القدرة على تحديد الرؤية لما يجب أن يحدث، ومتابعة ما يحدث بالفعل.

ه – الاهتمام بجميع المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على الموضوع المدروس، وتبني التفكير في المتغيرات الجديدة ووضع معايير لها.

أهمية الملاحظة:

1 . إنها تُمكِّن الباحث من الاستقراء والاستنباط.

2 . تُمكِّن الباحث من معرفة ردود الفعال.

3 . إنها تفيد في دراسة ديناميكية الأفراد والجماعات والمجتمعات.

4 . تمكن الباحث من متابعة التغيرات السلوكية ورصدها ايجابيا أو سلبيا.

5 . تُمكِّن الباحث من الانتقال من المجرد إلى المشاهد عندما يكون عقله مبدعاً، فالذي اخترع السكين أو المقعد مع أنهما على البساطة بسبب معرفتنا بهما واستخدامنا اليومي إليها إلا أن الذي أخترع كل منهما لابد وانه فكَّر بعمق في كيفية صناعة السكين أو المقعد من حيث ملائمة كل منهمكا للوظيفة التي اخترع من أجلها، وإلا على أي أساس صمما؟.

*** أنواع الملاحظة من حيث دور الباحث:**

تنقسم أنواع الملاحظة من حيث دور الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي إلى نوعين هما:

الملاحظ غير المشارك والملاحظ المشارك .

1-الملاحظ غير المشارك:

إنه الملاحظ العلمي الذي لم يختلط مع الملاحظين (المبحوثين) قيد الدراسة، ويجري ملاحظته ويسجّلها دون أن تحس الجماعة المبحوثة بأنهم تحت المراقبة أو المشاهدة، مما يجعل تصرفاتهم تجاه الفعل الاجتماعي طبيعية، دون تكلّف في السلوك.

وتجرى مثل هذه الملاحظات على الفرد وأعضاء الجماعة وعلى الأنشطة والبرامج، وعلى المواقف، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة. فالأولى هي التي يقوم بها الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي مباشرة دون وسيط، وتتم عن بعد وكأن الأمر لا يعنيه في شيء، مع أنه منتبه لكل ما يجرى أو ما هو ملاحظ، كملاحظته للوحدات السكنية والحالة التي هي عليها، ومدى اهتمام السكان بنظافتها وجمالها، أو حين يلحظ سلوك جماعة من الصيادين أو الفلاحين أو المتظاهرين دون أن يشاركهم السلوك أو الفعل موضوع الملاحظة .

أمَّا الملاحظة غير المباشرة فهي التي تتم عن طريق وسطاء قاموا بها في الزمن الماضي ولازال بعضهم على قيد الحياة، مع أن الموقف أو الموضع الذي اشتركوا في ملاحظته قد انتهي ولن يتكرر، فمن خلال إجراء مقابلة أو مجموعة من المقابلات معهم يتم التعرّف على ملاحظاتهم السابقة، وتعتبر ذات أهمية للمقارنة أو لإجراء ملاحظات على أفعال حاضرة أكثر تركيزا، أو اتساعا من حيث المجال، وقد تكون مصادر الملاحظة وثائق وسجلات ومذكرات عامة أو خاصة، وقد تكون مصادر الملاحظة أشرطة مسموعة أو مرئية أو أجهزة حاسوب.

إن هذا النوع مهم جدا في الدراسات الاستطلاعية والدراسات المتعمقة في البحث الاجتماعي وخاصة في طرق مهنة الخدمة الاجتماعية، إلا أن هذا النوع محفوف بخطأ النسيان أو الزيادة من قبل الناقلين، لأن العنعنة في معظم الأحيان لا دقة فيها.

2-**الملاحظ المشارك:**

هو الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي الذي يقوم بالملاحظة مباشرة من أجل تجميع البيانات والمعلومات، وقد يكون الباحث مشاركا كاملا، وقد يكون مشاركا ملاحظا.

المشارك التمام:

هو الذي يتحدد من خلال دور الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو الأخصائي النفسي أثناء ملاحظة سلوك المبحوث أو المبحوثين، وينبغي ألا يعرف العميل أو أعضاء الجماعة بأن هناك من يقوم بملاحظتهم، ويكون الباحث في هذه الحالة كأنه عضوا أساسيا في الجماعة مما يستوجب عليه الإلمام باتجاهاتها وأهدافها والتقيد بتعاليمها وأساليب المعاملة فيما بينها ومع الآخرين، وأن يلتزم بتأدية طقوسها، خاصة إذا كانت جماعة دينية منغلقة على ذاتها، وأن يمارس مناشطها إذا كانت للجماعة مناشط توحّد اتجاهاتها، أو تهذب نفوسها، ويُفضّل أن يمتاز الباحث الاجتماعي بمرونة عالية في تعامله مع أعضاء الجماعة خاصة وأنه قد يتعرض لمواقف استفزازية، إذا لم يتم تقبله من قِبل الجماعة، وإذا لم تثق الجماعة فيه كل الثقة.

أن الهدف من ممارسة هذا الدور من قبل الباحث الاجتماعي، هو التعرف على الاتجاهات والأساليب التنظيمية للجماعة، والمنهج التربوي الذي تنتظم فيه أو تنتظم عليه، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، والمخاطر المترتبة عليها، أو الفوائد المحققة لها، وذلك من أجل أخذ عبرة يستفاد منها في الحياة العامة، وتنظيم

المجتمـع، مـع أن بعـض أنـواع التفاعـل الاجتمـاعي يصـعب أن يقـوم الباحـث بملاحظتها، وذلك مثل الممارسات الجنسية والاختلافات الأسرية، مع العلم أن هذا الدور يحتاج إلى وقت كافٍ وتدريب راقٍ حتى يتمكّن الباحث الاجتماعي أو النفسي من الاقتراب إلى أعضاء الجماعة والتعرف على ما يكنِّوه، أو يعلنوه فيما يتعلق بموضوع الملاحظة ودراسة الحالة.

المشارك الملاحظ:

هو الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي الذي حدد وسيلة الملاحظة كأداة هامة لتجميع المعلومات والبيانات من أعضاء الجماعة الذين يعرفون دوره المُعلن بأنه المشارك الملاحظ، وينتشر هذا النوع كثيرا في الدراسات الأنثروبولوجية. وقد ترتقي درجة الثقة بين الباحث والمبحوثين أو المدروسين إلى درجة الصداقة التي ينبغي ألا تؤثر على موضوع الملاحظة. الميز والعيوب:

أولا: الميَّز: من الميز المترتبة على هذا الدور الذي يلعبه الباحث (المشارك الملاحظ)، تقبل الجماعة للباحث والتعرّف عليه باحثا ميدانيا، وقد تثق فيه الجماعة إلى درجة إظهار كل ما هو كامن عندها من أفعال وسلوكيات وعادات وأعراف، من أجل عدم إحساسه بالغربة، أو نتيجة اعتزازهم بما يمارسونه من سلوك وأفعال، أو نتيجة اعتبارهم لما هم عليه من قيم.

ثانيا المآخذ: إذا لم تتقبل الجماعة الباحث وتثق فيه فقد تسلك أمامه سلوكيات مصطنعة حتى تُظهر ذاتها بأنها مثال أمام الباحث (المشارك الملاحظ)، مما يجعل الأفعال والمناشط والأدوار التي تقوم بها أمامه ليست طبيعية بل مختلقة، وكذلك قد يندمج الباحث في الجماعة إلى درجة تأثره العاطفي بأدوار الجماعة فيتحيّز إليها بشكل قد ينسيه دوره العلمي الذي جاء من أجله باحثا ودارسا موضوعيا.

المشاهدة: observation

يقصد بالمشاهدة الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته، بالاقتصار على حاسة البصر (العين) في مشاهدة الأشكال والأعمال والسلوك والصور، وتُمكّن الباحث من الوصف لما يشاهده.

وتوجد علاقة ترابط بين المشاهدة والملاحظة تتمثل في أنَّ الملاحظة عميقة وواسعة، وتحتوي على الاستنتاج العقلي، أما المشاهدة فتحتوي على المعاينة بالعين للشيء، وذلك عن طريق تفحّصه ككل وكجزء بنظرة فاحصة. أي أن المعاينة بالمشاهدة تتم للأشكال والصور والأجسام، وحركتها والتعرف على مكوّناتها (الأجزاء المتكونة منها) بالتعرف على كل ما يمكن تصويره أو رسمه أو أنه في حالة حركة وامتداد.

لذا فالمشاهدة هي وسيلة على أهمية عالية للملاحظة، فمن مشاهدة جماعة منشط فني حر من أجل دراسة اتجاهاتهم قد نجد أن أحد الأفراد يرسم وردة أو زهرة أو غزالة، ونجد آخر يرسم رجلا على صدره أو على إحدى ذراعيه إخطبوط، ونجد ثالثا يرسم فتى وفتاة بينهما مودة، أو يرسم قلبا في وسطه فتاة، أو سيارة يركبها عروس وعروس. هذه مشاهدات يمكن أن يلاحظ من خلالها:

ـ أن الأول يحب الجمال ويلاحظ عليه أيضا الانشراح والمرونة والحياة المبتهجة، وهو مبتسما غير عبوس.

. ويلاحظ على الثاني الاتجاه الإجرامي والانحرافي وعدم احترام الآخرين.

. ويلاحظ على الثالث أن له حبيبة وقد يكون راغبا في زواجها وهي مركز اهتمامه.

هذه الاتجاهات الثلاث قد يتم التعرف عليها من الملاحظة وبواسطة المشاهدة. ويلاحظ أيضا العمق في كل حالة من الحالات الفردية السابقة، والتي ظهرت أمامنا من البداية كمشاهدات محدودة.

وإذا شاهدنا مباراة لكرة القدم، نشاهد أمامنا جماعتين في وسط الملعب بنوعين من الملابس الرياضية، ومرميين للتهديف، بوسطهما حارسين وجمهور مُتحمِّس،

ونشاهد حركة اللاعبين وحركة تسجيل الأهداف. هذه المشاهدات التي تترتب عليها الملاحظات، والتي تُمكّن الباحث الملاحظ من معرفة درجة التعاون بين اللاعبين، والمهارات الفنية لهم ولياقاتهم وقدرات تحمّلهم، وعلاقتهم بالجمهور وإصرارهم على الفوز، وكذلك يمكنه أن يلاحظ علامات الهزيمة، والفوز أو الإحباط في نهاية المباراة على أفراد الفريقين والمشجعين والمدربين حسب النتيجة لكل فريق.

تعتمد المشاهدة على ما تراه العين، ولكن ليس كل ما تراه العين هو حقيقة، وذلك لأن الظاهر قد لا يكون الباطن، ولهذا فالاعتماد على المشاهدة في القضايا العلمية، مسألة غير يقينية فيصعب التسليم بمصداقيتها، قال تعالى: {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى}[1] فمن مشاهدة سلوكهم قد تعتقد أنهم في حالة سكر، ولكن بملاحظتهم عن قرب، قد لا يكونوا سكارى مع أن حركتهم فيها شبه من هذا الأمر. ولهذا فإن الاعتماد على حاسة البصر (العين) في المقارنات العلمية غير كافٍ، وليس دقيق، لأن إجماع الناس على حكم معين بمثل هذه الوسيلة غير ممكن. مما يستوجب استعمال وسيلة الملاحظة والمقابلة في عمليات البحث والدارسة، سواء أثناء جمع المعلومات أو التحليل أو التشخيص أو العلاج الذي يُمكّن الأفراد والجماعات من أداء واجباتهم الاجتماعية وفق ما لهم من حقوق، وما عليهم من مسؤوليات تفاديا لعيوب المشاهدات مصداقا لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}[2]. فمن خلال المشاهدة برهن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إثباتاً أنَّ القمر يغيب ولهذا فهو الفاقد لصفة

---

[1] سورة الحج ، الآية 2 .

[2] الأنعام 75 . 78.

الربُّ (الله عزَّ وجل) أي فاقد لخاصيّة البقاء وكذلك برهن إبراهيم إثباتا أن الشمس فاقدة لخاصية البقاء والديمومة التي أختص الله بها.

علاقة المشاهدة بالملاحظة:

ترتبط الملاحظة بالموضوع ولا تنفصل عنه، لأنها إذا انفصلت عنه تصبح غير علمية وبدون معنى محدد لها. فإذا افترضنا أن الموضوع هو: (مدى تمسك سكان مدينة من المدن العربية بارتداء الزي (الملبس) الوطني)، فإن ذلك يستوجب على الباحث ملاحظة ومشاهدة سكان المدينة في أماكن مختلفة وأوقات مختلفة، وقت العمل وأماكنه وفي المدارس والجامعات والمناسبات الدينية والأعياد الوطنية والأعراس وحفلات الختان والمآتم وفي الشوارع العامة وأيام العطلات وأماكن الترفيه. فإذا ذهب الباحث إلى المصيف البلدي وشاهد المصطافين بدون زيهم الوطني فهذا لا يعني عدم تمسكهم به، ولكنه يعني أن طبيعة المكان لا تستوجب ارتداء الزي الوطني، بل إنه لو شاهد أحد المواطنين يرتديه وهو مع المصطفين على الشاطئ فأنه يلاحظ إخلالا بالذوق العام، وعدم احترام الزي الوطني، وإذا شاهد أحد أساتذة الجامعة العرب أو المسلمين بشكل عام يرتدي ملابس البحر القصيرة وهو في الفصل الدراسي أو المدرجات الجامعية، فإنه يلاحظ عليه عدم احترام الأستاذ للمكان الجامعي ولطلبة الجامعة. وتختلف المشاهدة عن الملاحظة في المثالين السابقين، الملابس تشاهد وتميّز، أما الاحترام والتقيد بالذوق العام يلاحظ ولا يشاهد. وإذا ذهب الباحث المشاهد والملاحظ إلى مأتم وشاهد امرأة ترتدي ملابس عروسة، يلاحظ أنها خارجة عن الموضوع، لأنها لم تتقيد بالظرف ألزماني والمكاني والموضوعي للزي الذي ترتديه، ولم تحترم المناسبة وشعور الآخرين، وإذا شاهد بعض الأفراد يسبحون بالزي الوطني بالمصيف العام يلاحظ عليهم أيضا عدم احترامهم للزي الوطني الذي يجب ألا تقدم له الإهانات.

الملاحظة ليست هي المتوقفة عند حد الصور والأشكال كما هو حال المشاهدة، بل الملاحظة تتعداها إلى المعاني والألفاظ، وما يحاول أن يخفيه أو يظهره المبحوث أو المبحوثون المدروسة حالاتهم (أثناء إجراء المقابلات).

فهذا الأمر لا يتحقق بالمشاهدة التي تقتصر على رؤية الصورة والنظر إليها، بل بالملاحظة التي بها يتجاوز الباحث حد الوقوف عند مشاهداته للصور والأشكال والسلوك والحركة إلى ما يُخفى وراء كل منها، فالتناقض في الحديث والتلعثم والخجل والتظاهر بالبراءة والتظاهر بالخوف والخوف الحقيقي والمحبة والتظاهر بالمحبة والانطواء والاكتئاب والتشاؤم ومحاولة إنكار الانفعال والغضب، وإظهار الفرح والمرح كل هذا لا يمكن مشاهدتها، ولكن من الممكن ملاحظتها.

المشاهدة تقتصر على رؤية المنبسط فرحة، أو الباكي حزنا، ولهذا فلباكي يشاهد، وبكائه يلاحظ، وكذلك السعيد يشاهد، وسعادته تلاحظ.

وعليه ليس كل ما يلاحظ يشاهد، ولكن كل ما يشاهد يمكن أن يلاحظ ما يُخفى ورائه. إن قوة العلاقات بين أفراد الأسرة أو الأمة لا يمكن مشاهدتها، ولكن بالإمكان ملاحظتها، وممارسة الحرية لا يمكن مشاهدتها، ولكن من الممكن ملاحظتها من خلال مشاهدة سلوك وأفعال الممارسين لها، ولذا مع أن للحرية أساليب لممارستها في سلوك عن طريق اللجان والمؤتمرات والبرلمانات والجمعيات، والتنظيم الاقتصادي من خلال الملكية العامة والخاصة، وديناميكية الإنتاج التي يمكن مشاهدتها كتعبير عن الحرية؛ إلا أن التعبير المعلن عنها من قبل الحكومات من خلال المشاهدة قد لا يُعبر عن مصادق، ومن خلال الملاحظة قد يثبت عكس ما يقال أو يُكتب، فعن طريقها قد تكون الحقيقة أن الدولة التي تدعي ممارسة الحرية عن طريق جلسات المجالس والبرلمانات التي يمكن مشاهدتها بالنقل المباشر من خلال شاشات الإذاعة المرئية وشبكات الانترنيت، يلاحظ أنها نظاما كبحيا أو سلفيا أو طبقيا أو غيره.

وعليه تكون الملاحظة أكثر أداة لإثبات الحقائق والمصادق، وتكون المشاهدة خير دليلا وشاهد عليها، هذا وتتكون الملاحظة من عمليات عقلية متداخلة إلى جانب توليد المشاهدات، فالعمليات العقلية هي: تلك التساؤلات والافتراضات أو الانتقادات والتوقعات، وكيفية تفادي المواقف، وكيفية اختيار الأساليب ومراعاة الظروف المناسبة. أي أنها الحوار الذي يتم بين الإنسان كباحث وذاته، والمبادئ العلمية حول الموضوع والأهداف مع مراعاة الفرد أو الجماعة أو المجتمع قيد البحث والدراسة، والأساليب الدفاعية التي قد تحول دون الملاحظة أو تعرقلها، وهكذا تتولد المشاهدات والملاحظات بعضها من البعض، مما يجعل المشاهِد ينتقل من المشاهَد إلى الأسرار التي وراءه والعلاقات المكونة لعناصره، قال تعالى: { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}[3]. إنه أمر لمشاهدة آياته في السماء وهي النجوم والكواكب من خلال النظر إليها، التي تُشاهد حركتها وضوؤها الجميل، وبالمشاهدة يلاحظ أن هناك علاقة، وأن هناك قدرة ورائها، وأنها علامات يمكن الاهتداء بها في تحديد الاتجاهات ليلا ونهارا وفي البر والبحر، وهذه مشاهدات تولَّدت من خلال الملاحظة والمشاهدة، وهكذا تتولد المشاهدة من المشاهدة، وتتولد الملاحظة من الملاحظة، فمن مشاهدة الشمس يشاهد الشروق والغروب، ومن مشاهدة القمر يشاهد الشمال والجنوب، ومن مشاهدة الجبال والمخلوقات يلاحظ أن من ورائها خالق، وهكذا تتولد الفكرة من الفكرة لنلاحظ أو نشاهد ما يترتب على الفكرة وتوليدها.

تعتبر الملاحظة والمشاهدة أحيانا أداتان هامتان لوسيلة المقابلة. لأنه من خلال المقابلة يمكن مشاهدة المبحوث وتصرفاته، ويمكن ملاحظة ردود أفعاله على الأسئلة المطروحة عليه من قبل الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو الأخصائي النفسي.

---

[3] يونس 101.

في كثير من الأحيان تضع المشاهدة الباحث المشاهد في حالة شك، حيث خدعة الحواس، مما يجعل الشك في البعض المسموع، والبعض المشاهد، فسلامة البصر وقوته ليست واحدة، وبالتالي يجب أن لا يثق الأخصائي في كل ما يقوله المبحوث سواء أكان فردا أم جماعة.

ولأن المشاهدة ترتبط بالظاهر سلوكا وحركة ومتحركا، فلا ينبغي أن يعتمد عليها في إصدار الأحكام، خاصة أثناء إجراء المقابلات مع أصحاب الحالات الشاذة أو الإنحرافية، فعلى سبل المثال: مشاهدة الأخصائي الاجتماعي أو النفسي للمبحوث وهو يبكي أثناء المقابلة، فمن خلال الملاحظة يمكن إثبات أن هذا البكاء ليس على صادقٍ، ولكنه لاستدرار عطف الأخصائي الاجتماعي أو النفسي، نتيجة الحيل الدفاعية للمبحوث وذكائه في التأثير على الباحث أو الدارس لحالته وتمييع الموضوع.

كما أن مشاهدة المتسولين وهم في ثياب رثة بالية قد تظهر للوهلة الأولى ظروفهم المعوزَّة، ولكن إذا أخضعوا للملاحظة، قد يكونوا عكس ما يشاهد تماما لأنهم اختاروا أقصر الطرق للعيش بدون مقابل، ومع ذلك فإمّا السائل فلا تنهر. وهكذا تكون الملاحظة اختباريه للمشاهدة، وتكون المقابلة اختباريه للملاحظة، فكل ما يلاحظه الباحث يمكن أن يتم اختبار مصداقيته من عدمها بالمقابلة. وتختلف الملاحظات والمشاهدات العلمية عن الملاحظة والمشاهدة العابرة التي تواجه الإنسان كل يوم، والتي قد تثيره في وقتها لاحتوائها عنصر المفاجأة أو التي تعرَّف عليها في الماضي وتتكرر من حين لآخر مثل مشاهدته السحب والأمطار، ومعرفته لها كما هي مشاهدة، ولا يعرف العلاقة بين السحب ومكوناتها والقوة التي تذيبها فتسقط مطرا، وأنه يشاهد البرق ولكنه لا يعرف القوة المولدة له، أما الملاحظات والمشاهدات العلمية المقصودة فهي تحدث وفق خطة وانتباه واع وتتبُّع دقيق، وتنطلق من موضوع وتحقق أهدافا.

تعتبر الملاحظة، والمشاهدة من الأدوات المهمة في البحث العلمي عندما تكون قابلة للتحقق منها، والملاحظة ليست هي المشاهدة مع أنهما يتدخلان كثيرا. إلا أن الحديث عن الملاحظة لا يعني تطابق مفهومها مع ما تعنيه المشاهد، في الوقت الذي تشمل فيه الملاحظة على المشاهدة باعتبارها جزءا منها، مما يجعل الحديث عن المشاهدة لا يفي بأغراض الملاحظة ومضامينها.

فالمشاهدة هي الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته، لأنها مقتصرة على العين في مشاهدة الأشكال والأفعال، وتمكن الباحث من الوصف لما يشاهده.

والملاحظة هي الربط بين المشاهد، والمسموع، لأنها الأداة المستعملة لحاستي السمع، والبصر، والعقل في وقت واحد، فيلاحظ الإنسان بأذنيه كما يلاحظ بعينيه، ولكنه لا يستطيع المشاهدة بحاسة السمع.

الملاحظة تشمل على لحظة حدوث الشيء فيلاحظ في حينها (وقت حدوث الفعل) وهذه قد تكون عن رؤية، وقد تكون عن استماع مباشر واع ومقصود، وتتفق المشاهدة والملاحظة على أهمية الحضور، لكي تتم عملية الرؤية المباشرة للمصدر ذو العلاقة بالموضوع.

المشاهدة تحتوي على المعاينة بالعين للشيء بالمشاهدة، وذلك عن طريق تفحُّصه ككل، وكجزء بنظرة نافذة. أي أن المعاينة بالمشاهدة تتم للأشكال، والصور، والأجسام، وحركتها والتعرف على مكوناتها.

إن الملاحظة تُمكِّن الباحث من استقراء التاريخ، واستنباط العبر منه، فعن طريق مشاهدة الآثار والنقوش والزخارف والوثائق، يتم التمكُّن ملاحظةً من التعرُّف على أحداث أو حضارات قد سادت وبادت. فمعركة أحد على سبيل المثال: قد دارت وانتهت من زمن المشاهدة، ولكنها باقية لزمن الملاحظة من خلال أثارها، وما كُتِب عنها؛ وكذلك أنَّ الرومان قد احتلوا ليبيا وطُردوا منها بعد اقتتال عنيد وجهاد ثمين، وكل ذلك انتهى من زمن المشاهدة، ولكنه بقي لزمن الملاحظة، من خلال مشاهدة

الآثار الرومانية وسجلات الجهاد الليبي، والوثائق الدالة على ذلك. ولهذا الملاحظة أداة مهمة جدا فهي التي تُمكِّن الباحث من التعرف على المعلومات الظاهرة، واستنباط ما يخفي أحيانا من خلال قدرة الباحث على ربط العلاقات بين المتغيرات، والتناقضات حول القضايا المطروحة للبحث والدراسة. وتستهدف الملاحظة معرفة الموضوع، وعناصره من الأفراد والمجتمعات مما يجعل الملاحظة تمكن الباحث من تفسيره الموضوع ، وفي هذه الحالة تختلف عن المشاهدة التي تشبه آلة التصوير والنسخ لأنها تصوِّر أو تنسخ المشاهدة فقط، مما يجعلنا نقول: أنَّ صورة الشيء لا يمكن أن تكون الشيء ذاته، فإنا أختلف عن صورتي، وصورتي من ورق، وأنا من صلصال، ويرتبط نجاح وفشل الباحث الملاحظ، أو المشاهد بقدراته واستعداداته ومهارته، وخبراته، وسلامة حواسه، فكلما كان الباحث أكثر قدرة على الانتباه والفطنة كانت ملاحظاته ومشاهداته ناجحة.

الملاحظة تفسيرية إلى جانب كونها وصفية، لأنها تعتمد على الحس والعقل، وتتعلق بالظاهرة، والكامن .

أما المشاهدة فهي أداة استطلاعية، وتقتصر على الوصف، أي أن المشاهد تصف السلوك، والملاحظة تصف ما يترتب عليه من ردود أفعال أو افتعالات وإنفعالات، وهي كذلك تُفسِّر بنظرة اختباريه فاحصة، وتصفه بوعي.

ولذا فالملاحظة والمشاهدة هما أداتان هامتان لوسيلة المقابلة أي من خلال المقابلة يمكن مشاهدة المبحوث وتصرفاته، ويمكن ملاحظة ردود أفعاله على الأسئلة المطروحة عليه من قبل الباحث.

أهمية المشاهدة:

1 . بها يتمكّن الباحث من الوقوف على المشاهد حقيقة مباشرة.

2 . تُمكِّن من تفحُّص المشاهد وإخضاعه للتجربة والقياس.

3 . تُمكن الباحث من تقويم سلوك المبحوثين.

4 . تمكِّن الباحث من أن يكون باحثا مشاركا.

5 . تُمكِّن الباحث من الانتقال إلى أن يصبح ملاحظا لِما شاهد من سلوك أو أعمال أو صورٍ وأشكالٍ، أي أنها تنقله من المشاهد إلى المجرد، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[4]، أي لا ينبغي الوقوف عند حد النظر إلى الإبل أو السماء أو الجبال أو الأرض، بل ينبغي أن يتعداه عقل الإنسان إلى معرفة الكيفية التي بها خلقت الإبل ورفعت السماء ونصبت الجبال وبسطت الأرض.

خطوات الملاحظة والمشاهدة:

إن للملاحظات والمشاهدات العلمية خطوات محددة يتم استخدامها في البحث والدراسة، وهذه الخطوات هي:

أ – اختيار الموضوع وتحديده وفق أهداف واضحة ومحددة، لأن نقطة الانطلاق للملاحظة أو المشاهدة هي أهمية الموضوع الذي يتم اختياره فبدون موضوع لا يمكن أن تكون الملاحظة هادفة وجادة، فالموضوع هو الإطار العام الذي تتبلور فيه الأفكار، وتستنبط منه الفروض وتتمركز فيه متغيرات مشكلة البحث، مما يجعل الملاحظة، أو المشاهدة مترسِّخة في الموضوع ومنطقة منه ومثيرة له.

ب – تحديد وحدة الاهتمام: سواء أكان فردا أم مؤسسة أم مزرعة أم مصنعا أم غيره وغيره كثير، ولكن لا يتم تحديد وحدة الاهتمام إلا بعد تحديد المجتمع الذي أخذة وحدة الاهتمام منه. وإذا كان وحدة الاهتمام فردا فينبغي أن يحدد إن كان ذكرا أم أنثى، صغيرا أم كبيرا، ثم تحديد صفاته، هل هو مدرس أم مدرسة؟ وما علاقة الصفة المستهدفة بالملاحظة والمشاهدة بنوع المهنة أو الحرفة.

---

[4] الغاشية 17 . 21.

وقد تكون وحدة الاهتمام الاثنين ذكر والأنثى، أو الذكرين أو الأنثيين، أو الطرفين، أو الدولتين، وقد تكون وحدة الاهتمام حالة زواج، أو طلاق، أو قضية دينية، أو قومية، أو حالة شذوذا جنسيا، وقد تكون وحدة الاهتمام دورا مثل دور الزوجة، أو دور الزوج، أو دور المعلم والتلميذ، مما يجعل الباحث يهتم بمشاهدة وملاحظة السلوك والفعل للاثنين المشتركين في الموضوع، مع مراعاة متغيرات اللغة، والدين، والجنسية، والمهنة، واللون، والظرف لكلا الطرفين. وقد تكون وحدة الاهتمام جماعة، قد تكون نشاطا فنيا، أو رياضيا، أو مسرحيا، أو أدبيا، أو ثقافيا، فمن خلال ممارسة الجماعة لهذه المناشط يمكن ملاحظة أفعالها وسلوكياتها والأثر المتبادل بينها. وقد تكون وحدة الاهتمام مجتمعا محليا، أو قرية، أو مدينة عندما يستهدف الباحث ملاحظة ومشاهدة الأنساق الاجتماعية، واتجاهات المجتمع واهتماماته، وتضمانه في العمل وفي المناسبات العامة، وفي البناء والعمار.

ت – تحديد الظرف المناسب لإجراء الملاحظة والمشاهدة: ولأن الموضوع يتأثر ويؤثر في الظرف الزماني والمكاني لذا ينبغي على الباحث إجراء الملاحظة، والمقابلة في الظروف الطبيعية لها، لكي يتحصل على معلومات غير متأثرة بظروف خارجية، فإذا أراد مشاهدة أو ملاحظة دور المدرس في الفصل، فلا ينبغي أن يأتي للفصل في وقت إجراء الاختبارات للطلبة، أو أثناء معاناة المدرس من زكام حاد، وإذا أراد أن يلاحظ درجة السمو التي تحدث للفنان عند انسجامه مع أنغام الموسيقا، لا ينبغي أن يتخذ مكانا مزدحما، فإن أتخذه يجد نفسه جالسا في وسط من الضوضاء والتشويش الذين لا يمكناه من المشاهدة والملاحظة الموضوعية.

ث – تحديد نوع العلاقة المناسبة الموضوع: قد تكون العلاقة بين الباحث والمبحوثين علاقة ثقة تطمئن فيها الجماعة، أو الفرد للباحث، وتتقبله وتحترمه، وتمكِّنه من الحصول على المعلومات المستهدفة بالبحث، وقد ترتقي العلاقة بين

الباحث والمبحوث إلى درجة الصداقة التي لا تخل بالمبادئ المهينة للبحث العلمي، وقد يفضِّل الباحث أن لا ترقي العلاقة إلى درجة الصداقة حتى لا تؤثر على الموضوع، مما يجعله ملاحظا ومشاهدا عن بعد ، وقد تكون العلاقة رسمية، وهكذا كل شيئا يتحدد موضوعيا.

ج – تحديد كيفية وأسلوب التسجيل: إن الملاحظة العلمية دقيقة وكثيرة ومترتبة على بعضها بعضا مما يستوجب تسجيلها حتى لا تضيع بدون جدوى، إلا أن التسجيل مسألة فنية من حيث التقنية، ومن حيث الأسلوب، فقد يستوجب الموضوع أن يكون التسجيل أثناء زمن حدوث الفعل أو السلوك المشاهد والملاحظ، وقد يتطلب الموضوع أن يكون التسجيل في نهاية المشاهدة والملاحظة، وقد يكون التسجيل بعلم المبحوث، وقد لا يكون بعلمه.

الميز والمآخذ على أسلوب التسجيل:

1- من ميز التسجيل أثناء زمن الملاحظة أو المشاهدة أن الباحث يسجل ملاحظاته في وقتها، وبالتالي لا ينسى شيئا منها، ولن تضيع منه أية مشاهدة قد حصلت، وهي مهمة جدا في تفسير السلوك، والفعل الاجتماعي، وكذلك فالتسجيل يزوِّد الباحث بالمعلومات المهمة للبحث.

2- ومن عيوب التسجيل: قد يجعل الباحث منغمسا في تفسير ما يشاهده أو الانهماك في التسجيل المطوَّل، مما يجعله غافلا عن بعض المشاهدات والملاحظات التي قد وقعت أثناء التسجيل وقد لا تتكرر وهي هامة أيضا.

ومن العيوب قد يتحسس المبحوث من التسجيل ويتخوف من نتائجه وبالتالي قد يمتنع عن ممارسة بعض الأفعال أو السلوكيات، أو قد يتصنَّع سلوكا ليس من طبيعته لأجل أن يجرَّ الباحث خارجا عن الموضوع ومثار اهتمامه، وكذلك قد يتوقع أن الباحث متجسسا عليه فتهتز الثقة بينهما.

ميز الملاحظة والمشاهدة:

1- تمكن الملاحظة، والمشاهدة الباحث من رؤية المبحوث، والاستماع إليه.

2- مشاهدة الأفعال والسلوكيات المختلفة، وملاحظة التفاعلات، والانفعالات والنوايا والمقاصد في وسطها الطبيعي الذي لا تحققه المعامل والمختبرات.

3- تعطي الباحث فرصة للتأكد من الأشياء الممكن مشاهدتها.

4- تمكِّن الباحث من التعرف على مشاكل المبحوثين واستقراء ردود أفعالهم.

5- إنها وسيلة لاختيار إجابات المبحوثين التي أدلوا بها عن طريق الاستبيان أو استمارة المقابلة، وذلك لأن الفعل قد ينطبق مع القول، وقد يخالفه.

المآخذ على الملاحظة والمشاهدة:

1- قد لا يعبر الفعل والسلوك المشاهد عن النوايا والمقاصد الباطنية، أي قد لا تكون هناك مصداقية بين الفعل والموضوع.

2- قد تدخل آراء الباحث الخاصة في تفسير الموضوع أو الأفعال المشاهدة والملاحظة، وإصدار تعميمات أو أحكاما عليها.

3- قد يتأثر الباحث برؤية الجماعة خاصة إذا كانت منغلقة على ذاتها مما يجعل الدراسة فاقدة لمبدأ المهنة العلمية والموضوعية، كأن يشارك جماعة دينية متزمِّتة، أو جماعة متطرِّفة، فإذا تأثر فإنه يكون منحازا لرؤية خاصة، وإذا مارس أفعالهم فقد يكون تحت طائلة القانون مجرما.

4- إن الملاحظة بالمشاركة قد تتعارض مع القوانين، والأعراف، والأديان، لأن مشاركة الباحث للجماعة التي تتعاطى المخدرات في ارتكاب الفعل تجعله في قائمة المنحرفين، وليس ضمن قائمة البحاث العلميين، وكذلك مشاركته الشواذ جنسيا في ارتكاب الفعل لا يعتبر ميزة للملاحظة والمشاهدة بالمشاركة بل عيبا أخلاقيا لا يرتضيه المجتمع السوي.

5- لا تفيد المشاهدة والملاحظة أحيانا في دراسة الأزمات والاختلافات الأسرية.

6- خدعة الحواس (النظر والسمع) مثل الطبيب الذي أحضر بولا سكريا وغمس أحد أصابعه فيه ليتذوقه أما طلبة كلية الطب، وطلب منهم أن يفعلوا ما فعل ليتذوقوه واحد بعد الآخر، فقاموا بذلك عن مضض، وبعد انتهاء التجربة اتفق الجميع أن البول السكري حلو المذاق، فابتسم الطبيب قائلا:

لقد فعلت ذلك لأعلِّمكم الدقة في الملاحظة فلوا شاهدتموني بعناية لكان من الممكن لكم ملاحظة ما فعلت، لقد غمست إصبعي الأول في البول بينما وضعت أصبعي الثاني في فمي[5].

[5] عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1975م . ص 330 .

الفصل العاشر

المقابلة

المقابلة: interview

المقابلة عملية مهنية يتم الاستعداد لإجرائها وفقا لأهداف واضحة ومحددة مع المبحوثين (فردا كان أم جماعة أم مجتمعا) وهي إحدى وسائل جمع المعلومات والبيانات من مصادرها، تتم بين طرفين الباحث أو الأخصائي الاجتماعي والمبحوث أو العميل أو أحد الأطراف الأخرى ذات العلاقة بالحالة المبحوثة، وفقا لموضوع محدد، منطلقا من أسباب ومحققاً لأهداف. كما أنها فن مهني يعتمد على الخبرة التي تكسب الباحث الفطنة والمهارة التي تُمكِّنه من التعرُّف على الظواهر والحالات وتحقق نتائج ومعالجات. فيها تطرح الأسئلة حتى يتم التعرُّف على المعلومة من مصادرها، وبها تُشخَّص الحالات وعن طريقها يتم التمكن من العلاج المناسب المؤدي للإصلاح.

وتهدف المقابلة العلمية إلى التعرف على الظاهرة أو الموضوع، بالبحث عن العلل والأسباب، من خلال التقاء مباشر بين الباحث والمبحوث وسواء أكان الباحث فردا أم جماعة وحسب علاقتهم بالموضوع، وتطرح ف المقابلة أسئلة تهدف إلى استيضاح الحقائق من ذوي العلاقة بالحالة أو الظاهرة، وتشخَّص فيها المعلومات بربط العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة لإظهار قيد البحث والدراسة على شخصية المبحوث.

المقابلة هي فن مهني يعتمد على الخبرة التي تزود الباحث بالفطنة والمهارة في التعرف على الظواهر والحالات والوصول إلى نتائج ومعالجات تمكن الفرد أو الجماعة من تأدية مهامهم وواجباتهم الاجتماعية والإنسانية بود وحرص ومحبة.

وفلسفة القابلة هي التعرف على المواضيع والأفراد والأشياء عن كتب دون وسطاء قد يساهموا في تمييع الحقائق والمعلومات، سواء بالنقص أو بالزيادة.

الأسس الموضوعية التي تُراعى عند إجراء المقابلة المهنية:

على الباحث الاجتماعي والطبيب الاجتماعي والنفسي مراعاة مجموعة من الأسس أثناء إجراء المقابلات سواء أكانت لتجميع المعلومات أم لتحليلها أم لتشخيص الحالة أم للعلاج ومن هذه الأسس الآتي:

1- تقبل أي ظاهرة تحدث وتقبل التعامل معها:

يعتمد هذا النوع من التقبل على أن قيمة الإنسان غالية لا ينبغي التفريط فيها أو الاستهانة بها، فكلنا نعرف أن السرقة عيب، وتناول المخدرات عيبا محرما، وارتكاب الجرائم عيب محرما، ومع ذلك نقبل التعامل مع مثل هذه الحالات من أجل تصحيحها إلى الصواب، لأننا إذا لم نقبلها عند حدوثها فإننا نفقد أسس القضاء عليها، ونكون قد ساهمنا في زيادة انتشارها في المجتمع لدرجة إعجازنا عن اجتثاثها منه. ويتم تقبل الباحث للمبحوث أو المريض اجتماعيا بالكلمة الطيبة، ويتقبله كما هو لا كما يحب أن يكون عليه. لأن ما ينبغي أن يكون عليه هو الهدف الذي يسعى الباحث إلى تحقيقه أو الوصول إليه.

إذاً يعتمد تقبل الباحث للمبحوث على الكلمة الطيبة، وتتبع مبادئ المهنة علميا من أجل التعامل مع كل الحالات بمراعاة الفروق الفردية لكل حالة والخصوصيات الثقافية والدينية والاجتماعية، والظرف الزماني والمكاني.

ومن ثم يتم التعامل مع الحالات والأفراد الذين تجري معهم المقابلات للتعرف على آثار الظاهرة أو المشكلة على شخصية الفرد، أو الأطراف ذوي العلاقة بها.

2- عدم استغراب أي سلوك شاذ قد يقع من الأفراد حتى ولو كانوا يظهرون أنهم قدوة حسنة:

الأفراد قد يقع منهم الفعل الشاذ وقد يقع عليهم، والفعل الشاذ قد يقع بين الأخ وأخته أو أمه أو الأب وابنته، أي قد يقع بين المحارم في الدين الإسلامي.

ولهذا لا ينبغي أن يستغرب الباحث الاجتماعي أي سلوك شاذ يقع في المجتمع لأن في المجتمع ضالين، ومعتدين آثمين نهاهم الله عن ارتكاب الأعمال الخسيسة

والمحرَّمة ومع ذلك يرتكبونها. وعند إجراء مقابلة مع ضالٍ أو مجرمٍ قد يلاحظ الباحث عليه ندما شديدا (ندما من مرتكب الفعل الشاذ)، وهنا قد يتساءل البعض: لماذا؟

لأن الأفعال الشاذة تُرتكب في حالة الغياب عن ذات المجتمع وضمير الأمة المتكوَّن من دينها وعرفها (فضائلا وقيما)، فيكون الإنسان في غيبوبة عن معرفة ما يجب والوقوف عنده ومعرفة مالا يجب والابتعاد عنه.

وعند إجراء الباحث مقابلاته المهنية مع المنحرف يصح من ويعود إلى عقله وضميره ليُحكِّمه حينها يعرف أن نفسه قد أرتكب الإثم الذي لا يُغفر فيكون في حالة ندم.

إذن ما هو العلاج؟

العلاج هو تفطين العقل والضمير من الغفلة إلى معرفة الحقيقية، ومعرفة الحقيقة تتضح بنواهي الدين والتقيد بقيم المجتمع وأعرافه وقوانينه تبيانا للحق من الباطل وذلك بتصحيح المعلومات المنحرفة عن طريق إجراء عدد من المقابلات المتلاحقة التي يتم فيها تحديد أسباب الانحراف وإمكانية علاجه وتبيان المعلومات الخيِّرة التي يرغبها المجتمع ويحترم من يقوم بها ويقدره، لأن (المنحرفين يحبون السعادة ويبحثون عنها مثلما يحبها الأسوياء، إلا أن الفارق بينهما تلك المعلومات التي تحصلوا عليها، وأدت بهم إلى نتائج خاطئة فوقعوا في الانحراف الذي أبعدهم عن بلوغ السعادة، وإذا لم تصحح معلومات المنحرف الخاطئة بطريقة علمية ومهنية فقد يتكرر منه الانحراف.

ولتوضيح ذلك نسأل كيف ينمو الانحراف في طريق السعادة؟

إنه ينمو مع نمو الإنسان، ومن بين غرائزه، وأحاسيسه، ومشاعره التي تنمو فيها عناصر الحق والمحبة والعدل والحرية والجمال، والفضيلة والمودة.

3- عدم اليأس من معالجة الظواهر الاجتماعية:

مما لا شك فيه أن التعامل مع الأفراد حتى المعافين مسألة ليست هينة، فما بالك مع المنحرفين والذين يعانون من مشاكل نفسية واجتماعية.

والعلوم الطبية متقدمة في هذا المجال فهناك أمراض في الطب البشري عندما تكتشف قد يكون من الميئوس الشفاء منها، ومع ذلك نجد الأطباء والبحاث يحاولون باستمرار اكتشاف أدوية لعلاجها، ولهذا يُسخَّر البحث العلمي بكل جدية من أجل اكتشاف أمصال أو مضادات للقضاء على المرض قبل أن يقضي على حياة الإنسان.

كذلك الباحث والأخصائي الاجتماعي والأخصائي النفسي لا ييئسوا من البحث والدراسة العلمية التي تفيد في إصحاح الأفراد وبيئتهم الاجتماعية فمن خلال المقابلة الأولى والمقابلة الثانية قد يحس الباحث والأخصائي بصعوبة مهنية تجاه الحالة أو الفرد موضوع الدراسة، ولكن الباحث الخبير يعرف جيدا أن المقابلات الأولية لا يُعوَّل عليها كثيرا لأنها تفتقد إلى جوانب الطمأنينة والثقة، فهي شكية لا ثقة فيها، ولذا فإذا لم يُزال الشك من المبحوث تجاه الباحث، وإذا لم يطمئن له ويتقبله فلن يستجيب له، وقد يظهر ما لا يبطن، أو أنه يقول ما ليس له علاقة بموضوع المقابلة.

لذلك ينبغي ألا ييأس الباحث من دراسة أي ظاهرة أو مشكلة خاصة إذا لم يمض عليها زمن التهدئة، ويقصد بزمن التهدئة الفترة الضرورية لامتصاص الغضب أو التشنج من أجل الفتور والسكينة.

عليه ينبغي على البحاث والأخصائيين ألا ييأسوا أو يكلوا من أداء واجبهم الاجتماعي العظيم في التعامل مع الحالات والأفراد والمجتمعات من أجل بقاء النوع الإنساني على الود والمحبة، ويكون المجتمع منتظما على الحرية والعدل والمساواة ويكون أفراده مُتَّقِين لا غُلَّ في صدورهم بل أخوة متحابين، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آَمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى

سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}[1]. إذن وسيلة المقابلة هامة جدا في إزالة الغل من الصدور التي امتلأت به، وتطهيرها منه هو الذي يجعل أفراد المجتمع في تسامح ومودة وعندما يتقابلون وهم لا غل بينهم يصبحون إخوانا متحابين؛ ولذلك تعتبر المقابلة أداة لإصلاح ذات البين.

4 – مراعاة جنس الباحث والمبحوث: من حيث الآتي:

أ – تأثيرها على الموضوع: عندما يتعلق الموضوع أو جوانب منه بمعلومات لها صلة بالأنوثة أو الذكورة، أو بالعلاقات الجنسية، أو الشذوذ الجنسي، يفضل أن يكون الباحث من نفس نوع المبحوث لأن هناك قضايا يمكن تناولها بين الإناث، ولا يمكن تناولها مع الذكور بشكل واضح، و كذلك هناك قضايا يمكن تناولها بين الذكور، ويصعب تناولها مع الإناث.

ب – تأثيرها على الباحث والمبحوث: قد تتكون علاقة عاطفية بين الباحثة والمبحوث أو بين الباحث والمبحوثة مما يؤثر على طبيعية البحث أو الحالة موضوع الدراسة؛ وذلك لأن العلاقة العاطفية يسيطر عليها الجانب الشخصاني أكثر من الجانب العلمي والمهني، وحتى لا تتأثر الدراسة بذلك، ينبغي أن تترك الحالة إلى باحثة أو باحث آخر لاستكمال الدراسة بموضوعية يُراعى فيها قواعد المنهج وطرق البحث وأساليبه ووسائله العلمية.

ويلاحظ عند مراعاة جنس الباحث والمبحوث، أنه ليس بالضرورة أن يتم هذا الفرز النوعي في الدراسات المسحية، والاستطلاعية والميدانية التي تتناول البحث في المواضيع التي تتساوى فيها أهمية الطرفين ولم تكن تحتوي على أسئلة تستوجب الفرز النوعي بين الجنسين.

5 – **المحافظة على سرية المعلومات المتعلقة بالأفراد وقضاياهم الخاصة:**

---

[1] الحجر ، الآية 45 ، 46 ، 47 .

هناك معلومات مهمة وقد لا يدلي بها المبحوث خوفا من النتائج المترتبة عليها، والتي قد تدنيه قانونا، أو تفقده مكانة اجتماعية، أو إنها تنقص من شأن الآخرين الذين تربطه بهم علاقة أسرية، أو رفاقية أو جيرة، أو عقيدة.

فإذا أحس المبحوث من الباحث بالآمان والصدق لما يقوله فإنه سيستجيب إليه، ويدلي له بمعلومات خاصة، وأسرار من أسراره التي جعلت منه موضوعا للبحث والدراسة، مما يجعله يقترب من الباحث آملا منه إنقاذه، أو إخراجه من الأزمة التي فيها، أو المواقف الذي يعاني من نتائجها السلبية.

لذلك ينبغي على الباحث المحافظة على المعلومات وسريتها وإحساس المبحوث بذلك كي يزداد في التجاوب معه، ويطمئن إليه مما يُمكِّن الباحث من تشخيص الحالة والوصول إلى نتائج علمية تساهم في إصحاح الحالة أو البيئة الاجتماعية.

شروط المقابلة:

1- تحديد الموضوع تحديدا دقيقا: من حيث المشكلة التي يتمركز عليها ومن حيث الأهداف والفروض وكذلك المجالات الأساسية والوسائل التي تُمكِّن الباحث من تجميع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالة لأجل نتائج موضوعية ومعالجات تُسهم في إعادة الأفراد إلى بيئاتهم الاجتماعية أفرادا أسوياء يؤدون وظائفهم من خلالا حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات يتم حمْلها.

2- وضوح الهدف من إجراء المقابلة لدى الباحث والمبحوث: أي ينبغي أن يعرف الباحث جيدا الأهداف التي يسعى إلى الوصول إليها أو تحقيقها بحيث لا يضل طريقه، فالباحث بدون أهداف واضحة ومحددة كمن يقود سيارة في الليل بدون إضاءة، ولهذا المبحوث إذا لم يعرف الأهداف من وراء المقابلة، لا يستجيب للباحث، ولذا فالهدف هو الدليل الذي يرشد الباحث والمبحوث إلى مرامي البحث ومقاصده بموضوعية.

3- وضوح المفاهيم: لأن المفاهيم هي اللغة المستعملة بين الباحث والمبحوث إذا لم توضَّح يكون هناك لبس في المعاني والألفاظ وما تدل عليه المفاهيم أو المصطلحات، فوضوح المفاهيم يُسهِّل عملية الإجابة والاستجابة من المبحوث، ولأن أكثر المفاهيم تحتوي على أكثر من معنى لذا ينبغي توضيحها للمبحوث، وإذا استعمل المبحوث ألفاظا غير واضحة أو غير مفهومة لدي الباحث عليه أن يطلب تفسيرها من المبحوث دون أن يحسسه بالملل، أو القلق وعدم الرضا.

4- مراعاة الظرف الزماني للمقابلة: ينبغي ألا تكون المقابلة مفاجئة دون علم المبحوث بموعدها، بل ينبغي أن يحدد الموعد مسبقا ومع ذلك قد يؤجل هذا الموعد إذا استجد على الباحث أو المبحوث ظرفا لا يسمح بإجراء المقابلة.

فإذا كان المبحوث يمارس نشاطا رياضيا أو فنيا أو أدبيا، وجاء الباحث يطلب منه ترك هذا النشاط لإجراء المقابلة، فإن الوقت الذي اختياره الباحث غير مناسب، فقد يترك المبحوث ممارسة النشاط مؤقتا ولكنه قد يكون على مضض طوال فترة المقابلة، وهذا يؤثر على درجة تفاعله واستجاباته للباحث وللموضوع.

وقد يكون المبحوثان زوج وزوجته وتجري لأحد أبنائهما عملية جراحية وقت حضور الباحث لإجراء المقابلة، فإذا طلب منهما أو من أحدهما أن يبدأ معه المقابلة يكون الباحث على خطأ كبير لأنه لم يراع الظرف النفسي والظرف الزماني للمبحوثين وكذلك الظرف الأخلاقي والمنطقي والموضوعي.

5- مراعاة الظرف المكاني: بما أن المقابلة تتطلب انتباها كبيرا من الباحث وإصغاء وتتبعا لكل ما يقوله المبحوث فإن ذلك يستوجب اختيار آماكن مناسبة يتوفر فيها الهدوء والاطمئنان.

فإذا لم يكن المكان هادئا ببعده عن الضوضاء أو الحركة العامة أو أماكن ممارسة الأنشطة فإن ذلك يؤثر على تركيز كل من الباحث والمبحوث. وأحيانا المبحوث لا

يرغب أن يراه أحد في أماكن التحقيق أو المقابلات العامة مما يتطلب البعد عنها حتى لا تؤثر سلبيا على استجاباته.

وينبغي أن لا تكون المقابلة في المكاتب الخدمية التي يتردد عليها كل من له مصلحة أو خدمة مما يقلق المبحوث ويشتت انتباه الباحث، وعندما يسترسل المبحوث في إعطاء المعلومات تكون مهمة الباحث الإصغاء الجاد، ولكن إذا لاحظ المبحوث أن الباحث يقاطعه بشكل يؤثر على انسياب المعلومات التي يرى أنها هامة حسب استفسار الباحث له، فإذا لاحظ المبحوث كثرة الاتصال الهاتفي للباحث أثناء إجرائه المقابلة معه فيكون غير مباليا بالموضوع وغير متحمس للمقابلة في هذه الأماكن التي تكثر فيها الضوضاء، وتُعرِّضه إلى عدم الإحساس بسرية موضوعه وتؤدي إلى عدم ثقته في الباحث.

6- مرونة الأسئلة وتنوعها: المقابلة المهنية ينبغي أن تتميز بعناصر التشويق وعدم التقيد بصيغ جامدة تحسس المبحوث بالملل والقلق، وأن لا تكون شرطوية (بوليسية) من حيث الأسلوب في الصياغة والتعبير وأن تكون قابلة للتعديل والتغيير إذا لم تحقق تقبل الباحث والمبحوث.

وأن تكون صيغة الأسئلة متنوعة حتى لا يشعر المبحوث أو المبحوثون بالملل وأن تكون مهذبة التعبير، وأن لا تقتصر على نوع واحد من الأسئلة، كأن تكون كل الأسئلة مقفلة، أو كل الأسئلة مفتوحة بل يُفضَّل تحديد الصيغ وفق الموقف، وأهداف المقابلة وفروضها العلمية، أي ينبغي أن تكون حسب الموضوع.

رأي المبحوث مهم حين تصاغ الأسئلة المفتوحة، وأهداف المقابلة قد تتطلب صياغة الأسئلة المقفلة أو المقفلة المفتوحة في وقت واحد؛ وأن تكون الأسئلة مباشرة عند الموقف الذي يتطلب صياغة وعرضا مباشرا ولا يؤثر على نفسية المبحوث أو يثير شكوكه في الموضوع أو في الباحث مثل الأسئلة التي تتعلق بالعمر أو المستوى التعليمي أو الوظيفة أو الحالة الاجتماعية.

ولا تقتصر الأسئلة عند هذا الحد المباشر بل تتعداه إلى الأسئلة غير المباشر في ما يتعلق بنوع الحالة أو الانحراف، أو الممتلكات والدخول الخاصة، أو العلاقات العاطفية، ودوره المبحوث في تنفيذ الموضوع الانحرافي إذا كانت الحالة المدروسة انحرافا بسيطا أو جريمة مركبة.

7- تحفيز المبحوث على الاستجابة: يتحفَّز المبحوث للبحث والدراسة عندما تتضح أمامه أهمية الدراسة والبحث بأنها من أجله، ولصالحه باعتباره فردا مهما في المجتمع، وأن كل البشر قد يتعرضون إلى الخطأ بإرادة أو بغيرها بوعي أو بدون وعي، والخطأ قد يكون نتيجة توفر معلومات خاطئة أو لعدم توفر أي معلومات عن الموضوع وهذا بالإمكان إصلاحه من خلال تصحيح المعلومات الخاطئة، أو بتوفر معلومات سليمة وواضحة.

ويفضل أن يجيد الباحث الإنصات لكل ما يقوله المبحوث ويترك له حرية التعبير التي تخفف من همومه خاصة في المقابلة الأولى التي يتم فيها إحساس المبحوث بأهميته من خلال تشجيع الباحث له بإنصات واهتمام عليين، ومن خلال طمأنته بإمكانية الإصلاح.

وينبغي أن يُنبه الباحث المبحوث بأن لا يستهزئ أو يستهين بمكانته في المجتمع، وأن يعرف أن المجتمع في حاجة لجميع أفراده، وأن المجتمع قادرا على إعطاء فرص لهم، وهم قادرون على تصحيح أخطائهم التي وقعوا فيها نتيجة المعلومات الخاطئة التي تشربوها.

كل هذه تساعد المبحوثين على تقبل حالاتهم وتحفِّزهم على إصلاحها من خلال استثارة الدافع للاستجابة التي تتحقق بدور الباحث وخبرته المهنية والعلمية وقدرته على خلق مناخ يُمكِّن المبحوث من التفاعل مع الموضوع والباحث.

8- الانتباه ورحابة الصدر: قد تكون الدراسة مستهدفة حالات سوية وقد تكون مستهدفة حالات غير سوية أو شاذة ولكل منها اعتبارات تميزها عن الأخرى من

حيث الظرف الشخصي أو الظرف العام، فالحالات السوية كثيرا ما تكون الأسئلة الموجَّهة إلى عناصرها مباشرة، ونتائجها غير محرجة للمبحوث، أمَّا الحالات غير السويَّة كثيرة ما يتعمد أصحابها الالتجاء إلى الأساليب الدفاعية والملتوية والتهرب من الإجابات المستهدفة بالاستفسارات الباحث.

وفي كلا الحالتين ينبغي أن يتميَّز الباحث برحابة الصدر، والانتباه الجاد لما يقوله المبحوث أو المبحوثون أثناء المقابلة والذين قد يكون من بينهم من يعاني من الحالات الآتية:

أ- سرعة الإجابة: بعض الأفراد تكون إجابتهم على الأسئلة سريعة جدا لدرجة إدغامهم بعض الحروف أو بعض الكلمات وبسرعة قد تجعل الباحث غير قادرٍ على تتبع ما يقوله المبحوث إذ لم يكن جيد الانتباه، وله القدرة على تقبل هذا النوع من الحالات والتعامل معها بلين ومنطق وهدوء.

ب- بطء الإجابة: هناك بعض آخر من المبحوثين بطيئي الإجابة، وبدرجة هدوء عالية وفتور كبير كأن يخرج المبحوث الكلمة ويترك فترة زمنية لإخراج الكلمة أو الجملة التي تليها، وقد تكون هذه طبيعته، وقد تكون مصطنعة من أجل استفزاز الباحث، ومضايقته بذكاء المبحوث وقدرته على التلاعب بأحاسيسه مما يستوجب الانتباه لمثل هذه الحالات وأخذها في الاعتبار مع فائق الحيطة والحذر.

ت – المعاناة من التأتئة: يختلف بطء الإجابة عن الذي يعاني من التأتئة من حيث إخراج الكلمات وعدم وضحها، فالأول يستغرق زمنا ما بين الكلمة والتي تليها، أمَّا الثاني يستغرق زمنا في إخراج الكلمة الواحدة مما يجعله يحتاج إلى وقت أكثر من غيره أثناء إجراء المقابلة معه، والمبحوث لا يعتبر هذا الوقت تضيعا للجهد الذي يبذله الباحث من أجل استقراء حالته ودراستها دراسة علمية.

ث – ضعف السمع: قد يكون من بين المبحوثين ضعاف السمع، أوقد يكون المبحوث الوحيد المستهدف بالمقابلة ضعيف السمع، مما يستوجب من الباحث

التحدث بصوت عال وتكرار النطق أحيانا أكثر من مرة لعدم وضوح الكلمات عند المبحوث، وأن لا يحسسه بالضيق منه بظهور علامات عدم الانبساط على وجه الباحث أو صدور كلمات غير حسنة قد تقع في سمع المبحوث فتضايقه وتكون حاجزا بين تفاعلهما وعائقا لاستكمال الدراسة أو البحث.

9- عدم الاستهزاء بالمبحوث: لكل فرد ظروف خاصة، وإمكانيات مختلفة وقدرات واستعدادات جعلت بين أفراد المجتمع فروقا فردية، وجعلت منهم الفقير ومشبع الحاجة والغني، وجعلت منهم المبصر وفاقد البصر، والأعرج وسوي البنية، وجديد الملابس، ورث الملابس، كل هذه وغيرها ينبغي ألا تجعل الباحث يستهزئ بالمبحوث، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}[2]

10 . تسجيل إجابات المبحوثين: تُسجل إجابات المبحوثين حتى لا تضيع المعلومات التي تم الاستماع إليها من مصادرها، ولذا ينبغي أن تسجل بوضوح، حسب خطة علمية واضحة الأسباب والأهداف ويراعى أثناء التسجيل ظروف المبحوثين ودرجة سماحهم للباحث بتسجيل كل ما يقولونه أو يعبِّرون عنه، وحسب نوع الحالة ودرجة تقبل المبحوث لحالته أو مشكلته وتقبُّله للباحث يتم تحديد زمن التسجيل، فقد يكون التسجيل أولا بأول حتى لا تضيع المعلومات والبيانات التي يدلى بها المبحوث.

ويؤخذ هذا النوع أنه قد يشك المبحوث في الباحث إذا لم يتأكد من حرصه على سرية المعلومات التي يدلى بها إليه.

---

[2] الفتح 17.

وقد يكون التسجيل في نهاية المقابلة لتفادي حساسية المبحوث من التسجيل أثناء المقابلة، ويؤخذ على هذا النوع أن الباحث قد ينسى شيئا من المعلومات التي قالها المبحوث وهي هامة لدراسة حالته أو لتشخيصها وعلاجها.

وقد يستعين الباحث بالوسائل التقنية كأجهزة التسجيل المسموعة والمرئية أثناء المقابلة، سواء أكانت بعلم المبحوث أم بدون علمه شريطة أن لا يحس بأن الباحث يتجسس عليه إذا اكتشف جهاز التسجيل دون أن يعلم مسبقا بذلك أو أنه لم يؤخذ رأيه بهذا الخصوص.

لذلك يفضل أن تكون المقابلة علمية تراعي أحاسيس المبحوث وخصوصياته، والارتقاء به إلى معرفة الأهمية من تسجيل المقابلة معه حتى يتقبل الدراسة ويصل الباحث إلى تحقيق أهدافه من دراستها.

وحسب الموقف والظروف ودرجة التفاعل يتم التسجيل المقابلات وهذه متروكة التقدير من قبل الباحث وخبراته التي تفيد المقابلة.

أما في المقابلات المقننة والتي تستهدف دراسة مسحية يقوم بها الباحث وفريق من المساعدين المدربين فتعد الأسئلة مسبقا وتختبر استمارة المقابلة قبل تعميمها على مجتمع الدراسة أو عينة استطلاع الرأي العام أو أي عينة يكون من اختيارها لأجل التعرف على مؤشرات الظواهر المدروسة.

على أن تكون الأسئلة المطبوعة واضحة اللغة، والأسلوب والمعنى، ولا تسمح بالفتاوى المختلفة من فريق البحاث المساعدين حتى لا تكون الإجابات عليها متضاربة من قبل المبحوثين.

أهمية المقابلة:

1 ـ إنها تُمكِّن الباحث من الالتقاء المباشر بمصادر المعلومات وذوي العلاقة بالحالة، دون وسيط قد لا يكون ناقلاً أمينا للمعلومات والبيانات .

2 ـ إنها تفيد في جمع المعلومات والتحليل والتشخيص والعلاج والتقييم والتقويم للحالات النفسية وسوء التكيف والتوافق الاجتماعي.
3 ـ إنها تُمكِّن الباحث من استقراء ردود أفعال العملاء والتغيرات التي تطرأ على وجوههم أو حركاتهم من خلال استقراء علامات التفاعل والانفعال وردود الأفعال المنعكسة على سماتهم.
4 ـ تعتبر المقابلة وسيلة مهمة لتحقيق التنفيس الوجداني عن المبحوث أو العميل وهمومه.
5 ـ تسمح للباحث والمبحوث أو المبحوثين على التساوي من حيث وجود فرص لتصحيح المعلومات الخاطئة والاستفسار عن أي لبس أو غموض قد يعلق بالفكرة أو السؤال المطروح أثناء المقابلة العلمية.
6 . تفيد في تكوين انطباعات تشخيصية غير يقينية وخطوات علاجية مبدئية عن حالة العميل في اللقاءات الأولى، بما يُسهِّل فيما بعد عمليات التشخيص والعلاج النهائي.

أنواع المقابلة:

المقابلة من الناحية المهنية هي واحدة، إلا أن أسالبها تتعدد وتتنوع من باحثٍ لأخر، ولذا فهي تختلف من حيث الاستعمال المهني ومجالات التخصص إلى خمسة أنواع هي:

1 . المقابلة من حيث الأسلوب، وتنقسم إلى نوعين:

أ – المقابلة المرنة: هي المقابلة التي تتميز بروح المودة بين الباحث والمبحوث فردا أم جماعة، وقد ترتقي العلاقة بينهما إلى درجة الصداقة غير المؤثرة على أداء المهنة خاصة إذا كانت الحالة المدروسة مطوَّلة وتحتاج إلى تتبع التغيرات الطارئة عليها.

والمقابلة المرنة تحقق مناخا للتفاعل بين الأخصائي والعميل ولا تعد أسئلتها بشكل نهائي مسبقا بل تكون الاستفسارات المقدمة للعميل قابلة للتوضيح والشرح، والتغيير، والتهذيب كلما تطلَّب الأمر ذلك من الأخصائي.

وتأخذ شكل الحديث العادي البسيط في تناول القضايا مع العميل ويُتبع هذا النوع من المقابلات في دراسة الحالات الفردية والجماعية والمجتمعية، مثلما يُتَّبع أيضا في الدراسات النفسية والاستطلاعية، وكذلك سوء التكيف الاجتماعي، ويهتم الأخصائي الاجتماعي أو الباحث بتسجيل المقابلة حسب الموقف والظروف ودرجة تقبل العميل للأخصائي وتفاعله معه، وقد يتم التسجيل أولا بأول، وقد يتم التسجيل في نهاية المقابلة.

ب . المقابلة المقننة:

هي المقابلة التي تعد أسئلتها مسبقا بشكل مقنن من حيث اللغة والأسلوب، وتصاغ بشكل نهائي في استمارة مقابلة يتقيد المبحوث بالإجابة عليها كتابيا وقد يكون مع الباحث فريق من المساعدين المدربين خاصة في الدراسات المسحية التي تتطلب عددا كبيرا من البحاث المساعدين.

تطرح أسئلة استمارة المقابلة مباشرة على المبحوث لكي يجيب عليها شفويا ويتقيد الباحث بتسجيل تلك الإجابات أثناء إجراء عملية المقابلة، وبعلم المبحوث دون إخفاء عنه.

2 . **المقابلة من حيث الهدف والغرض والغاية:** وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

أ . مقابلة تجميع المعلومات والبيانات:

هذا النوع من المقابلات قد يكون من أجل اختيار أطباء أو فنيين، أو من أجل اختيار مدربين، أو قد تكون من أجل دراسات استطلاعية، أو حالة انحراف، أو مشكلات عمل أو أسرة، ويهتم الباحث أو أخصائي خدمة الفرد في دراسته للحالات

الفردية بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات ذات العلاقة المباشرة بمشكلة العميل والمعلومات والبيانات الثانوية التي لها صلة بالحالة بشكل غير مباشر.

فبعض البيانات والمعلومات يتم التعرف عليها من ملف الحالة، أما في حالة عدم استيفائها، فيهتم الباحث بمعرفتها من العميل شخصيا أثناء المقابلة وهي: تاريخ الحالة، والمستوى التعليمي للفرد والمستوى الاقتصادي ونوع العمل والمهنة أو الحرفة، والديانة والجنسية، وعدد أفراد الأسرة ممتدة كان أم نواة، والنوع ذكر أم أنثى، فكل هذه المعلومات هامة ولا حرج في إعطائها ويمكن تسجيلها في المقابلة الأولى لأنها لا تحتوي على عناصر الحرج.

ثم ينتقل الباحث أو الأخصائي الاجتماعي إلى تجميع المعلومات المتعلقة بالحالة، من حيث نوع الحالة اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية أم نفسية أم ثقافية أم ذوقية، وكذلك معرفة عمر الحالة وزمن وقوعها، والبحث عن المتغيرات المتداخلة التي أنتجتها سواء أكانت (سرية) أم جاءت نتيجة دور قام به أحد أفراد الأسرة، أم نتيجة ردود أفعال أم نتيجة إهمال، أم مرض أم إجبار من آخرين سواء أكانت له علاقة بهم أم لم تكن.

وينبغي أثناء هذه المقابلة مراعاة فلسفة المؤسسة وخدماتها وشروطها ولوائحها وقوانينها حتى يتسنى للأخصائي معرفة عمَّا إذا كانت الحالة المدروسة تتوافق معها أم لا، لكي يُمكِنه تحويل الحالات التي لا تتناسب وفلسفة المؤسسة إلى مؤسسات أخرى أكثر فائدة ومنفعة.

وعلينا أن نعرف أن كل البحوث والحالات بمختلف أغراضها وأهدافها وغاياتها تعتمد أساسا على تجميع المعلومات والبيانات، ولا يمكن إجراء أي دراسة وتكاملها إلا بالمعلومات. وعلى ضوء المعلومات وطبيعة الحالة يصدر القرار أو الحكم أو العلاج سواء أكان من القاضي أم الطبيب أم الأخصائي الاجتماعي، أو الأخصائي النفسي.

ب – المقابلة التشخيصية: diagnosis interview

تعتمد المقابلة التشخيصية على المعلومات التي تم تحليلها عن الحالة أو الظاهرة أو المشكلة ويتم التركيز فيها على العوامل المتداخلة من حيث تباينها وتبيان العلاقات التي تربطها وحدة واحدة والتي أظهرت الظاهرة أو الحالة من الكمون إلى العلانية السلوكية، مما جعل مرتكبيها نزلاء مؤسسات الرعاية والخدمة الاجتماعية.

التشخيص: diagnosis عملية مهنية يتم من خلالها مقارنة النتائج المبدئية التي وصل إليها البحَّاث أو الأطباء أو الأخصائيون الاجتماعيون والنفسيون من عملية تحليل المعلومات ومقارنتها مع واقع شخصية العميل والحالة التي يعاني منها، حتى يتمكن كل منهم من معرفة المستوى القيمي أو الصحي أو النفسي الذي عليه حالة البحوث أو المدروس حالته ليعمل كل من البحَّاث والأخصائيين وفقا لتخصصاتهم على عودته إلى ما يُمكِّنه من أداء وظائفه الاجتماعية مما يجعل دور الأخصائي الاجتماعي متصدرا لهذه الأدوار من أجل أن يعيد العميل إلى القواعد القيمية المعتمدة من المجتمع ومن ثم دفعه إلى ما يحقق له النقلة. ولا تتم عملية التشخيص على الإطلاق بتغييب العميل أو من يتعلق الأمر به كما هو حال عملية التحليل التي لا ضرورة لها في ذلك.

ولذا تُنسب عملية التشخيص إلى شخوص العميل وتواجده أمام الطبيب أو الأخصائي النفسي أو الأخصائي الاجتماعي ومشاركته له في هذه العملية. والفرق كبير بين عمليتي التحليل التي تتمركز على تحليل المعلومات وبين التشخيص التي تتمركز على شخصية العميل وعلاقته بالمعلومات المحللة.

ت – المقابلة العلاجية: therapy interview

تتداخل المقابلات من أجل تكامل دراسة الظاهرة أو الحالة، فبدون توفر معلومات مناسبة لا يمكن أن يكون هناك تشخيص قيِّم، وبدون تشخيص وتحليل علمي

وموضوعي يعتمد على الخبرة والمهارة الفنية للباحث أو للأخصائي الاجتماعي، لا يمكن أن يكون هناك علاج علمي هادف.

لذا تعتمد المقابلة العلاجية على حقيقة أن الإنسان معرَّض للخطأ ويمكن معالجته وإصلاح حاله من خلال تحقيق أهداف المقابلة العلاجية.

وتتم عملية العلاج من خلال أنشطة تصمم لمعالجة أو رعاية أو تخفيف من حدة أثر مرضي أو عجز أو مشكلة اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية أو سياسية.

ولذلك فالعلاج عملية مهنية تترتب على عملية التشخيص يقوم بها أطباء أو أخصائيون اجتماعيون ونفسيون لهم من المهارات ما يُمكِّنهم من تحديد مكامن العلل وتحديد الحلول المناسبة لكل علة أو سبب في ضوء ما تمكنوا من بلوغه من معرفة موضوعية، ووصف ما يجب أن يُفعل من قبل المدروسة حالته أو المريض أو العميل ومن قبل الذين لهم علاقة به.

وعليه، العلاج هو تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، مع تقديم المساعدة الهادفة التي تُمكِّن العميل من الاعتماد على نفسه ومن تحمّل مسؤولياته في ضوء إمكاناته وقدراته واستعداداته وبالتفاعل مع الآخرين ومشاركتهم من أجل مستقبل أفضل.

العلاج هو تفطين العقل والضمير من غفلتهما إلى رؤية الحقيقة ورؤية الحقيقة تتضح بنواهي الدين والتقيد بقيم المجتمع وأعرافه وقوانينه وبأتباع ما يجب والانتها عما لا يجب من خلال تبيان الحق من الباطل، وذلك بتصحيح المعلومات المنحرفة عن طريق إجراء عدد من المقابلات المتلاحقة التي يتم فيها تحديد أسباب الانحراف وإمكانية علاجه وتبيان المعلومات الخيِّرة التي يرغبها المجتمع ويحترم من يقوم بها.

ث . المقابلة التقييمية:

هي المقابلة التي تتميز بمدى مهارة وخبرة الباحث ومرونته في تتبع التغيرات الطارئة على المبحوث وذلك بالتفاعل الإيجابي معه، بما يُمكِّنه من معرفة ما حققته الحلول العلاجية من نتائج إيجابية وما خلَّفته من نتائج سلبية قد تكون ناتجة عن عدم تنفيذ العميل لبعض الحلول العلاجية بالشكل المطلوب، أو قد تكون ناتجة عن خلل كامن في المعلومة الخاطئة أو التشخيص غير الدقيق أو الحلول غير السليمة .

مما يستوجب على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي والنفسي اعتماد قيمة التوضيح والتبيان للأخطاء التي من مسبباتها قصور الفرد أو الجماعة أو العميل في عملية التنفيذ للحلول، أو اعتماد قيمة التنبُّه للأخطاء الكامنة من جراء التطبيق غير الصحيح لإحدى عمليات الدراسة، بما يُمكِّنه من تقويمها بالتصحيح إلى ما هو صواب، أو بالتعديل والتغيير والإصلاح إلى ما هو أفضل تحقيقا لمستهدفات الدراسة بشكلها الشمولي .

3 . المقابلة من حيث درجة الاهتمام: وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

أ . المقابلة الكلية (العامة):

وهي المقابلة التي تهتم بالموضوع بشكل عام وتعتبر متكاملة لأنها تستهدف وحدة الموضوع والإلمام به من حيث تأثيره على شخصية المبحوث والبيئة الاجتماعية والأفراد المتداخلين في ارتكاب الظاهرة أو الحالة، سواء أكان تداخلا رئيسا أم ثانويا وإبراز دور كل منهم وآثاره على العميل أو المبحوث المدروسة حالته، وذلك من خلال تجميع كل المعلومات ذات العلاقة بالموضوع والفرد وإجراء تحليل عام لها وفقا لِما يتوفر من متغيرات مستقلة وتابعة ومتداخلة ودخيلة من أجل الوصول إلى تشخيص وعلاج نفسي، واجتماعي وبيئي وتكون المقابلة كلية متى اهتمت بجوانب

الحالة أو الظاهرة من حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي والثقافي والذوقي.

ب . المقابلة الجزئية:

وهي المقابلة التي يجريها الباحث أو الأخصائي بعد إجراء المقابلة الكلية، وذلك بعد اتضاح المعالم الرئيسة والأساسية للحالة أو الظاهرة وبعد معرفة الأسباب والأفراد الذين كانوا وراء حدوثها.

والمقابلة الجزئية تهدف إلى التركيز على صلب الموضوع سواء من حيث جمع المعلومات أو من حيث التشخيص والعلاج والتقييم باعتباره لب المشكلة أو الظاهرة.

ويكون الفرق بين المقابلة الكلية العامة والمقابلة الجزئية، أن الأولى تهتم بالظاهرة من جميع الجوانب، سواء أكانت أساسية أم ثانوية أم هامشية، لأنها مؤسسة على أسئلة رئيسة ذات علاقة مباشرة بالموضوع. أما المقابلة الجزئية فتنطلق من المعلومات والبيانات التي تم التوصل إليها عن طريق المقابلة الكلية ولهذا فهي المترتبة عليها.

ت . المقابلة المتجزئة:

هي التي تتجزءا من المقابلة الجزئية فعندما يكون التخلف مشكلة عامة يكون التخلف الاقتصادي أو السياسي جزئا من المشكلة العامة وهي (التخلف بشكل عام). وعندما تكون أداة التنفيذ متخلفة عن أداة التشريع تكون المشكلة متجزئة من المشكل السياسي الذي تجزأ من المشكل العام (التخلف) مما يجعل التخلف هو المشكل العام، والمشكل السياسي هو المشكل الجزء، ومشكل أداة التنفيذ هو المشكل المتجزئ مما يستوجب لكل حالة أو ظاهرة أو مشكل أنواع من المقابلات التي تناسبها.

تتميز المقابلة المتجزئة بالدقة المتناهية في التعامل مع الحالات الفردية وتستند على المقابلة الكلية والمقابلة الجزئية، ففي المقابلة الكلية إذا كانت دراسة الحالة تعتمد على شمولية المتغيرات ذات التأثير على حالة العميل، فإن المقابلة الجزئية تكون دقيقة، إذ يحدد الباحث من خلالها المتغير الجزئي، الذي قد يكون له التأثير الأكبر على المشكلة، أما في المقابلة المتجزئة فتكون المقابلة أكثر دقة مما يجعلها في حاجة لأخصائيين مهره، حتى يتمكنوا من متابعة وتقصي متغيراتها عن قصد وموضوعية.

4 . **المقابلة من حيث عدد مصادر المعلومات:** وتنقسم إلى أربعة أنواع:

أ- المقابلة الفردية:

هي مقابلة المبحوث أو العميل كطرف وحيد في وجود المشكلة أو الحالة وتسمى دراسته بدراسة الحالة الفردية، ولم يشترك معه أحد أثناء إجراء عملية المقابلة حتى وإن كان هناك آخرون لهم علاقة غير مباشرة به ولم يستهدفوا بإجراء المقابلة معهم من قبل الأخصائي فتكون الحالة فردية ومرتكبها شخص واحد باعتباره قيد الدراسة، أو أنه نزيل مؤسسة من مؤسسات الرعاية الاجتماعية، نتيجة حالته الفردية التي لم يعثر على آخرين له علاقة بهم.

ب - المقابلة الثنائية (الحالة الثنائية):

هي الحالة التي يكون عدد المشتركين في ارتكابها اثنين، مما يجعل الأخصائي يقوم بإجراء مقابلات مشتركة أثناء تجميع المعلومات والبيانات أو أثناء التشخيص أو العلاج، والاثنين دائما هما أساس كل شيء في الوجود مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[3].

وحتى الحالة الفردية التي يرتكبها شخص واحد فهي من ضمن الاثنين، فإذا كانت الحالة انحراف الفرد عن قيم المجتمع الحميدة فإن المقابلة قد تُجري معه لوحده

---

[3] الذاريات 49.

باعتباره العنصر الوحيد في القيام بالانحراف، ولكن لا بد وأن يكون هناك طرف آخر قد وقع عليه الفعل الانحرافي، سواء أكان على شخصه أم على ممتلكاته وفي هذه الحالة هناك اثنان إلا أن من تُجرى المقابلة معه فهو واحد وذلك من أجل إصلاح انحرافه. أمَّا الشخص الأخر فهو السوي الذي قد تجرى معه أيضا المقابلة على انفراد وقد يتطلب الأمر إجراء مقابلة مشتركة معهما من أجل تكفير الأول عن سيئاته أو عقابه أو تسامح الثاني له مما يؤدي إلى إصلاح الحالة والبلوغ لمعالجاتها بموضوعية.

ت – المقابلة الجماعية:

هي المقابلة التي يشترك فيها أكثر من اثنين ولا تصل إلى حجم المجتمع مثل جماعة النشاط الرياضي، أو الثقافي، أو الفني، أو المسرحي، أو الأدبي، أو العلمي، أو جماعة العمل، هؤلاء حسب الموضوع تجرى معهم مقابلات مشتركة بشكل منظم يقوم بها الأخصائي من أجل تحقيق أهداف واضحة ومحددة لتنمية النشاط وتطويره، أو لتغييره، أو لتعديل فقراته، أو تغيير الأفراد القائمين به. كل ذلك يتم مع الحالات السوية، أما الحالات الإنحرافية فقد تكون المقابلة مع المجموعة الإنحرافية في وقت واحد من أجل إرشادها وتشخيص حالتها أو إصلاحها. ومن المقابلات الجماعية: مقابلات أسرة وجيران ورفاق العميل سواء في المدرسة أو العمل أو في أماكن ممارسة المناشط وقضاء وقت الفراغ.

ث – المقابلة المجتمعية:

هي المقابلة التي يقوم بها الباحث أو الأخصائي مع المجتمع المحلي أو مجتمع القرية وقد تكون وفق أسئلة معدة في استمارة مقابلة مستهدفا من ورائها ما يلي:

* معرفة التراث الشعبي والعادات الخاصة بالمجتمع المحلي في الأفراح والمآتم والأعياد الدينية والوطنية، وعن أساليب التعاون الإنتاجي.

* دراسة ظاهره متفشية في المجتمع ولها آثار سلبية على أفراده وجماعاته وأسره.

* التعرُّف على ظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والسياسية والثقافية والذوقية ومدى تأثيرها على سلوكيات وأفعال العميل الفردية.

* الكشف عن النشاط الاقتصادي للمجتمع، وعما إذا كان إنتاجيا، أم تجاريا، أم سياحيا أم استهلاكيا...، وذلك بما يُمكِّن من إعداد الفرد وفقا للاتجاه الغالب على المجتمع وتصويبه لما يفيد أفراده وجماعاته.

* تهيئة المجتمع لاستقبال الفرد المعاق، أو المنحرف، أو المصاب بمرض معين، أو ظروف نفسية وغيرها، للعيش في وسطه من جديد بعد تعديل سمات شخصيته، أو إصلاحها، تفاديا له من ألانتكاسة ثانية.

* مساعدة المجتمع على تقبل القيم والمعايير الإيجابية من الآخر ونبذ القيم والمعايير السلبية.

* تحديد القيم والمعايير الإيجابية والسلبية السائدة في المجتمع والعمل على حث أفراد المجتمع على تعديل السالب وتثبيت الموجب منها والعمل على تطويره بما ينفع ويفيد، مع حث العميل وتحفيزه بضرورة التمسُّك بالموجب والتخلي عمَّا هو سالب أو غير مفيد.

* التعرُّف على أنماط العلائق الاجتماعية في المجتمع وقيمه المفضلة، سواء أكانت تعاونية تنافسية، أم صدامية تنافرية ومدى تأثيرها على سلوك الفرد وانتمائه للمجتمع وعلاقته بمراكز السلطة فيه.

* التعرُّف على معدل قابلية المجتمع للتغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي والثقافي والذوقي، خصوصا فيما يتعلق بالتطورات العلمية الحديثة، مع العمل على تنمية الوعي بها خدمة لصالح أفراده.

* إبراز القيم والمعايير التي يرفضها المجتمع، مع العمل على مساعدة الأفراد بكل الوسائل الممكنة من تعديل سلوكياتهم وأفعالهم، حتى تتلاءم مع القيم المفضلة في مجتمعهم.

* اكتشاف القادة ذوي الصلاحيات والاختصاصات في المجتمع والاستفادة من سلطتهم المستمدة من وظائفهم الرسمية، بما يعود على الأفراد بالفائدة والنفع.
والمقابلات المجتمعية تحتاج إلى فريق من المساعدين المدربين لإنجازها لأنها تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير يصعب على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي القيام به لوحده.

5 . المقابلات من حيث المستوى القيمي الذي عليه المبحوث: وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:-

أ . المقابلة الذاتية: يسهم هذا النوع من المقابلات في تمكين الباحث أو الأخصائي الاجتماعي من تحديد عوامل التمركز وعوامل التشتت في شخصية العميل، وفقا لمَّ تشرَّبه من قيم إيجابية أو سلبية من خلال الإطار المرجعي لمجتمعه، فقد يكون ما تشرَّبه من قيم يضع المصلحة الخاصة فوق كل اعتبار دون مراعاة للمصلحة العامة، مما يجعل شخصيته في الاتجاه الأناني ، الذي معياره (أنا أولاً وإِلاَّ)، أو في الاتجاه الشخصاني، الذي معياره (أنا كل شيء). فالمقابلة الذاتية تحقق نُقلة للعميل من الحالة التي هو عليها (الحالة السالبة) إلى الحالة الأحسن والأفضل في حدود القيم الخاصة، ولكن القصور على القيم الخاصة فقط لا يؤدي إلى إحداث نقله نوعية تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع الذي يشكل أو يكوّن الذات الاجتماعية للفرد.

وعليه فالذاتية: subjectivity ترتبط بالمفرد المؤنث، وتحتوى على المختزل المذكر والمؤنث، كما تختزل الدار كمؤنث على الجدران المذكرة المتكونة منها، التي أعطتها صورتها الكاملة، وكما يحتوى جسد الإنسان المذكر على أعضاء مؤنثة، كالعينين، والأذنين، واليدين، والصرة، والرقبة. وهكذا جسد الإنسان المؤنث، يحتوى على أعضاء

مذكرة، كالرأس، والساقين، والذراعين، والقدمين، والقلب، وغيرها. وهكذا خلق الله الذكر والأنثى.

تتكون ذات الإنسان من قيم المجتمع، من أوامره ونواهيه، مما يحب وما يكره، ولذلك عندما تتوحد آمال وآلام المجتمع ودينه في الفرد إلى درجة تتساوى فيها كفتا الحياة والموت عنده، يكون الفرد وكأنه مجتمعا بأسره، أو أمة بكاملها نتيجة بناء الذات العامة فيه، مما يجعل لسانه لسان حالها وسلوكه من سلوكها وحاله من حالها.

ولذلك، الذات عندما تتكون لدى الإنسان بأماني المجتمع تزيل عنه الأنانية وتغرس فيه الأمة بقيمها، ولهذا يكون الفرد وكأنه أمة بحالها، وتكون الأمة وكأنها الفرد بأناته.

وقد يتساءل البعض:

من الذي ينقل الفرد من الأنانية إلى الذاتية؟

حسب معارفنا فهمنا إن الفرد يخلق ويولد، والأنانية والذاتية تُعلَّم وتُكتسب، والمجتمع هو المسؤول عن ذلك بأفراده وجماعاته ومؤسساته وهيئاته. فإذا تشرَّب الفرد قيم المجتمع الخيِّرة كان الفرد ذاتيا، وإذا لم يتشربها لن ينطبع بها ولا يمتاز بها، مما يجعل سلوكه شخصانيا نتيجة تمسُّكه بمصلحته الخاصة على حساب المصلحة العامة لامته أو مجتمعه، فينفرد بأنانيته عن الذات العامة التي انطبع الآخرون من بني أمته بها. فالفرد يمكن أن يكون أنانيا ويمكن أن يكون ذاتيا حسب تأثره بالموضوع، وعليه ترتبط الأنا بالذات وترتبط الذات بالموضوع .

ولذا فإن تمسك الفرد بالدين والعرف واللغة لم يكن تمسكا شخصانيا بل أنَّه تمسكا بذات المجتمع.

ب. المقابلــة التطلعيــة: هـذا النـوع مـن المقـابلات يكمّـل المقابلـة الذاتيـة، فبعـد أن يتعرَّف الباحث أو الأخصائي على عوامل التمركز والتشتت في شخصية العميل علـى مستوى الذاتيـة المنغلقـة بعدها يسـعى ليجعـل العميـل علـى المسـتوى القيمـي التطلعـي أي ليتطلّـع بـه إلـى الأفضـل والأنفـع الـذي يتـوفر عنـد الآخـر مـن علـوم ومعارف وتقدم حضاري أو تقني، علـى أن لا يكون هذا التطلُّع علـى حساب القيم التـي تشـكل كبريائـه واعتـزازه، ولـذا فـإن التطلـع إلـى مـا هـو أحسـن يحـدث النُقلـة النوعية من حالة التمركز على الذات إلى حالة التطلّع والتوازن مع الآخرين، لأجل أن يتحقق الآتي:

* توعيـة الأفـراد بمـا يجـب أن يفعلـوه مـع الآخـرين الـذين يتبـادلون معهـم مشـبعات الحاجات المتطورة والمتنوعة والمتعددة.

* التأكيـد علـى أهميـة الإلمـام بالموضـوع المشـترك مـع الغيـر كواقـع لا مفـر مـن التعامل معه.

* تمكين الأفراد من تقبل النقد وتصحيح الأفكار والسلوكيات التي كانت معتادة، مع تصحيح المعلومات السماعية، حيث ليس كل ما يُسمع يُصدَّق.

* تعريف الأفراد بما للآخر من رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة وحقوق وواجبات ومسؤوليات ينبغي أن تُقدَّر وتُحترم فمن غير المنطقي أن يتم تجاوزها أو الإغفال عنها.

* تنمية قدرات الأفراد على التمييز بين ما يجب وما لا يجب والاحتكام للمنطق في قول الحق وفعل الصواب.

* توضيح الكيفية التي يتجاوز بها الأفراد المستوى الذاتي، إلى مرحلة ممارسة النقد الذاتي، الذي يُمكِّن من معرفة جوانب القصور أو معرفة العيوب والسلبيات ومعرفة القصـور فـي بعـض القيم والتقاليـد الاجتماعيـة ليـتم الوصـول إلـى مرحلـة التعـديل

والتغيير بإرادة والتمكُّن من إعادة لغة الحوار ومعرفة حوار الآخر بموضوعية، وبلا أحكام مسبقة.

* إحداث نقلة للأفراد بعد تمكُّنهم من التطلُّع إلى أخذ ما يفيد وترك مالا يفيد.

ت . المقابلة الموضوعية:

هي المقابلة التي يتجرد الباحث فيها من أي انحياز غير انحيازه للموضوع وهي المستوى الذي يهدف الباحث من بلوغه بالمبحوث بحيث يتمسك بكل ما هو موجب ومفيد من قيم وفضائل اجتماعية ودينية وأن لا يكون منغلقا على ذاته فقط بل قادرا على أن يتخلَّص من كل ما من شأنه أن يسيء لإحقاق الحق حتى ولو كان من أعراف أمته أو المجتمع الذي ينتمي إليه، ويكون كذلك متطلعا للآخر دون أن يأخذ كل شيء منه وذلك لقدرته على حُسن الاختيار وهذا الأمر يُمكِّنه من تكوين شخصية موضوعية تقول الحق وتقف دونه، دون أن تتعصب لمعطيات عاطفية أو معطيات مستوردة عن غير وعي.

فالموضوعية مستوى من مستويات التفكير الإنساني الراقي، حيث بها يرفض الإنسان التحيز لما لا يجب، ولا يمكن أن تكون الموضوعية سلوكا أو فعلا ما لم يرتق التفكير إلى مستوى توفر الثقة الداعمة للإرادة والمُمكِّنة للفرد من اتخاذ قراره بوعي وتجرد.

ولذا فمن الموضوعية أن يُقدِّم الباحث أو الأخصائي الحقائق للفرد كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه؛ وذلك لأن ما ينبغي أن تكون عليه هو المستهدف من البحث والدراسة، وستظل الحقيقة كامنة في الحالة إلى أن يتحقق المطلب الذي يُقدِّمها كما هي بكل موضوعية.

وعليه تُعد الموضوعية Objectivity مكوّنا قيميًّا استيعابيا تندمج فيها المعارف الإنسانية والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا

وسلوكيات تؤدىَ من قبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميّة ذات أبعاد ومرامي إنسانية خالية من التعصب والتحيّز.

تتمركز الموضوعية على الاستخدام العقلي، الذي به تتجاوز الشخصيّة مرحلة العاطفة والمنطق، ما يجعلها تحتكم بالعقل دون سواه في تناول القضايا والمواضيع بالبحث والدراسة.

وبالموضوعية تُقيّم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعات عندما تتوفر معطياتها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولا تبرر بغير ذلك، ولذا فإن الموضوعية مرحلة وعي متقدم على مستوى الثقافة والفكر الإنساني.

إنها الالتزام بالحقائق المجردة قولا وعملا، فلا تميل كل الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة، ولهذا فالموضوعية مرحلة تيقُّن ومعرفة يتجاوز بها العقل كل مراحل الانحرافات والميول السالبة التي أفعالها تحيد كثيرا أو قليلا عن الحقيقة، إنها المبتعدة عن المنقوص والمتمسِّكة بكل فعل تام.

الموضوعية حالة مستقلة بذاتها تُقيِّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذاتية في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي الأنانية وذاتية تميل إلى الأنانية، إنها حالة الانسجام والتطابق مع مبررات المواضيع ومعطياتها العلمية.

وتتمركز الموضوعية في خماسي تحليل القيم على الآتي:

1 . التجرد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشخصانية.

2 . لا تعترف إلا بما يجب، ولا تؤدي إلا الأفعال الواجبة الإتباع سلوكا.

3 . تُقيِّم الأنا والذات والآخر بمنظور معياري لا بمنظور مزاجي.

4 . السلوك والأفعال الحضارية المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكل خصوصية.

5 . الاعتراف بوجوبية أخذ الحقوق.

6 . الاعتراف بأحقية أداء الواجبات.

7 . الاعتراف بأهمية حمْل المسؤوليات.

8 . التقدير لمن يجب ولِمَ يجب.

الاطمئنان صفة من صفات الشخصية الموضوعية، وتعتمد النفس المطمئنة على قوة البصيرة التي تُمكِّنها من معرفة الحقيقة، قال تعالى: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}. فالبصيرة قوة عقلية واعية يتبيَّن من خلالها الإنسان الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردد وذلك لثقته فيما يفعل أو يسلك عن معرفة صائبة.

الموضوعية هي إعلان الحقيقة مهما اختلف الزمان والمكان والثقافة أو الدين والعرف، ولذا فإن الحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثر سالب أم ذات مؤثر موجب، فالكذب حقيقة والصدق حقيقة، والنفاق والرفض والتمرد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعية هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، في المنطق الموضوعي ليس عيبا أن يقال للكاذب كاذب، وللسارق سارق وللصادق صادق، بل العيب أن لا يقال ذلك كحقيقة. هذه هي الموضوعية كحقيقة لا تتبدل ولا تتغير مهما تغير الزمان والمكان أو تغير الأفراد وتبدلوا نتيجة تعرضهم إلى مؤثرات ومتغيرات تابعة أو مستقلة.

وبما أن الحقيقة هي ما صدق على الموضوع، إذن ليس بالضرورة أن تكون الموضوعية منطقية، وذلك لأن معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقية، فمعايير الحقيقة هي الصدق والثبات، أما معايير المنطق فهي الافتراض والتوقع. فالإنسان وجوده حقيقة موضوعية وليس وجودا متوقعا، وتفكيره منطق، حيث أن التفكير مرتبطا أو مترتبا على وجود الإنسان باعتباره متميزا بقدرات العقل المفكر، والحكم على أن الإنسان موجودا وأنه مفكرا هو الحقيقة الموضوعية، ولكن ليس بالضرورة أن كل إنسان موجودا هو مفكرا، فالبعض من الموجودين هم فاقدو حاسة

التفكُّر والتذكُّر التي يفترض أنها خاصية إنسانية، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضرورة أن يكون حقيقة.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعية ينبغي أن نفرِّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصيه للمعلومات التي تعكس حقيقة الموضوع، وبين شخصانية الباحث التي لا تعكس حقيقته (حقيقة الموضوع)، ولذلك التزام الباحث المُسلم وتحيزه إلى دينه لم يعد عيبا، بل العيب أن لا ينحاز إليه بما أنه الحق من عند الله تعالى، ومن الموضوعية أن يتميَّز موضوع الباحث المسلم عندما يكتب عن الدين أو الأعراف أو الشخصية المسلمة وعاداتها عن كتابات ومؤلفات الباحث غير المسلم عندما يكتب عن نفس الموضوع. ولذا في اعتقادنا عندما يكتب المسلم عن مجتمعه هو أقرب إلى المعلومة الصادقة من الكاتب غير المسلم، وكذلك يكون الكاتب غير المسلم أكثر معرفة بالحقيقة من الكاتب المسلم عندما يتعلق الموضوع بمجتمع الباحث غير المسلم.

وعليه فإن قول البعض بأن الموضوعية أن لا يدرس الباحث مجتمعه لكي يكون موضوعيا فيما يبحث أو يكتب قول لا تسنده ألمصادق، فهذه المناداة تزعمها بعض من المستشرقين الذين لا يريدون أن تقدم معارف صادقة عن أخلاقيات ومعتقدات وأعراف المجتمعات النامية وخاصة التي تدين بالإسلام، وذلك حتى لا تنتشر تعاليم موضوعية قد تهز نظم المجتمعات غير المسلمة، ولهذا وُجِهت التهم إلى البحوث والدراسات العلمية التي تُبرز أهمية وحجج الدين الإسلامي وأخلاقياته بأنها بحوث ودراسات وتعاليم غير موضوعية، ومن يقوم بهذه المهمة العلمية الرائعة يُتهم بأنه غير موضوعي، وللأسف الشديد صدَّق بعض من أساتذتنا هذه الادعاءات وعملوا بها، في حين أزداد تمسك أهل الغرب

والمستشرقين منهم بصفة خاصة بدراسة مجتمعاتهم سواء في استطلاعاتهم العامة أو في دراسات قُراهم أو حالات مجتمعاتهم الخاصة دون أن يصف أحدهم الآخر بعدم الموضوعية، وفي مقابل ذلك هم يصفوا بُحاثنا وكُتَّابنا بعدم الموضوعية عندما يولونا اهتماما بأمتهم ومجتمعاتهم التي لها خصوصية تميزها عن خصوصيات الآخرين كما للآخرين من خصوصيات تميزهم.

وعلينا أن نميِّز بين التزام الباحث بمبادئ أمته وتاريخها الذي به تعتز، وبين تزمت الباحث وأنانيته على حسابها وحساب خطوات البحث العلمي أثناء تتبعه للمعلومة في عمليات الدراسة، فعندما يلتزم الباحث بمبادئ أمته ودينها، فإنه في هذه الحالة ملتزما بمبادئ عامة (ملكا للجميع)، وإلا هل يُعقل موضوعيا أن يفكر الباحث المسلم أثناء قيامه بمهمة البحث والدراسة بأنه غير مسلم؟. وهل الإسلام والثقافة والعادات والأعراف أملاك لفرد بعينه حتى يقال له تجرد منها أن أردت أن توصف بالموضوعية.

عليه تكون الإجابة موضوعيا بلا.

فبما أنَّ الدين والعرف والعادة ومجموع القيم هي المقياس العام للموجب والسالب والمستقيم والمعوج، فكيف نقبل بأن يوصف الباحث المنسلخ عنها بأنه هو الموضوعي؟. وهكذا كل باحث عندما ينتمي أو يعتقد في اتجاه سياسي أو فكري قد يصعب عليه التجرد منه، فالباحث الاجتماعي الذي يعتقد في الفكر الرأسمالي لا يمكنه القيام ببحثه إلا داخل هذا المنظور (إلا وهو رأسمالي)، وإذا وجدنا باحثا من داخل المجتمعات الرأسمالية يقوم ببحث وهو متجردا من هذا المنظور فهذا يعني أنه غير منتميا إليه وقد يكون منتميا لغيره، أي منتميا للآخر.

وهكذا إذا وجدت باحثا من المجتمع الجماهيري غير منتميا أو غير ملتزما بمعطيات الفكر الجماهيري فهذا يعني إنه الآخر، والآخر قد يكون سالبا له وموجبا لغيره وقد يكون غير مُتبيِّن بعد.

الموضوعية نسبية وليست مطلقة، ولهذا التمسك بها وكأنها المطلقة في غير محله، إنه تحيزا سالبا يضعف حُجَّة الباحث وقد يسفِّهُها، ولأنها نسبية ينبغي أن تمارس بمرونة لا باشتراطات مسبقة.

مع أنني لم أوافق على أنه ليست هناك موضوعية، إلا أنني واثق بأنها نسبية وليست مطلقة.

وبما أننا نتحاور مع الموضوعية حينا ومع المتعصّبين بها حينا آخر فعلينا أن نتساءل:

ما هي الركائز التي تُظهر الموضوعية إلى حيِّز الوجود؟

في اعتقادنا ترتكز الموضوعية أولا: على الموضوع، وثانيا: على الباحث.

ولذا لا يمكن أن تكون هناك موضوعية في غياب الموضوع أو الباحث. وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد السرياقوسي: إن الفصل التام بين الذات الدارسة والموضوع المدروس مستحيل لِما بينهما من علاقات متبادلة تربطهما وتدمجهما في وحدة معرفية لا تمايز فيها بين ذات وموضوع.

وعليه تفاعل الباحث مع الموضوع وعدم خروجه عنه يؤدي به إلى الموضوعية، وفي مقابل ذلك خروج الباحث عن الموضوع لا يؤدي به إليها، ولذلك يكون الباحث هو العنصر الأساسي في إبراز الموضوعية أو إخفائها، وبما أن الأمر كذلك فلا داعي إلى تغييب دوره أو الإغفال

عن أهميته ومراعاة خصوصيته التي تفيد كثيرا في التعرُّف على الجديد وتطويره بما يحقق نجاحا للبشرية بأسرها، وهذا يجعلنا نقول:

بما أن الباحث هو الذي أكتشف القوانين وصاغ النظريات وهو الذي ساهم في المعرفة العلمية التي تطورت بها العلوم وتتطوّر باستمرار، ولأنه هكذا فلا ينبغي إذن أن نجحد أو نغفل إسهاماته وجهوده الكبيرة في التطور العلمي نظريا وماديا وتقنيا، والذي يجب أن يُطمس هو أنانية الفرد وأطماعه الشخصانية التي تكون على حساب الآخرين الذين لهم الحق مثلما له.

ولذا فمن الموضوعية أن يبتعد الباحث عن الأحكام المسبقة أو الأخبار السماعية عند دراسة الظواهر والمشاكل والمواضيع أو الحالات في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ومن الموضوعية أن يلتزم الباحث بالموضوع ولا يحيد عنه عند دراسة الظاهرة.

ومن الموضوعية أن يُميِّز الباحث بين رغباته وأمانيه التي كان يأملها قبل البحث، وبين النتائج التي توصَّل إليها التي تخالف توقعاته وأمنياته.

ميز المقابلة:

1 – تفيد في دراسة الذين لا يجيدون القراءة والكتابة.

2 – تمكن الباحث من مشاهدة وملاحظة ردود أفعال المبحوث سواء في حديثه أم في انقباض وجهه وانبساطه أم بجفاف شفتيه أو ارتوائهما، أم بضياء عينيه أو انهيار الدمع منهما، وكذلك من خلال الحديث المسترسل والصمت المفاجئ وحركات اليدين و تشنجهما، وبلع اللعاب، وجفاف الحلق، والارتعاش، وغيره.

3 – تُحقق المقابلة التفاعل والود أحيانا بين الباحث والمبحوث بكل موضوعية.

4 – إنها تفيد في استطلاع الرأي العام .

5 – تجعل المبحوث شريكا للباحث في الدراسة والتشخيص والعلاج مما يطمئنه بعدم فرض أي حل عليه إذا كان يليق بظرفه وقدراته واستعداداته .

6 – تُمكِّن الباحث من متابعة الحالات عن كثب ووضوح .

7 – تُمكِّن الباحث من تكوين علاقة مهنية مع المبحوث تساهم في تيسر الحصول على معلومات وإصلاح الحالة.

8 – تُمكِّن الباحث من التعرف على اتجاهات ودوافع ومشاعر المبحوث .

9 – تؤدي إلى استكشاف معلومات جديدة لم يسبق معرفتها من قبل.

المآخذ على المقابلة:

1 – تحتاج إلى وقت طويل وتكاليف كبيرة .

2 –قد تتأثر الدراسة بعواطف الباحث والمبحوث إذا لم يتم التقيد بالمبادئ المهنية.

3 – تحتاج إلى عدد كبير ومدرب من مساعدي البحاث .

4 – تصنع المبحوث أمام مواقف أو ردود أفعال أو ارتكاب سلوك لا يعبر عن حقيقة الأمر في شئ.

5 – إنها صعبة التقنين نظرا لاختلاف أساليب القائمين بها واختلاف ظروف المبحوثين مما قد يستوجب تغيير بعض أسئلتها أو صيغها.

الفصل الحادي عشر

التصنيف القيمي

التصنيف القيمي: classification value

يعد التصنيف القيمي من أهم الوسائل المتبّعة في البحث العلمي في ميادين علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلم النفس (التحليل النفسي)، والتصنيف هو: الأداة التي تُمكِّن الباحث أو الأخصائي من ترتيب المعلومات دون تداخل أو التباس بين قيمها المتعددة، بتصنيف الكل مع الكل، والجزء مع الجزء، والمتجزئ مع المتجزئ، ومن تم تُمكِّنه من إظهار أثر المتغيرات التي كانت وراء ظهور المشكلة أو الحالة، وبمراعاة الظرف ألزماني والمكاني للحالات المدروسة قيميا.

يعتبر التصنيف القيمي ذا بعداً علمياً يُسهم بطريقة واعية في تحديد الروابط القيميِّة وترتيب أبوابها المختلفة وهو بهذه الصورة يُعد وسيلة علمية معيارية. ولأن مكوّن أي مجتمع هي القيم، لذا فمن الضرورة الموضوعية أن لا يغفل البحاث والأخصائيين الاجتماعيين عن أهمية التصانيف القيمية وأهمية استخداماتها المتعددة والمتنوعة في دراسة الحالات الفردية والجماعية والمجتمعية.

فالقيم تدل على أنماط وأساليب حياة المجتمع الخاصة والعامة، فلكل شعب من الشعوب قيم خاصة به ذات أنماط معينة من السلوك والتنظيم الداخلي والخارجي لحياته، وتدل أيضا على مستويات التقدير والاعتبار ومستويات التفكير والمعاملات التي أصطلح عليها أفراد المجتمع في حياتهم الممتدة عبر الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي.

وبما أن الإنسان في كل مكان هو في حاجة لإشباع حاجاته المادية المتنوعة والمتطورة عبر التاريخ، فإنه أكثر احتياجا لإشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية والثقافية والذوقية والسياسية المتنوعة والمتطورة قيميا. وهذا يشير إلى أن بعض عناصر النظام القيمي لأي مجتمع هي متشابهة أيضا لدي المجتمعات الإنسانية الأخرى، ومع أنها تتشابه إلا أنها تتفاوت تبعاً لأمور كثيرة من أبرزها الوسائل

والأساليب التي تنظم الصور التعبيرية للقيم أو تعمل على تنسيقها وفقا للمعايير والمقاييس الموضوعية.

والقيم عبر التاريخ برغم ما تتصف به من ثبات نسبي فهي عُرضة للتعديل والتغيير بما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وأنماط سلوكية أو بما تستبعده من بعض الأساليب أو الأفكار أو المعتقدات القديمة التي لم تتفق مع ظروف حياتها الجديدة.

ولذا فإن القيم هي مرتكز أساسيٌ في حياة الفرد والجماعة والمجتمع. فهي تكوِّن تنظيما خاصا للخبرة الناتجة والمتكونة عند الفرد، أثناء تفاعله مع أعضاء جماعته أو مع عناصر بيئته في مواقف الاختيار والمفاضلة، مما جعل العلوم الاجتماعية تهتم بحياة الفرد والجماعة الاجتماعية والإنسانية وتعمل على تهذيبها وتطويرها إلى ما هو أفضل، ولكي تُحقق ذلك فهي تستند إلى نسقٍ من القيم والأخلاقيات التي تُعتبر القاعدة الأساسية التي لا غِناً عنها، ولهذا يعتمد الأفراد في تكامل بنيانهم الاجتماعي على القيم المشتركة بينهم، التي كلما اتسع مداها مع الآخرين الذين تربطهم بهم علاقات اجتماعية ازدادت وحدتهم قوة وتماسكاً، في حين تضعف تلك الوحدة كلما انحسر مدى القيم بينهم، مما يؤدي أحيانا إلى الصراع والتفكك.

ولهذا فالتصنيف القيمي بالإضافة إلى كونه وسيلة لجمع المعلومات والبيانات من مصادرها المتعددة، فهو أيضاً وسيلة تحليل لهذه المعلومات والبيانات بعد تصنيفها وتبويبها وفقاً للقيم والمعايير والمقاييس التي ينتظم عليها.

ولأن التصانيف القيمية متعددة ولا تستوجب الضرورة لعرضها لذا اخترت أن أقدم ملخصا لأحدثها وهو الإضافة الجديدة التي بها نلنا براءة تسجيله إضافة علمية في ميادين البحث العلمي تحت عنوان (خماسي عقيل لتحليل القيم)

ملخص خماسي تحليل القيم:

يتكون خماسي تحليل القيم من خمسة قواطع متساوية، نسبة كل منها 20% من مجموع دائرة الخماسي، يمثل كل قاطع مستوى من مستويات الشخصية الخمس وهى:

1 . الشخصية الذاتية.

2 . الشخصية المنطقية (ذاتية تميل إلى الموضوعية).

3 . الشخصية الموضوعية.

4 . الشخصية الإنسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية).

5 . الشخصية الأنانية.

وضُبِطَ الخماسي وفقا لكل مستوى من مستويات الشخصية مع أوزان التصنيف المتطابقة مع البدائل القيمية (المعيارية) لكل علاقة قيميّة وفقا للآتي:

أ . من 1 إلى أقل من 2 يساوي أنانية.

ب . من 2 إلى أقل من 3 يساوي ذاتية تميل إلى الأنانية.

ت . من 3 إلى أقل من 4 يساوي ذاتية.

ث . من 4 إلى أقل من 5 يساوي ذاتية تميل إلى الموضوعية.

ج . 5 تساوي موضوعية.

يقصد بمستويات الشخصية، الحالة القيميّة والسلوكية التي تكون عليها حالة الفرد، ويُعد هذا التحديد لمستويات الشخصية تقسيما جديدا، لا سابقة له سِوى التقسيم الثلاثي القديم المتكوّن من (الأنانية، الذاتية، والموضوعية)، التي اتضحت في قراءاتنا وكأن مستويات الشخصية ذات فواصل يستقل فيها كل مستوى عن المستوى أو الحالة الأخرى، في حين أن مستويات الشخصية تتداخل وكأنها حلقات مترابطة داخل دائرة خماسي تحليل القيم، الذي يُمكّن البُحَّاث والمحللين للشخصية، من معرفة الحالة التي عليها حالة الفرد والجماعة أو العينة أو مجتمع البحث،

وذلك من خلال تحليل المعلومات والبيانات المتحصل عليها بأداة التصنيف القيمي، ومن خلال دراسة الخطاب والنص بعد أن تُفرّغ المعلومات وفقا لجدولة مستويات التصنيف ومجالاته القيمية.

فكل من يقوم بملء أداة التصنيف (تصنيف عقيل لتحليل القيم) باختيار بديلا واحدا من البدائل الخمس المعتمدة لكل علاقة من العلائق القيمية (44) قيمة. لابد وأن تتكشف حالته وحقيقته ومستوى شخصيته أمام الباحث أو الدارس، سواء أكان في حالةِ الأنانية أم في حالةِ الإنسحابية (ذاتية تميل إلى الأنانية)، أم في حالةِ ذاتية، أم في الحالةِ المنطقية (ذاتية تميل إلى الموضوعية) أم أكان في حالةٍ موضوعية.

ومن أهم فوائد استخدام خماسي تحليل القيم الآتي:

1 . يُمكّن الباحثين من معرفة القيم التي عليها حالة المبحوثين في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم وثقافاتهم وأجناسهم.

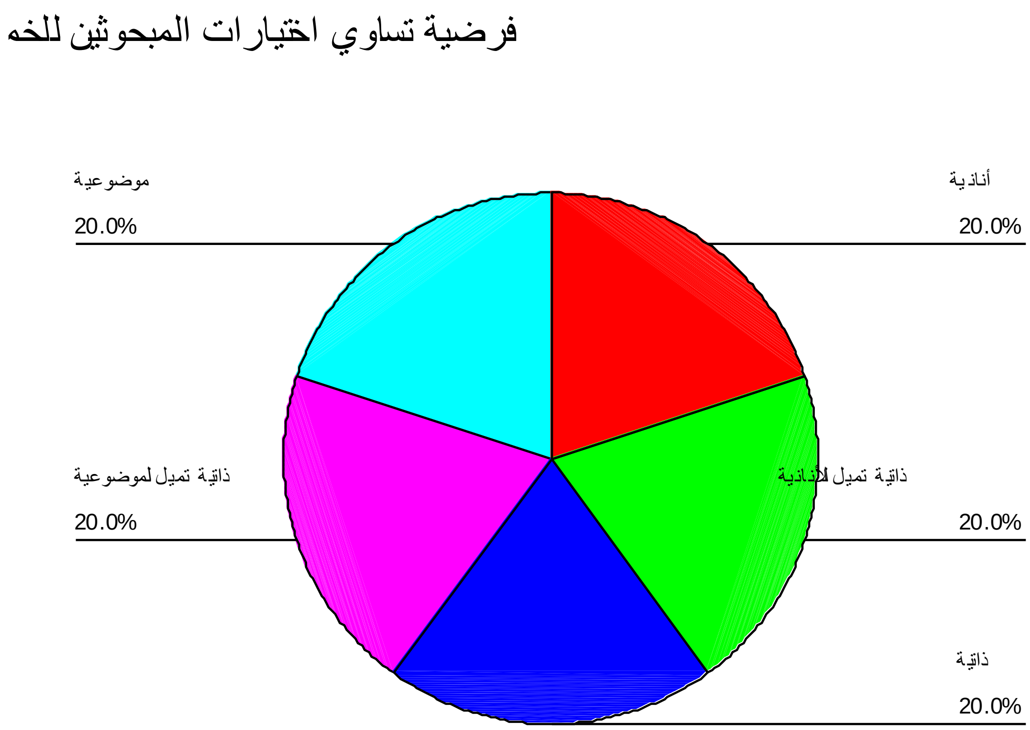
2 . يُمكّن الباحثين من معرفة اتجاهات الأفراد وانتماءاتهم الشخصية اجتماعيا، اقتصاديا، سياسيا، نفسيا، ذوقيا، وثقافيا.

3 . يُمكّن الباحثين أو الإدارات والأجهزة العاملة من معرفة الحالة التي عليها الفرد المتقدم لطلب العمل أو المتقدم لشغل منصب من مناصب الدولة أو أي جهاز من أجهزتها. وذلك لأن نتائج الخماسي لابد وأن تُظهِر كل حالة على ما هي عليه دون مجاملة أو تحيز، سواء أكانت أنانية، أم ذاتية تميل إلى الأنانية، أم ذاتية، أم ذاتية تميل إلى الموضوعية، أو موضوعية. وعلية نتائج الخماسي تقييمية، تُقيّم الحالات كما هي عليه وليس كما يجب أن تكون.

4 . من خلال تحليل المخطوطة أو النص والخطاب أيا كان موضوعه يمكن معرفة الحالة التي كانت عليها حالة صاحبها ومستوى شخصيته.

5 . أضاف خماسي تحليل القيم صفات ذات دِلالات سلوكية تُمكِّن البُحَّاث من إصدار أحكام غير منحازة على اتجاهات وقيم المبحوثين التي تأخذ صفاتها بناء على مقاييس النزعة المركزية والتشتت المتماثلة مع قطاعات الخماسي.

أُسِسَ الخماسي على الفرضية الصفرية (العدمية) المتفق عليها عالميا، التي تفترض أن فرص الاختيار متساوية بين المبحوثين في اختيار البدائل القيميّة، بمعنى (أن فرص اختيار المبحوثين للبديل رقم 1 تساوي فرص الاختيار للبديل رقم 2، 3، 4، 5). ولذا فإن جميع قواطع الخماسي متساوية كما هو في الشكل رقم (1). يأمل الباحث لهذا الافتراض ألعدمي أن يُعدم ولا يتحقق حتى يتبين الفروق الفردية والجماعية والمجتمعية وفقا لمتغيرات البحث، ولذا سميت الفرضية الصفرية بالفرضية العدمية (فرض العدم العالمي).



الشكل رقم (1)

وإلـى السـادة القـراء والبـاحثين أقـدم تفاصـيل خماسـي تحليـل القـيم المؤسـس علـى الفرضية العدميـة، المبيِّنـة فـي الشكل رقـم (1)، التـي علـى ضـوءها تتشكل شخصـية الفرد أينما يكون على أي بقعة من بقاع العالم، ولذا لم تعد الكتابة على أي مستوى من المستويات القيميـة خـاص ببلـد معين بذاتـه بل أنهـا تعمّ الفرد أينمـا حل ونـزل، فالشخصـية الأنانيـة واحـدة سـواء كانـت فـي الصـين أو الخلـيج العربـي أو الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أو أي بلـد يتبـادر إلـى الـذهن، وهكـذا بقيـة المسـتويات القيميـة للشخصية واحدة في جميع أنحاء العالم.

وعليـه فـإن جميـع سـكان العـالم بمختلـف أديـانهم وأعـرافهم وتقاليـدهم، وبمختلـف أعمارهم وأنواعهم ولغاتهم، وبمختلف المجـالات القيميـة التـي ينـدرجون تحتهـا سـواء كانـت اجتماعيـة وإنتاجيـة (اقتصـادية) أو سياسـية ونفسـية أو ذوقيـة وثقافيـة فهـم يُصنّفون إلى خمسة مستويات قيمية، أو يصطفّون في صفوفها.

وللتصنيف ست مجالات لتحليل القيم هي وفق المختصر الآتي:

أولا: مجال العلائق القيمية الاجتماعية:

يتكون مجـال العلائق القيمية الاجتماعية من أثنـى عشرة قيمـة وستون بـديلا قيميـا، ويحتوي هذا المجـال علـى العلائـق القيميـة المكوّنـة للشخصـية الاجتماعيـة التـي لهـا حقوق ينبغي أن تؤخذ وواجبات يجب أن تؤدى ومسؤوليات يجب أن يتم تحمُّلها.

إن مجـال العلائـق القيميـة الاجتماعيـة مجـال بنـائي يكـوّن الشخصـية الاجتماعيـة المتفاعلة والمتعاونة كلما تم تشرُّب هذه القيم بإرادة ومعرفة واعية، وإذا لم يتم ذلك بإرادة فإن السلوك المنـاقض للبنـاء قد يكون هو سلوك الصـدارة، ولـذا فـإن التفاعل الموجـب الـذي تنتجـه ألاثنـي عشرة قيمـة هو الـذي يقـوي عاطفـة الانتمـاء والـروابط القيمية الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، ويجعل الضمير (نحن) هو

السائد بينهم بدلا للضمير (أنا) الذي في كثير من الأحيان يؤدي إلى الصدام والفرقة. ويحتوي مجال العلائق القيمية الاجتماعية على الآتي:

1 . علائق قيمية طبيعية: كالعلاقة الأسرية والعلاقة العائلية والعلاقة القبلية وعلاقة الأمة التي تكوّن الذات العامة المشتركة للأفراد والجماعات، وتغرس في نفوسهم عاطفة الحب وروح الانتماء.

2 . علائق قيمية ضرورية: كالعلائق بين رفاق العمل، ورفاق الحرف والمهن، ورفاق التعليم والتعلم، وهذه العلائق قد تكون بين بني الأمة أو مع الآخرين، فعندما تكون بين أبناء الأمة أو الوطن تحتويها عاطفة الأصل والانتماء، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المهنة وعاطفتها المؤقتة.

3 . علائق قيمية اختيارية: كالعلاقة مع رفاق المناشط الرياضية والفنية والمسرحية والموسيقية والثقافية، أو رفاق الحفلات والرحلات السياحية. وعندما تكون هذه العلائق الاختيارية بين أفراد الأمة وجماعاتها فإن عاطفة الأصل والانتماء هي التي تسودها، وعندما تكون مع الآخر تحتويها علاقة المناشط المتنوعة وعاطفتها المؤقتة.

وبإسقاط خماسي عقيل لتحليل القيم على مجال العلائق القيمية الاجتماعية فإن نتائج الإحصاء الوصفي تتباين وتتنوع حسب متغيرات كل حالة أو مفردة من مفردات البحث.

ثانيا مجال العلائق القيمية الإنتاجية:

يحتوي هذا المجال على خمسة علائق قيمية كل منها يؤدي إلى الإنتاج سواء كان هذا الإنتاج ماديا (إنتاج السوق) الذي تترتب عليه قيم البيع والشراء، وارتفاع مستوى الدخل أو انخفاضه، أم إنتاجا معرفيا (إنتاج المعلومة والفكرة) التي تثري ما سبق، وتدعم ما في الآن، وتسعى لصناعة المستقبل. ولذا فإن التقنية (مولود الفكرة) تتطور وتتنوع وتتجدد مع كل جديد.

تحتوي هذه القيم الخمس على بدائل قيمية معيارية لقياس معارف المبحوثين وتقديراتهم لهذه القيم أو تفهُّمهم لها، ويترتب على ذلك التعرف على اتجاهاتهم

ومستوياتهم المعيارية من خلال اختياراتهم للبدائل القيمية لكل علاقة من علائق مجال القيم الإنتاجية.

يعتبر هذا المجال العلائقي مجالا لتحقيق المنفعة القابلة للقياس بالإنتاج الذي يتطلب إدارة ملاحِقة (تلاحق المنتجين لتمدهم بالخدمة التي تمكنهم من زيادة الإنتاج)، إدارة تتفهَم ظروفهم ومتطلباتهم كما تتفهم احتياجات المستهلكين.

أن مبدأ المنفعة جعل الإنسان في حالة منافسة مع الآلة بدلا من منافسته للآخر من بني جنسه، ولذا أصبحت الآلة تحل محل الإنسان غير القادر على المنافسة في العملية الإنتاجية، فإذا كان الجهد المبذول يقل قيميا عن العائد منه لابد وأن تكون الخسارة هي المبعدة عن ميادين المنافسة الحرة.

تحليل مجال العلائق القيمية الإنتاجية يمكّن البحّاث من التعرف على حالات المبحوثين من حيث الجهد، الإنتاج، الإشباع والمنفعة، وفقا للآتي:

1 . جهد يؤدي إلى الإنتاج يؤدي للإشباع ويحقق منفعة.

2 . جهد يؤدي إلى الإنتاج ولا يؤدي للإشباع لا يحقق منفعة.

3 . جهد يؤدي إلى الإنتاج، يؤدي إلى الزائد عن الإشباع، يحقق الفائض عن المنفعة.

4 . جهد لا يؤدي إلى الإنتاج لا يؤدي للإشباع ولا يحقق منفعة.

5 . لا جهد يؤدي إلى الإنتاج لا إشباع ولا منفعة.

وبناء على النقاط السابقة تقيّم اختيارات المبحوثين للبدائل القيمية حيث هناك من يرى في العملية الإنتاجية التباهي والادعاء والفرجة، وهناك من يراها استهلاكا أو تسابقا وانبهارا، أو تخطيطا وتصميما وسرعة وتنوعا، وآخر قد يراها فقرا وبطالة مما يجعله عالة على الآخرين.

إن تحليل مجال العلائق القيمية الإنتاجية يتطلب معامل الخماسي التي تُمكِّن البحاث من التعرف على ما يؤثر على العملية الإنتاجية وما يثريها ماديا ومعرفيا، وما يؤثر على الأفراد والجماعات المنتجة والمستهلكة في وقت واحد، فهناك من ينظر للعملية الإنتاجية بالمنظور الشخصاني، وهناك من يراها بنظرة العاطفة الذاتية والبعض يتأرجح في اختياراته بين الانسحاب أو أن يكون المنطق أسلوبا في سلوكه، في حين تكون الفرصة سانحة للموضوعية التي يسودها العقل. ونظرا لأن العملية الإنتاجية واحدة تداخلت هذه القيم الخمسة لإظهار هذا المجال العلائقي وابراز أهميته على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات البحثية وهذا ما يظهره التحليل الوصفي لكل متغير من متغيرات البحث.

ثالثا مجال العلائق القيمية السياسية:

يحتوي مجال العلائق القيمية السياسية على علاقة الحرية، والاستقلالية، وعلاقة الموقع، والسلطة، والسياسة والفكر، وتكمن في هذه العلائق القيمية الست عناصر القوة الداعمة للإرادة والقامعة لها في وقتٍ واحدٍ، وهذا ما يجعل السلوك البشري في حالة تماثل مع الفعل أو في حالة تناقض معه؛ مما يؤدي إلى التفاعل والمشاركة والوحدة، أو يؤدي إلى الرفض والتمرد والصدام، أو أن يؤدي إلى الخنوع والإدعاء والنفاق السياسي.

يحتوي هذا المجال على خمسة بدائل معيارية لكل علاقة من العلائق القيمية، وأن كل بديل من البدائل القيمية يتماثل مع قطاع من قطاعات خماسي عقيل لتحليل القيم الذي يتكون من الأنانية، ذاتية تميل إلى الأنانية، ذاتية، ذاتية تميل إلى الموضوعية، والموضوعية، ولذلك تتباين اختيارات المبحوثين من مجتمع لآخر ومن موضوع لآخر، فما يراه البعض مناسبا أو مفضلا في اختياراتهم للبدائل القيمية قد لا يراه البعض الآخر كذلك أو أنهم يروا ما هو أفضل، ولذا تتأثر اختيارات المبحوثين بالمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والذوقية والثقافية.

إن تحليل مجال العلائق القيمية السياسية يؤدي إلى معرفة اتجاهات المبحوثين وميولهم ومدى تمسُّكهم بالقيم التي تُكوِّن شخصياتهم أو تهدها، ونظرا لوجود الفروق الفردية في القدرات والاستعدادات والمهارات فإنه بالضرورة يكون التباين في نتائج اختيارات مجتمع الدراسة ونتائج اختيارات العينة مهما كان نوعها.

ولأن مجال العلائق القيمية السياسية ذا صلة بالقرار وأساليب اختياره، وبالتنفيذ وطرق اعتماده فإنه بلا شك ذا صلة بالإرادة التي تتميز من خلالها كل شخصية وكل جماعة ومجتمع وفقا لقطاعات الخماسي المتماثلة مع البدائل القيمية لكل علاقة من العلائق السياسية التي تؤكد الآتي:

1 . روابط اجتماعية طبيعية، تؤدي إلى مجتمع الذاتية، تحقق الشخصية العاطفية.

2 . روابط منفعية تؤدي إلى مجتمع الأنا تحقق الشخصية الفردية (الشخصانية).

3 . روابط فكرية، تؤدي إلى مجتمع الفكرة، تحقق الشخصية الموضوعية (العقلية).

4 . روابط سياسية تؤدي إلى مجتمع الاختراق تحقق الشخصية الإنسحابية.

5 . روابط إنسانية تؤدي إلى المجتمع الإنساني تحقق الشخصية الاقترانية (المنطقية).

وبتحليل مجال العلائق القيمية السياسية تتم ملاحظة أثر كل متغير من المتغيرات على الحالة قيد البحث والدراسة.

رابعا مجال العلائق القيمية النفسية:

يحتوي هذا المجال على سبعة علائق قيمية تؤثر في علائق أخرى وتتأثر بها، تفيد في التحليل النفسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال التعرف على اتجاهاتهم وميولهم والقيم التي يتمسكون بها أو التي يحيدون عنها مما يجعلهم يتخذون مواقفا وأدوارا متباينة تختلف من وقت لآخر.

ولتحليل مجال العلائق القيمية النفسية ينبغي أن يهتم البحاث بمعرفة علم الخفايا التي تجعل من الأفراد متفاعلين ومتفائلين أو منطويين ومتقوقعين في حالة إقدام أو إحجام، في حالة مشاركة أو في حالة عزلة ووحدة.

إن معرفة علم الخفايا يُمكّن البحّاث من معرفة العلل والأسباب الكامنة ورأى الأفعال المرتكبة، ولذا فهو علم معرفة الباطن (الجوهر)، الذي يتطلب تحليل شخصية المبحوث تحليلا نفسيا غير مباشر، فالسلوك الظاهر قد لا يُعبِّر عن حقيقة الكامن، ولذا يلتحي المُحلل أو الباحث إلى استخدام الأساليب الإسقاطية في دراسة بعض المواضيع المتعلقة بالشخصية.

إن النفس البشرية تقوى وتضعف بالكلمة أو بالفعل أو بالسلوك، وتتأرجح بين الخيال الممكن والخيال غير الممكن تارة وبين المتوقع وغير المتوقع تارة أخرى، عندما تضعف تضطرب، وعندما تقوى تطمئن. معايير اختياراتها القيمية في بعض الأحيان تتمركز على الأفعال الأنانية، وفي بعض الأحيان الأخرى تتمركز على الذاتية أو الموضوعية، وفي حين آخر تتشتت الذات بين الميول إلى الأنانية أو الميول إلى الموضوعية، وهذا يعني أن مجال العلائق القيمية النفسية قد تندمج فيه مكونات الشخصية مما يجعل عناصر الذاتية جزاء لا يتجزأ من عناصر الأنانية أو عناصر الموضوعية، وهذا يتماثل مع قطاعات خماسي تحليل القيم الذي يمكّن البحّاث من معرفة محتويات النص أو الخطاب أو الشخصية.

إن القيم التي يحتويها مجال العلائق النفسية تنصهر في بوتقة الاعتراف والتقدير التي يتمركز عليها التفكير الإنساني، حيث الكل يسعون إلى نيل الاعتراف والتقدير وعلى جميع المستويات، مستوى الحاكم ومستوى المشارك ومستوى المحكوم، مستوى الحر ومستوى العبد، فالعبد كغيره من البشر يبحث عن قيمة الاعتراف والتقدير، لأن يعترف له سيده بأنه مخلص لكي يزيد في الطاعة وأن يُقدِّره على هذا الإخلاص، والابن الذي يطيع والديه في غير معصية الله عز وجل يريد أن ينال منهما الاعتراف والتقدير لكي يستمر في هذه الطاعة، وهكذا الحاكم يسعى إلى أن ينال الاعتراف والتقدير من رعيَّته بأن النظام الذي يترأسه هو الأفضل وأن يقدروا هذا التفضيل، أو أن يقدروا الظروف التي لم تمكّنه من تحقيق خطابه أيام الدعاية الانتخابية، وهكذا المحكومين يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الحاكم على تحمُّلهم فترة حكمه وأن يقدّرهم على هذا التحمّل.

ولذلك فإن البدائل القيمية لهذا المجال العلائقي تستوجب استخدام الخماسي في التعرف على السلوك الذي يتغير حاله من شخص لآخر ومن ظرف لظرف خاصة وأن السلوك البشري يسعي إلى تحقيق الاعتراف والتقدير في مقابل إشباع الحاجة كما هو مبين في الآتي:

. سلوك يعترف بالحاجة ويقدّرها، يحقق الرضاء ويؤدي إلى إثبات الذات.

. سلوك لا يعترف بالحاجة ولا يقدّرها، يحقق الاضطراب ويؤدي إلى الإنسحابية.

. سلوك يعترف بالزائد عن الحاجة ويقدره، يحقق الرضاء ويوصف بالعقلية.

. سلوك لا يتدخل في ما لا يعنيه، يحقق الرضاء ويوصف بالمنطقية.

. سلوك لا يُفعل إلى لمصلحة، يحقق الرضاء ويوصف بالشخصانية.

وهكذا يكون لكل حالة خصوصية يمكن قياسها معيارا بخماسي تحليل القيم.

خامسا مجال العلائق القيمية الذوقية:

يحتوي مجال العلائق القيمية الذوقية على العلائق التي تتجاوز بالعقل البشري من حالة الإحساس بالمشاهد إلى حالة الإحساس بالمجرد، فالقيمة الحسية بالجميل على سبيل المثال لا تقتصر على النظر إلى المشاهد فقط بل تتعداه إلى الإحساس بقيمة الجمال المجرد (الذي يكمن في الجميل).

الذوق رفعة في الحس تؤدي إلى سمو عقلي ومعرفي يمكّن الإنسان من الاطلاع على الكامن والإحساس به مثل كمون النغمة في المعزوفة وكمون الصور البلاغية في المقطوعة الشعرية وكمون السيناريو في النص وكمون القصة في اللوحة الفنية وكمون النشوة في السعادة وكمون الإعجاز في آيات الخالق.

وعليه فإن مجال العلائق القيمية الذوقية يحتوي على سبعة علائق تتمّم بعضها البعض في تفطين العقل الإنساني من الغياب إلى الحضور ومن المشاهد إلى المجرد (من النظر إلى المخلوق إلى النظر إلى الكيفية التي خلق بها وخلق عليها). ولذا فإن للذوق أثرٍ على السلوك والفعل حيث يجعل الإنسان في حالة بهجة وتفاؤل وعطاء أو في حالة راحة وتعجب واستبصار أو في حالة تقرّب وخضوع وترويح، والذوق كمحقق للرفعة الحسية يتطلب التذكُّر والتفكُّر والتأمُّل.

يعد هذا المجال العلائقي مجالا لتحقيق السمو القيمي الرفيع الذي يُبرز أهمية الذوق العقلي والوجداني لِمِا يشاهد ولِمِا يلاحظ وعندما يتحقق هذا السمو تصبح اللذّة ذوقا حسيا يحقق المتعة، فعندما تسبح في البحر وقت الغروب تربطك متعة الشفق الذي يلونك مع ماء البحر وصفاء السماء بسترة لونه الذهبي الذي لا عيار له إلا الذوق، حينها بإمكانك أن تكتب على السماء ما تشاء وأنت تسبح في البحر، وبإمكانك أن تجول بين عالم الواقع وعالم الأمل دون أن تترك العوم.

الذوق نتاج حسي له أثر سلوكي يَظهر في الفكرة وفي الكلمة المنطوقة والمسموعة والمكتوبة، ولهذا فإن الذوق تمييزي وليس مزاجي، فيه الأصالة والصفاء وفيه الحسن واللباقة، ولذا فإن النفس تطمئن وتنتشي بالقيم الذوقية، فمِن مشاهدة وملاحظة الجميل يدرك العقل الجمال ويلامسه السمو حيث ترتبط قيم هذا المجال بالآخر الذي في مكوناته القيم الذوقية سواء أكان إنسانا أم جمادا أم نباتا أم حيوانا.

ومع أن مجال العلائق القيمية الذوقية يُشكِّل وحدة واحدة إلا أن الإحساس بأثر هذه القيم يختلف من شخص لآخر ومن ظرف إلى ظرف آخر ومن جنس إلى جنس آخر، مما يستوجب تطبيق الخماسي على البدائل المعيارية لكل قيمة من قيم هذا المجال لكي يتمكَّن البحّاث من معرفة أثر المتغيرات على اختيارات المبحوثين، التي تجعل منهم الأنانيون، والذاتيون الذين يميلون إلى الأنانية، والذاتيون، أو تجعل منهم ذاتيون يميلون إلى الموضوعية، أو تجعلهم موضوعيون.

وباستخدام مقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت، يتمكّن البحّاث من التعرف على المتوسطات الحسابية والوسيطات التي تتماثل مع قطاعات الخماسي التي تظهر التمركز والتشتت في اختيارات المبحوثين على البدائل القيمية ذات العلاقة بالموضوع، هذا ويتمكن البحّاث من التعرف على اختبار فريدمان الذي يمكّنهم من التعرف على النتائج العلمية التي بها تُرفض أو تُقبل الفرضية الصفرية، وبناء على هذه الفرضية فإن قطاعات الخماسي في حالة تطابق مع الفرضية الصفرية (العدمية).

سادسا مجال العلائق القيمية الثقافية:

يحتوي مجال العلائق القيمية الثقافية عل سبعة قيم، لكل قيمة من القيم خمسة بدائل معيارية كغيرها من بدائل العلائق القيمة للمجالات السابقة الذكر حيث يتماثل كل بديل مع قطاع من قطاعات الخماسي الذي يُمكّن البحّاث من التعرف على أنماط التفكير القيمي السائدة في مجتمع البحث أو الدراسة.

أن قيم هذا المجال العلائقي هي دائما في حالة حركة وامتداد فكري حيث أنها تتأثر بالمزيد المعرفي الذي يثريها ويجعلها قادرة على أن تثري السلوك المصاحب لها في كل ظرف، وأن تفاعل الإنسان مع القيم الثقافية تجعله في حالة تميّز كلما تمكّن معرفةً وسلوكا، ومع أن الإلمام بالقيم الثقافية يفتح آفاق واسعة أمام امتداد التفكير الإنساني إلا أنه قد يشكل عائقا أمام سرعة الامتداد غير الواعية التي كانت قبل المزيد المعرفي، وذلك لأن المزيد المعرفي يؤدي إلى الإحجام عن السلوكيات غير الموضوعية (التي كانت تُفعل على حساب الآخرين)، فبالثقافة تفك القيود وبها توضع قيودا (تُفك من قيد الجهل المعرفي وتوضع به)، والإلمام بمجال القيم الثقافية يؤدي إلى حسن الفعل ورفعة السلوك واستيعاب الآخر بإرادة كما هو لا كما ينبغي أن يكون علية.

مجال العلائق القيمية الثقافية مجال امتدادي تمتد فيه القدرات والملكات العقلية الإنسانية من حالة السكون إلى حالة الحركة الواعية التي تُمكّن الإنسان من التمييز والتفضيل وتُمكنه من الممارسة السلوكية عندما تتطابق المفاهيم مع الأفعال المرغوبة التي تؤدي إلى ظهور الأنموذج وتبرز الاتجاهات المعرفية والأفكار الخاصة والعامة (المنغلقة والمنفتحة)، فتبرز الشخصية على المستوى الاجتماعي أو على المستوى الإنساني.

وعليه فإن مجال العلائق القيمية الثقافية يعتمد كثيرا على معرفة الأثر القيمي وأساليب تقديره عن طريق تطبيق الخماسي على موازين اختيارات المبحوثين للبدائل القيمية لكل علاقة من علائق هذا المجال الثقافي.

عندما تقتصر قيم مجال العلائق الثقافية على المستوي الشخصي فإنها تؤدي بالضرورة إلى بناء شخصية الأنا، وعندما تمتد القيم لتحتوي مميزات الأمة (الدين والأعراف واللغة) فبالضرورة تؤدي إلى بناء الذات الاجتماعية التي تكوّن العاطفة الاجتماعية، وعندما تستوعب الآخر كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه فإنها ستؤدي إلى بناء الشخصية الموضوعية، ويحتوي الخماسي أيضا على معيار قيمي يؤدي إلى تكوين ومعرفة الشخصية الإنسحابية (عندما تكون في حالة تراجع من مستوى الذات إلى مستوى الأنا)، ويؤدي في الوقت ذاته إلى بناء ومعرفة الشخصية المنطقية (التي تتمسك بالقيم العامة للمجتمع أو الأمة وتستوعب قيم الآخرين دون أن تتخلى عن قيم أمتها الموجبة).

التصنيف النموذجي المبرمج لعملية أحداث النقلة القيمية

يحتوي التصنيف النموذجي المبرمج على 44 قيمة، 220 بديلا معياريا وفقا للآتي:

أولا: تقسيم جميع القيم 44 قيمة، 220 بديلا إلى ستة مجالات علائقية واجبة التحليل، هي:

1 . مجال العلائق القيمية الاجتماعية.

2 . مجال العلائق القيمية الإنتاجية (الاقتصادية).

3 . مجال العلائق القيمية السياسية.

4 . مجال العلائق القيمية النفسية.

5 . مجال العلائق القيمية الذوقية.

6 . مجال العلائق القيمية الثقافية.

ثانيا: تطبيق خماسي عقيل لتحليل القيم على بدائل المجالات العلائقيّة الست السابقة وفقا للآتي:

1 . توزيع قطاعات الخماسي على البدائل القيمية المعيارية لكل علاقة قيميّة.

2 . ضبط الخماسي مع المقاييس الإحصائي (spss)

3 . ضبط الخماسي مع الأوزان المتطابقة مع البدائل القيمية لكل علاقة قيميّة وفقا للأوزان التي تم اعتمادها من لجان الخبراء المحكمين وهي كما يلي:

أ . من 1 إلى أقل من 2 يساوي أنانية.

ب . من 2 إلى أقل من 3 يساوي ذاتية تميل إلى الأنانية.

ج . من 3 إلى أقل من 4 يساوي ذاتية.

د . من 4 إلى أقل من 5 يساوي ذاتية تميل إلى الموضوعية.

هـ 5 تساوي موضوعية.

4 . أُسِسَ الخماسي على الفرضية الصفرية (العدمية) التي تفترض أن فرص الاختيار متساوية بين المبحوثين في اختيار البدائل القيميّة، التي تعني (أن فرص اختيار المبحوثين للبديل رقم 1 تساوي فرص الاختيار للبديل رقم 2، 3، 4، 5). ولذا فإن جميع قواطع الخماسي متساوية، وهذا الافتراض ألعدمي يأمل الباحث أن يُعدم ولا يتحقق حتى يتبين الفروق الفردية والجماعية والمجتمعية وفقا لمتغيرات البحث واختيارات المبحوثين، ولذا سميت الفرضية الصفرية بالفرضية العدمية المتفق عليها عالميا.

ثالثا: التحليل الإحصائي وتطبيقات خماسي تحليل القيم:

في معظم الدراسات العلمية والاجتماعية والإنسانية الحديثة يعتمد البحّاث على منهج توثيقي لإظهار نتائج الدراسات في صورة حقائق عددية ورسومات بيانية ملخَّصة لمجمل الهدف الذي يسعى الباحث لإبرازه مما جعل علم الإحصاء أداة هامة متاحة للبحّاث في مختلف فروع المعرف البحثية من اجل إظهار الحقائق

والنتائج بشكل بسيط وغير قابل للتحيُّز، وهذا يضفي على خماسي تحليل القيم أهمية تيسُّر البحث في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويمكّن البحاث من التحليل والتشخيص والتفسير العلمي.

لقد تجاوز مفهوم الإحصاء المعنى اللغوي المباشر الذي يفيد عدّ الأشياء وحصرها فقط إلي معنى علم معرفة الأرقام وطرق تصنيفها وأساليب استخدامها.

ولذا لا يقتصر علم الإحصاء على التعامل مع البيانات الكمية فقط برغم كونها الأكثر شيوعا واستخداما في الدراسات العملية بل يمكن استخدامه في الدراسات الإستبيانية والظواهر التي تكون الإجابة ألمتحصل عليها ممثله في نعم، لا، أحيانا، غالبا وغيرها من التعبيرات التي يستعملها البحّاث للحصول على إجابات تمثل وجهات نظر المبحوثين في الظاهرة المدروسة.

كما أن للتطور الهائل الذي يشهده العالم في مجال الحاسوب وطرق استعماله أثرا كبيرا في الدفع والرقي بكل العلوم التي على رأسها الإحصاء، حيث وفرت الكثير من هذه البرمجيات الفرصة للمختصين وغير المختصين للاستفادة من التطبيقات للمعادلات والاختبارات الإحصائية دون التعامل معها مباشرة والحصول على نتائج دقيقة في أزمنة قياسية.

ومع أننا لسنا بصدد ذكر البرمجيات المتاحة للبحّاث في هذا المجال والتفاضل فيما بينها وذلك لاختلاف طبيعة استخدام كل منها، إلا أنه من ضمن البرمجيات الحديثة والواسعة الاستخدام في مجال الدراسات الإنسانية برمجية SPSS التي تعني برمجية إحصائية للعلوم الإنسانية، (Statistical *Package for Social Science)* التي تمتاز بسهولة إدخال المعلومات إليها كما أنها تحتوي على عدد كبير من التطبيقات والاختبارات الإحصائية التي يحتاجها البحّاثة لمعالجة البيانات فضلا على التنوع الكبير في الرسومات البيانية المتاحة والجداول التلخيصية التي يمكن دمجها وإضافتها إلي العديد من البرمجيات الأخرى مما يجعل اختيارنا لهذه

البرمجية موافقا لاستخدامات الخماسي الإحصائية التي أظهر استقراءات تقييمية جديدة للاتجاهات والقيم، والأفعال والسلوك.

رابعا: تُعد الطريقة التحليلية والمسحية وتحليل المضمون من أهم الطرق العلمية والموضوعية التي ينبغي أن تُتَّبع عند استخدام التصانيف القيميّة، حيث أنها تُمكّن البحاث من المعرفة والتحليل واستخلاص النتائج.

وطريقة تحليل المضمون تجعل الباحث يولي اهتماما علميا للمعلومة سواء أكانت كلمة أم فكرة أم جملة أم نصا كاملا،أم قيمة، وذلك بما تهدف إليه من تحقيق للنتائج التي هي الأخرى في حاجة إلى تحليل وتقصي دقيق وفقا لعناصر التحليل العلمي، وإلا لن يتمكن الباحث والمتقصي للحقائق من التفسير العلمي الذي يُؤسس علي النتائج والاستنتاج .

إن هذا التصنيف العلمي يُمكّن الباحثين من التعرف على المجالات المعتدلة والمجالات الأقل أو الأكثر اعتدالا أو التي تميل إلى ما هو سالب أو إلى ما هو موجب، وفقا لِسُلمْ درجات التقييم القيمي حسب كل مجال من المجالات سالفة الذكر، وحسب معامل الارتباط بين خماسي تحليل القيم ومقاييس النزعة المركزية، ومقاييس التشتت.

وهذه النُقلة التطويريّة للتصنيف تمكّن البحاثة من التعرف على متغيرات كل مجال، وتُمكنهم من إجراء المقارنات بين نتائج متغيرات كل مجال والمجالات القيميّة الأخرى. وهكذا تحلل وتفسر نتائج علائق كل مجال من المجالات الستة وفقا للمبادئ المعيارية والموازين المحددة لكل مجال من المجالات العلائقيّة.

إن الهدف من هذا التبويب العلمي للتصنيف تمكين الأخصائيين والباحثين من معرفة الخصوصية القيمية لكل مجال من المجالات الست، وتمكينهم من إجراء المقارنات العلمية وفقا لكل متغير من المتغيرات البحثية، واستخدام مقاييس النزعة المركزية والتشتت، التي تظهر المعلومات النظرية في بيانات كمية يمكن قياسها

بكل دقة، وعرضها في جداول ورسومات بيانية متنوعة. ويعرِّف هذا التصنيف المطوّر البحاثة على استخدامات اختبار فريد مان، الذي يعطي قراءات إحصائية ذات أهمية علمية في دراسة المجموعات البحثية. ويعرِّفهم على الفروق القيمية لكل علاقة ولكل مجال في وقت واحد، ويُمكِّنهم من معرفة الإجابة على أداة السؤال لماذا؟

وعليه فإن التصنيف القيمي المبرمج ذا أهمية عالية في تمكين البحاث والأخصائيين من دراسة الحالات دراسة وافيه من خلال عملية جمع المعلومات، وتحليلها، وتشخيص الحالة، وتحقيق النتائج، والتقويم.

ويُمكِّنهم من إصلاح الحالة (حالة العميل) ثم بعد ذلك يُمكِّنهم من تهيئة العملاء من إحداث النقلة، ولتبان ذلك أعرض التصنيف القيمي المُمكِّن من عمليات الإصلاح (إصلاح حالات العملاء) والمُمكِّن من بلوغ النقلة وفقا للآتي:

1 . تحديد القيمة.

2 . تحديد المستوى القيمي الذي عليه حالة المبحوث أو العميل (العميل من حيث هو) هل على مستوى أناني؟ أم على مستوى انسحابي؟

3 . إصلاح حالة العميل وذلك بإحداث التغيير (تغيير المبحوث أو العميل إلى حيث ما يجب)، وهو ما يود أن يكون عليه، وما يود أن يكون عليه هو: أن يكون على مستوى التفاعل والمشاركة الاجتماعية (ذات المجتمع) التي حددناها في الخماسي بـ(الذاتية).

4 . إحداث النقلة: هو الذي فيه يتجاوز المبحوث أو العميل مستوى الذاتية بتطلعه حتى بلوغ المستقبل الأفضل.

والجداول اللاحقة تُبيِّن القواعد التي تتم على أساسها عمليات التغيير وإحداث النقلة وهي:

أولا: إحداث التغيير في المستويات القيمية وفقاً للقيم والمعايير الاجتماعية كما هو موضح في الجدول رقم (1).

الجدول رقم (1)

لة القيمي	**يل من حيث هو**		**يل إلى حيث ما يجب حداث التغيير)**	**ات النقلة ناعة المستقبل)**	
ستويات ة	ستوى القيم ني .	ستوى القيم سحابي.	ستوى القيمي الذاتي.	ستوى القيم لعي.	ستوى القيم ضوعي.
ستم ساني	قة تعصبية.	قة تعسفية ظلم والاستغلال)	قة ندية (التعام ل).	قة ودية (تفه محبة).	قة تكافئية إنسانية مساواة).
ة	قة انفراد.	قة انفصال.	قة تماسك	قة اندماج.	قة تضامن.
ن	قة جحود.	قة تخلي بتعاد عنه عند توفر في تقرار).	قة تمسك سك به في كل حين)	قة ارتباط وة التماس دي)	قة توحَّد.

تمـــــ طلي	قة جفاء ض المجتمع).	قة تلاؤم رضـا بـاالأ ع).	قة ولاء .	قة اعتزاز.	قة ملائمة ل المجتمع)
رة	قة نفور دم الرغبـة ف نمـاء إلـ رة).	قة اهتزاز طراب صراع بـ المجتمع).	قة عضوية. ومة وأبوة وأخوة)	قة تفاهم.	قة انتماء.
جية	قـة ظـن (فقد ة).	قة شك ن أجل الشك).	قـة تقـدير (تقـا اني).	قة توادد عل ورضا).	قة وجدانية
لاق	قـة هدميه (فع ر وتجنب فع ر).	قـة تجنبيـه (فع ر وتجنـب فعـ ـ).	قة بنائية .	قة منطقية.	قة تلازمية.
رم	قة إثارة ت الانتباه)	قة تبذير.	قـة جـود (عطـاء بـدو).	قة عطاء.	قة سخاء
خل	قة تقتير	قة شح.	قة حرص .	قة اعتدل	قة ضمان.

داقة	قة مصلحة	قة تنصل	قة وفاء.	قة تقارب	قة إيثار.
نس الآخر	قة انتقاص	قة حذر	قة اعتراف. عتـــــراف بــــــالحقو جبات والمسؤوليات)	قة تماثل	قة مساواة.
ـــــــلو تماعي	قة ايذائية	قة ترددية	قة رضائية.	قة ترابطية	قة وفاقية

ثانيـا: أحـداث التغييـر فـي المسـتويات القيميـة وفقـاً للقـيم والمعـايير الإنتاجيـة (الاقتصادية) كما هو موضح بالجدول رقم (2)

الجدول رقم (2)

لة القيمية.	يل من حيث هو		يـل إلـى حيث ب حداث التغيير)	اث النقلة ناعة المستقبل)	
المستويات ية	ـــتوى القيمـ ني .	ـــتوى القيمـ سحابي.	ـــتوى القيمـ ي.	ـــتوى القيمـ لعي.	ـــتوى القيمـ ضوعي.

صادية	قة نفعية .	قة استهلاكية.	قة إنتاجية.	قة تخطيطية.	قة إستراتجية.
عية	قة حذاقة سب المنفعة).	قة تقليدية .	قة إتقان	قة تأهل.	قة خلق وابتكار
لية	قة اتكالية.	يفيه نعثــر فــي العمـ لاق المبررات).	قة التزام.	رة لانخـــراط فـــ لات العمل).	قة انتظام.
ة	قة تفرج.	قة انبهار	قة توظيف.	قة مواكبة .	قة تسابق.
ز	قة غش.	قة تباطؤ.	قة مثابرة	قة اهتمام.	قة تصميم.

ثالثا: أحداث التغيير في المستويات القيميـة وفقاً للقيم والمعايير السياسـية كما هو موضح بالجدول رقم (3)

الجدول رقم (3)

لة القيمية.	يل من حيث هو	يل إلى حيث ـ حداث التغيير)	اث النقلة ناعة المستقبل)

المستويات	ـــتوى القيمـــ ني .	ـــتوى القيمـــ ىحابي.	ـــتوى القيمـــ ي.	ـــتوى القيمـــ لعي.	ـــتوى القيمـــ ضوعي.
ر	قــة انقيــاد (دو بعاب للحدث).	قة تعارض	قة فهم.	قة نضج.	قة تفهَّم راك المحـــــــــب رجي للحدث).
اسة	قة إقصائية.	قة إينابية.	قة ديمقراطية	قة استيعابية	قة شفافية.
طة	قة احتّكار	قة خنوع.	قة مشاركة	قة حوار .	قة سيادة.
قع (المركز)	قة استغلالية	قة تعويضية	قة خدمية ديم خدمات لم ق الأمر بهم).	قة طموحيه.	قة اتزان حقيق التوازن).
تقلالية	قة استبداد.	قة تسيب ـــــدم التقيــــ ـــــــــــالنواه سوابط)..	قة انضباط تــزام بمــا يقــ تمع).	قة تكامل.	قة توافق..
ية	قة انفلات.	قة تعبير	قة إرادة.	قة قرار .	قة مسؤولية

رابعا: أحداث التغيير في المستويات القيمية وفقاً للقيم والمعايير النفسية كما هو موضح بالجدول رقم (4)

الجدول رقم (4)

لة القيمية.	**يل من حيث هو**		**يـل إلـى حيث ل أحداث التغيير)**	**ث النقلة ناعة المستقبل)**	
المستويات	ــتوى القيمـ ني .	ــتوى القيمـ سحابي.	ــتوى القيمـ ي.	ــتوى القيمـ لعي.	ــتوى القيمـ ضوعي.
خصية	قة نرجسية مبالغة في تقد).	قة انطوائية	قة تفاعلية.	قـــة إقتدائيـ قتـــداء بالقـــد سنة).	ـقة عقلانية.
ت الذات	قة شخصانية ا كل شيء).	قة مبالغة ا والا..).	قة عاطفية ن كل شيء).	قة منطقية ا والآخر).	قة عقلية ن سويا).
ميرية	قة استغفال.	قة غفلة.	قة صحوة	قة انتقاء.	قة تحكيم.

جب	قة اتكالية	قة مزاجية.	ـبـــــة (تأديـــ ائف).	قة تطوّرية طـــوير مســـتو اء).	قة إخلاص.
يقة	قة إخفاء.	قة التفاف .	قة إظهار.	قة وضوح	قة حُجة.
ع	قة رفض.	قة تذبذب.	قة قبول.	قة اقتناع .	قة ملازمة
سية	قة زهو	قة نزوة.	قـة متعـة (إشـبـ ة).	قة رفعة ذوقية.	قة نشوة.

خامسا: أحداث التغيير في المستويات القيميـة وفقاً للقيم والمعايير الذوقيـة كمـا هو موضح بالجدول رقم (5)

الجدول رقم (5)

لة القيمية.	**يل من حيث هو**		**يـل إلـى حيـث أحداث التغيير)**	**ماث النقلة ناعة المستقبل)**	
المستويات / القيم	ـــتوى القيمـ ني .	ـــتوى القيمـ سحابي.	ـتوى القيمي الذاتي	ـــتوى القيمـ لعي.	ـــتوى القيمـ ضوعي.

دية	قة عبثية	قة وهمية	قـة التفـات (اهتم اية).	قة تأمل.	قة تفكر
ية	قة تظاهرية.	قة غيبية	قة عقيدية.	قة قدسية.	قة استبصارية
عادة	قة استحواذية.	قة إشباعية	قة استجمامية.	قة عطائية.	قة إنجازيه.
ال	قة غيرة حسـس مـن ك ل).	قة عابرة	قة تمعُّن .	قة مقارنة.	قة قياس.
	قة استهجان	قة راحة.	قة استمتاع.	قة انسجام.	قة ارتقاء.
ب	قـــة وصـــول ق الآخرين)	قة تعويضية	قة تحريضية.	قة استجابية.	قة إبداعية.
يعة	قة تخريب.	قة خضوع.	قة استثمار.	قة إنماء.	قة إعمار.

سادسا: أحداث التغيير في المستويات القيمية وفقاً للقيم والمعايير الثقافيـة كما هو موضح في الجدول رقم (6)

الجدول رقم (6)

لة القيمية.	**يل من حيث هو**		**يـل إلـى حيـث ك حداث التغيير)**	**ماث النقلة ناعة المستقبل)**	
المستويات	ستوى القيم ني .	ستوى القيم سحابي.	توى القيمي الذاتي	ستوى القيم لعي.	ستوى القيم ضوعي.
الثقافة	قة تظاهر.	قة ادعاء.	قة تهذيب قيـة الـنفس مـ رائب)	قة تواصل	قة تحضر جمـة المعرفـة إلـ ك).
مية	قة تمييزية جل التفرقة).	قة مزاجية	قة معيارية.	قة تميّزية.	قة إنسانية
صيل	قة مظهرية لاهتمـ ظاهر).	قة ضرورية .	قة وجوبية .	قـة اسـتزاد جـل المزيـ رفي)	قة معرفية

حة	قة هاجسية ـــوهم وجـــ ض).	ـقة إهمالية.	قة إلمامية إحاطـــة بـــالأم حية).	قة وقائية.	قة تحصينية
عام	انية بش لأكل).	قة عشوائية.	بمية التـــزام بالقواعـ حية للطعام).	بارية ختيــــار وفـ جة).	قة انتقائية ـتقـــاء الطعـــام د دود الصحي).
ن وقت)	قة تفريط .	قة قلق ــاقص رصـ ر).	ـقة تقدير.	قة تنويع	قة احترام
ضة	قة هدر ضيعة للوقت).	قة تفرج .	قة ممارسة .	قة تفوق.	قة نشاط

ولأن المعلومات تحتاج لتصنيف وتحليل من قبل الباحث وبكل موضوعية، لذا يجب على الباحث أن يخضع إشكالية أو مشكلة بحثه إلى الاختبار التقييمي المحايد قَبل أن يعرضها بشكل نهائيا على لجان المناقشة والإجازة من حيث معرفة الآتي:

الصدق والثبات:

الباحث الموضوعي دائما يسعى لأن يكون صادقا فيما يقوم به من جهود بحثية ولذا فهو يلتجئ إلى استخدام وسائل بها يتم الاحتكام على ما قام به من جهد علمي، ولذا فإن الصدق والثبات وسائل علمية متفق على استخدامهما لقياس استمارة الاستبيان أو أي وسيلة من الوسائل المعترف بها في تجميع المعلومات من مجتمع البحث أو العينة المأخوذة منه، ولذلك فقياس الأداة في دائرة الممكن يتوافق مع الموضوع من حيث الآتي:

1 . القياس القبلي: وهو الذي يقاس فيه مدى صدق الاستمارة قبل أن توزع على المبحوثين، وذلك بتوزيعها على محكِّمين في مجالات تخصص موضوع البحث، لمعرفة مدى صدق هذه الأداة المستخدمة في البحث، هل هذه الأداة تقيس فعلا ما وضعت لقياسه؟

وللتأكد من صدق الأداء هناك صدق المحكِّمين على اعتبار أن المحكم شخص مختص في هذا المجال ويستأنس لتحكيمه عما إذا كانت الأسئلة المصاغة في استمارة الاستبيان تقيس فعلا ما وضعت لقياسه، مما يُعطي للباحث الحق في أن يشير في رسالته إلى انه قد استخدم صدق المحكمين كطريقة في تقدير صدق أداة الرسالة.

2 . القياس أثناء إجراء التجربة: وهو كما يجري من بحوث على المجموعات التجريبية الضابطة منها والمناوبة.

3 . القياس ألبعدي: هو قياس لمعرفة مدى ثبات المعلومات المفرَّغة من قِبل الباحث ومحكّم أو محكِّمين محايدين.

الثبات:

في البحوث الاجتماعية والإنسانية يجب إثبات صدق الأداة أو المقياس المستخدم في البحث وذلك لإظهار صدق المقياس وثباته على جماعتين أو عينتين بحثيتين أو مجتمعين تحت سيطرة موضوع البحث حتى تكون النتائج لكل فئة أو عينة أو جماعة تختلف عن نتائج الفئة أو العينة أو الجماعة الأخرى، وإن لم تختلف نتائج المجموعات المقارنة لا يمكن أن يكون المقياس صحيحا أو دقيقا.

الثبات يدل على اتساق النتائج، بمعنى إذا كرر الباحث القياس وتحصل على النتائج ذاتها فإن ذلك يعني الثبات الذي يدل على وجود معامل ارتباط يمكن قياسها، وأكثر الطرق شيوعا لقياس الصدق والثبات هي طريقة (كرنباخ الفا) التي

تعتمد على الاتساق الداخلي وتعطي فكرة عن اتساق الأسئلة مع بعضها البعض ومع كل الأسئلة بصفة عامة.

ومن مقاييس الثبات أيضا طرقة إعادة الاختبار وطريقة الصورة البديلة وطريقة تجزئة الاختبار إلى نصفين.

ومن مقاييس الثبات أيضا القياس البعدي وهذا يتم مع البحاث الذين يستخدمون تصانيف قيمية سبق وإن حُكِّمت من قِبل محكِّمين وتم اعتمادها استمارة للتصنيف القيمي، وهذه الوسيلة موثوق بها فلا تخضع للتحكيم ولا تُعرض من جديد على محكمين. ولهذا فيكون التحكيم بعدي أي بعد أن تتم عملية تجميع المعلومات باستمارة التصنيف من المصادر المكتوبة يمكن للباحث أن يختار أحد الأسلوبين لتحكيم جهده بموضوعية:

أ . أن يُقيِّمَ نفسه موضوعيا عبر الزمن، أي بعد أن يُفرِّغ المعلومات في استمارة التصنيف من الوثيقة أو المخطوط أو المؤلف أو الخطاب والنص يترك فترة زمنية خلال شهر من زمن المجهود الأول ثم يعيد القراءة ويفرِّغ من جديد الوثيقة (أي وثيقة كانت) ويقارن بين جهده الأول وجهده الثاني ويُقيِّم ذلك موضوعيا.

ب . أن يشارك باحثا آخر أو أكثر قراءة الوثيقة أو الخطاب أو النص ويطلب منه تفريغ ذلك المؤلف في ذات استمارة التصنيف القيمي على أن لا يقل مستوى المحكمين العلمي عن المستوى العلمي الذي هو عليه، مع مراعاة التخصص والاهتمام، ثم بعد ذلك تتم عملية المقارنة بين ما قام به الباحث من جهد موضوعي وبين ما قام به المحكِّم أو المحكِّمين، وإنْ ظهر بينهم اختلافا ينبغي العودة إلى الأستاذ المشرف.

وعليه فإن القياس البعدي هو قياس الثبات، أي لمعرفة هل هناك ثبات في المعلومات المفرَّغة في استمارة التصنيف أم لا ثبات لها، أمَّا من حيث الصدق فإن

استمارة التصنيف المعتمد بآراء المحكمين والتجريب المسبق فلا تتطلب اختبار الصدق.

طرق قياس الثبات:

1 . طريقة إعادة التطبيق (قياس الاستقرار) صورة واحدة من الاختبار تطبق مرتين ويحسب معامل الارتباط بين درجات الأفراد في التطبيقين ويمكن استخدام مقياس (بيرسون & سبيرمان 00000).

2 . طريقة إعادة التطبيق بصور متكافئة (قياس الاستقرار والتكافؤ) وذلك بإعداد صورتين متكافئتين من الاختبار والتطبيق في وقت واحد، وحساب معامل الارتباط بين درجات الأفراد في الصورتين.

وكذلك يمكن تطبيق صورتين متكافئتين من الاختبار تفصلهما فترة زمنية تسمح بظهور اثر المتغيرات إن وجدت، ثم يتم حساب معامل الارتباط بين درجات الأفراد في الصورتين.

3 . طريقة التجزئة النصفية (قياس الاتساق الداخلي) تطبيق الاختبار مرة واحدة، وتقسيم الدرجات إلى نصفين وحساب معامل الارتباط بينهما، أو تباين درجات كل نصف على حدة والدرجة الكلية للاختبار والتحقق من تكافؤ نصفى الاختبار ثم حساب معامل الثبات باستخدام واحدة من معادلات العلماء المعتمدة: (سبيرمان وبروان) أو (رولون) أو (جتمان) أو (فلت) أو (فلانجان) أو (هورست) بقياس بيانات (صفر).

4 . طريقة تباين المفردات (قياس الاتساق الداخلي) على أن يتم تطبيق الاختبار مرة واحدة، ثم استخدام واحدة من المعادلات الآتية:

كودر – ريتشارد سون (صفر أو 1).

معامل ألفا (صفر ، 1 ، 2 ، 3 ، 000).

الصدق:

في العلوم الاجتماعية والإنسانية يقاس صدق المحتوى بتقدير الأداة أو المقياس حيث إجراء مقارنات بين كلمات أو أفكار محددة أو مفردات متعددة بوجودها فعلا على المقياس بأفكار محددة أو مفردات متعددة أخرى يمكن استخدامها.

وعليه فالنتائج حقائق يُستدل عليها بسابق، ويستدل بها على لاحق، وهي تدرك مباشرة من التعرف على أثر المتغيرات وكشف العلاقات بينها ومدى تأثيرها على الفعل والسلوك على من يتعلق الأمر بهم فردا أو جماعة أو مجتمع (المستهدفين بالفعل البحثي).

أنواع الصدق:

1 . الصدق الظاهري: هو قياس الوجه الظاهري للاستبيان من حيث كونه يدل على قياس ما وضع لقياسه.

2 . صدق المحتوى: الذي يتم قياسه بمعامل الارتباط وذلك لمعرفة قياس محتوى الأداة وما إذا كان يقيس أبعاد ومفاهيم البحث.

3 . صدق المضمون: يتعلق بالبناء ألمفاهيمي بحيث تقيس الأداة المفهوم موضوع البحث.

ويتحقق صدق المضمون لمَّا تكون البنود المكونة للاختبار ملائمة وموافقة للبناء المقصود، ولمَّا يحلّل مضمون اختبار معين فهو يهتم بنقطتين رئيستين:

أ . معرفة إلى أي مدى تغطي بنود الاختبار مجموع البناء (المفهوم).

ب . معرفة إلى أي مدى لا تحتوي بنود الاختبار على متغيرات غير ملائمة.

ويستعمل صدق المضمون لمَّا تصمم الاختبارات والسلالم، وعلى الباحث في هذه الحالة أن يختار البنود التي تسمح له بقياس قدر المستطاع مختلف أوجه البناء (المفهوم) مع تفادي وضع بنود غير ملائمة، ومن المفيد في هذه الحالة الرجوع إلى خبراء محكَّمين ويطلب منهم تقييمهم لصدق مضمون كل بند من بنود الأداة المصممةK وذلك من خلال تقدير ارتباطه بالبناء المقصود ويحتفظ بعد ذلك بالبنود التي رأى الخبراء أنها ملائمة ومهمة.

4 . الصدق العاملي: يهتم بتحليل الصفة المقاسة إلى عناصر وذلك لأجل معرفة مدى قياسها للصفة المقاسة.

5 . صدق المحك: يعنى مدى ارتباط المقياس مع معيار محدد (محك) فيكون الاختبار ناجحا إذا كان المحك صادقا في الكشف عما جاء به المحك، ويعني بصدق المحك دراسة مدى قدرة الأداة المصممة على التنبؤ بالسلوك في وضعيات متنوعة، أي مدى استطاعة الأداة التنبؤ بمحك معين (السلوك أو الوجدان والإدراك المعرفي (Cognition) ويأخذ هذا التنبؤ شكلان:

أ . الصدق الترابطي: يدل على اتفاق نتائج مقياسين يقيسان نفس الصفة على أن يكون احدهما معروف بالصدق والثبات، وتُقيَّم قدرة الاختبار بتطبيق كل من الاختبار والمحك (الاختبار المحك) في آن واحد، ثم يحسب الارتباط بين الدرجتين وكلما كان الارتباط مرتفعا كلما كان الصدق الترابطي مرتفعا.

ب . الصدق التنبؤي الذي يعتمد على مدى تنبؤ المقياس بالواقع الذي يستهدفه بالبحث.

الفصل الثانـي عشر

تحليل المعلومات والبيانات

واستخلاص النتائج

تحليل المعلومات والبيانات:

التحليل analysis عملية تتبع وتقصي دقيق للمتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة في الموضوع، مع اكتشاف العلائق ومؤثراتها السالبة والموجبة على الحالة قيد البحث والدراسة، فهو يرتبط بالمعلومة المؤثرة على الفعل والسلوك وعلى القاعدة والاستثناء. وهو المؤدي للتبيُّن والتعرُّف والاستكشاف عن وعي وبدلائل وحُجج مثبتة، وفقا لدائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

بالتحليل تتحدد الأفعال والأقوال والسلوكيات وتكراراتها وعلائقها السالبة والموجبة حتى يتم بلوغ النتائج المبدئية وعرضها في جداول وأشكال بيانية لإظهار الحقائق التي تستدعي التعميم والتي في حاجة للتقييم والتقويم.

وفي مهنة الخدمة الاجتماعية تُعد عملية التحليل من عمليات دراسة الحالة، وهي الحلقة التي تتوسط عمليتي جمع المعلومات وتشخيصها. ولذا يقوم الأخصائي الاجتماعي المتمكن بمهارة وفن باستقراء العلل والأسباب التي تكمن حالة العميل فيها، حتى يتمكَّن من اكتشاف العلاقات بين متغيراتها المستقلة والتابعة والمتداخلة من خلال تفكيكه للمعلومات المتوفرة والمتاحة بين يديه.

تصنيف المعلومات والبيانات:

إن المعلومات والبيانات التي تم تجميعها، قد تكون كثيرة ومتداخلة، مما يجعل صعوبة في تبيان العلاقات بين المتغيرات التي كانت وراء ظهورها أو وجودها، وهذا يتطلب من الباحث أن يصنفها ويبوبها، من اجل تبيانها بكل دقة ووضوح، ومن اجل تسهيل عملية تحليلها تحليلا موضوعيا.

ويتم تصنيف المعلومات والبيانات حسب المتغيرات الرئيسة، والقيم المشتركة في الخصائص، والصفات للتمييز بينها، من اجل إبراز اثر كل متغير على الحالة أو وعرضها دون التباس أو تداخل.

التصنيف يساعد على عرض وتبيان المعلومات المتماثلة، والمعلومات غير المتماثلة عن طريق توحيد المتماثل، وتفريق غير المتماثل وتصنيفه حسب الخصائص، والصفات التي يتميز بها كل متغير أو عنصر من العناصر المبحوثة أو المدروسة.

وبما أن تصنيف المعلومات وفق المتغيرات التي تشتمل الدراسة عليها، إذاً من الضرورة مراعاة قيم المتغيرات في التصنيف، وبما أن التصنيف حسب الخصائص والصفات، إذاً التحليل يكون بينها وبين آثارها. فإذا كان تصنيف المعلومات والبيانات حسب الديانة، والجنسية، والنوع، فينبغي مراعاة القيم التي تندرج تحت كل منها.

فتصنيف الديانة على سبيل المثال ينبغي أن يكون مبوَّباً وفق كل ديانة على حده، المسلم في خانة لا يندرج تحتها إلا المسلم، والمسيح في خانة لا يندرج تحتها إلا المسيحي، واليهودي في خانة لا يندرج تحتها إلا اليهودي، وقد يتم تصنيف أصحاب الديانات تحت تبويب (المسلم) في خانة من خانات الجدولة التي تسمح بأن يكون أصحاب الديانات الإبراهيمية في خانة واحدة هي (خانة المسلم) ومن لم يكن مسلما يصنَّف في خانة (غير المسلم).

وإذا كان التصنيف حسب الجنسية، توضع قيم كل جنسية في عمود لوحدها، فإذا كانت الجنسيات المشتركة في الدراسة هي الليبية والمصرية والسورية والتونسية والانجليزية والفرنسية، فيمكن أن يكون التصنيف حسب هذا العرض، لكل الجنسيات التي ذكرناها، وقد يكون التصنيف إلى عربي، وغير عربي، بحيث تشتمل الأولى على كل القيم التي تحمل الجنسية العربية، وفق الأقطار التي تم ذكرها باعتبارها مفردة من مفردات البحث، وتشتمل الثانية على من لم يكن عربيا، وهم الانجليز، والفرنسيون، الذين شملتهم الدراسة. ويراعى في تصنيف المعلومات أن لا يخلط الباحث في عرض بياناته الكمية بين الجنس، فعليه أن يراعي في

عرضه لمعلوماته وبياناته وجود خانة خاصة بالذكور وأخرى للإناث، وذلك لأجل دراسة متغير الجنس على متغيرات أخرى صحةً أو تعليما أو إنتاجا وغيره كثير، وعلى الباحث أن يُراعي متغير العمر، وهكذا ينبغي تبويب وتصنيف وعرض البيانات في جداول إحصائية لتكون المعلومات جاهزة للتحليل.

يعتبر تصنيف المعلومات وعرض البيانات القاعدة الأساسية التي تمكن الباحث من التحليل العلمي المنظم، ويعتبر المرآة التي تعكس المعلومات في كميات وأعداد وموازين قابلة للقياس المعياري.

يتضمن التصنيف العلمي نوع الأسئلة، المفتوحة، والمقفلة، والأسئلة المفتوحة المقفلة، والأسئلة محدودة الإجابة، وذلك بعرض كل القيم التي يحتوى عليها كل سؤال وحسب المتغير الذي يتضمنه.

وهكذا يصنف الكل مع الكل، والجزء مع الجزء، والمتجزئ مع المتجزئ، لان المقصود من عملية التصنيف هو ترتيب المعلومات والبيانات، وتقسيمها إلى فئات بحيث توضع القيم المتشابهة في فئة واحدة.

عرض المعلومات والبيانات

بعد أن تُصنَّف المعلومات والبيانات، تسهل عملية عرضها بشكل يسهل على الباحث تحليلها، وإجراء المقارنات بينها وبين متغيراتها المستهدفة بالبحث وفقا لما تمت صياغته في الأهداف والفروض أو التساؤلات.

وتعرض المعلومات بطرق متعددة ومتنوعة من باحث لآخر، وفق الآتي:

1- عرض المعلومات إنشائيا:

تصنف المعلومات وتعرض بصيغة تبيِّن أو تظهر العلاقات بين المتغيرات، والصفات، والخصائص، ويتم التعبير اللفظي عليها سواء أكانت المعلومات والبيانات كمية أم كيفية.

2 – عرض المعلومات والبيانات في جداول:

خاصة إذا كانت الدراسة أو البحث يحتوى على كميات وقيم كمية تعبر عن قيم متعددة ومتنوعة ومختلفة أحيانا، ويكون كل عمود خاصا بقيم متغير من المتغيرات البحثية، سواء أكان مهنة، أم جنسا أم مرحلة تعليمية، أم حالة صحية أم جنسية أم ديانة، ولكل من هذه العوامل قيم تتعدد حسب تصنيف الباحث لها، وحسب تصنيفه لها يتم عرضها في جداول إحصائية، تختصر للقارئ الزمن الذي قد يستغرقه أكثر لو أنها لم تُعرض في شكل علمي يبين قيمها الدّالة عليها.

3 – عرض البيانات والمعلومات بيانيا:

تعتبر الرسومات البيانية وسائل إيضاح هامة في تبيان وتوضيح المعلومات والبيانات بشكل علمي تسهّل على القارئ، والباحث المقارن، الإلمام بالمعلومات والبيانات، وعرض البيانات والمعلومات بيانيا يأخذ أشكالا متعددة منها المنحنيات والأعمدة والدوائر والمضلعات وغيرها كثير وعلى درجة عالية من الأهمية.

4 – عرض المعلومات والبيانات بأكثر من طريقة:

كلما زاد اهتمام الباحث بالموضوع كانت قدراته العلمية والفنية على درجة عالية من الذوق الرفيع في عرض البيانات والمعلومات بأساليب وطرق تشوّق القراء إليها وتستوقفهم بالانتباه إليها والتعرُّف بيُسرٍ على متوسطات نزوعها وتشتتها وتمركزها ومقاييسها المعيارية والإحصائية، ولذلك ينوع الباحث عرض معلوماته إنشائيا، وبيانيا، وفى جداول إحصائية ورسومات بيانية.

تحليل المعلومات والبيانات:

لا قيمة للمعلومات والبيانات إذا لم تُحلل وتُفسَّر وفق منهج علمي واضح، لان تكديس المعلومات بدون تحليلها لا يحقق نتائج تجيب على تساؤلات الباحث أو فروضه العلمية التي صاغها وفقا لأهداف بحثه التي استمدها من مشكلة البحث أو إشكاليته بموضوعية.

ولكي لا يضيع جهد الباحث هباء منثورا، عليه أن يحلل المعلومات والبيانات التي جمعها وتحصَّل عليها من مصادرها، وحسب ظرفها الزماني والمكاني الذين تأثرت بهما دون عاطفة شخصية، أي ينبغي أن تحلل المعلومات وفقا لمعطياتها وعلل وجودها، لا أن تحلل بمعطيات خارجة عنها، وذلك من اجل أن ينصب التحليل على الموضوع لا على ما هو خارج عنه، وعند تحليل المعلومات ينبغي ربط المتغيرات ذات العلاقة بالظاهرة مباشرة، والتركيز عليها بتبيان المستقل منها والتابع وعلاقتهما بالمتغير المتداخل أو الدخيل عليهما، وتبيان آثار كل منها سواء أكانت ايجابية أم سلبية، وسواء أكانت أساسية أم ثانوية. فإذا افترضنا أن الصحة متغير مستقل، وان ارتفاع المستوى الصحي بين أفراد المجتمع يؤدى إلى زيادة الإنتاج، إذاً زيادة الإنتاج في هذه الحالة هي المتغير التابع، وذلك لأنه مترتب عليه، أو ناتج عنه. وإذا كانت الحالة الصحية لأفراد المجتمع جيدة، بسبب ارتفاع نسبة التعليم، فإن التعليم في هذه الحالة يكون هو المتغير المستقل، وتكون الحالة الصحية هي المتغير التابع. ولذا فالمتغير المستقل هو الذي يؤثر في متغير آخر وأحيانا يكون نتيجة له.

والتحليل العلمي لا يؤمن بالمطلق الذي لا يثبت، بل يؤمن بأن الأشياء قابلة للإثبات الموجب والإثبات السالب، وكذلك قد تكون قابلة للنفي، وكل شيء ينبغي أن يحلل وفق معطياته. ولهذا الدين كمتغير يفهم ويحلل من داخله وبفلسفته لا من خارجه، فإذا استهدفنا تحليل الدين الإسلامي بما يتضمنه من مثل وفضائل، فلا نحلله بمنظور اليهودية، أو المسيحية، ولا نفسره بهما، بل نحلله ونفسره بفلسفته التي هو عليها، وإذا حاولت العلوم المعاصرة أن تفسر الأديان ولم تستطع، فهذا لا يعني وجود الغموض في الأديان، بل يعنى قصورا في المنهج أو الطريقة أو الأسلوب أو الوسيلة البحثية المستخدمة في البحث أو الدراسة.

ولذلك إذا لم يكن المنهج المتبع مستمد أو مستنبطا من الأديان كموضوع، فإنه لا يُمكِّن من التعرف عليها أو البحث فيها. والعلوم التجريبية إذا حاولت أن تتعرف على الميتافيزيقا ولم تستطع إثباتها، فلا يعني ذلك عدم وجودها، بل يعني قصور العلوم التجريبية عن معرفتها، أو قصور منهاجها وطرقها وأساليبها ووسائلها، ولهذا لو أستمد المنهج الذي يتبع من قبل بعض التجريبيين في دراسة الميتافيزيقا من الموضوع قيد البحث والدراسة لكان خير منهجٍ أو طريقة أو أسلوبٍ، ولهذا يكون من الصعب أن يصل الباحث التجريبي إلى هذه المعرفة إذا لم يتبع المنهج المناسب لذلك أو الطريقة المناسبة لذلك.

إن التحليل العلمي لا يخضع للمزاج الشخصي، بل يخضع للأحكام والقوانين العامة، والنظريات ذات العلاقة بالموضوع. إن الآراء والاتجاهات التي لا تقبل الرأي الآخر من اجل أن تفرض رؤاها، كما حدث للماركسية، فإنها متعصبة وقاصرة وزائلة، ولذلك ينبغي على الباحث الذي ينتقد الآخرين بموضوعية أن يتقبل نقد الآخرين له ولِما يجريه من بحوث ومؤلفات بموضوعية فإن قَبِل بذلك تطوَّر وإن لم يقبل لن يتطوَّر.

يعتبر التحليل عملية عقلية يستند على معطيات (معلومات) ويؤدى إلى نتائج تؤدي إلى معالجات وحلول ويترتب عليها مقترحات موضوعية، ويعتبر التحليل حلقة وصل بين مرحلة تجميع المعلومات والبيانات ، وبين مرحلة الوصول إلى النتائج، مما يجعل النتائج مترتبة على المعلومات، وكامنة فيها.

عناصر التحليل العلمي:

1- **الظاهر:**

وهو تحليل المعلومات وفق البيانات المشاهدة، والمحسوسة سواء أكانت سلوكا أم شكلا أم كما، ولذا فالظاهر هو الذي يمكن التوقف عنده من اجل التعرف عليه. وليس كل ظاهرا واضحا، بل معظم الظواهر تحتاج إلى توضيح، سواء أكانت

ظواهر طبيعية أم اجتماعية، والتوضيح هو تبيان ذلك الظاهر بما ظهر به عن الكامن، وبما ظهر عنه من أفعال أو أقوال، أو إنتاج، فالإنسان كقيم كامن في الإنسان كشكل، والسلوك كتصرف ظاهر من الشكل، أي ظاهر من الظاهر، فالانحراف السلوكي على سبيل المثال هو خروج عن الكامن بالظاهر.

وعليه، الإنسان كشكل ظاهر يصعب الحكم عليه بأنه خيرا أو شريرا إلا بعد التعرف عليه عن قرب بالمشاهدة والملاحظة، وعند قيامه بسلوك وأفعال يمكن التأكد منها سلبيا أو ايجابيا، وكثيرا ما يكون الظاهر نتيجة للكامن، ووسيلة للتعرف عليه. ففي التحليل النفسي يكون الظاهر وسيلة للتعرف على الكامن، ويكون الكامن غاية لإصلاح الظاهر. ولهذا يتم التعرف على الكامن بالظاهر ويتم إصلاح الظاهر بالكامن.

ومع أن الظاهر لم يكن هو كل شيء في العلوم النفسية والاجتماعية إلا أنه في العوم الطبيعة يُعد هو المتغير الرئيس الذي به يتم الاستئناس للمعلومة قبل إخضاعها للتحليل وبعد إخضاعها للتحليل، ولهذا تُجرى التجارب في المعامل والمختبرات على المشاهد المحسوس الذي يخضع للتجريب عليه لا التجريب من اجله، كما هو حال الحيوانات والطيور والنباتات التي تُجرى التجارب عليها غاية من اجل الإنسان الذي لم يُخضع للتجريب الذي يُعرضه للمخاطر.

2 – **الكامن:**

هو المضمون الذي يحتوى عليه المشاهد، أي أنه جوهر الشكل والصورة، ولهذا المعرفة العلمية النفسية والاجتماعية يهتمان بالكامن في التعرف على الأشياء أثناء تحليلها، ولذلك فإن كل ظاهر تكمن حقائق وجوده فيه، ومعرفة الظاهر علميا تتحقق بالتعرف على جوهره، على أسراره وخفاياه، ولهذا الإنسان يكمن في جوهره كما يكمن في بصماته، وعليه أن دراسة الظاهر في العلوم الاجتماعية والنفسية لا تكون غاية في ذاته، بل الغاية فيما وراءه.

إن تحليل البصمات لم يكن الغاية منه التعرف عليه، بل الغاية معرفة صاحبه، ثم معرفة علاقته بالفعل المرتكب، وكذلك معرفة العلل والأسباب التي دفعت الإنسان إلى ارتكابه، وهنا تكمن الحقيقة موضوع البحث.

ولذا فعند ما يختفي الشيء عن الحس ولم يتم التعرف عليه بالمشاهد، يكون في حقيقة أمره كامنا في الشيء ذاته. وليس معنى ذلك أن الكامن هو الذي لا يشاهد، بل كثيرا من الأشياء الكامنة يمكن مشاهدتها، ولا يمكن التعرف عليها إلا بعد معرفة مكمنها، فالسارق قد يقوم بفعل السرقة، ولم يتم القبض عليه، وقد يكون بيننا عند بحثنا عن السارق وآثاره لكي يبعد عنه شبه ارتكاب الجريمة، أي وكأنه لم يكن سارقا، وبعد إجراء عملية المقارنة البصماتية، تم القبض عليه فكان هو السارق.

إذاً الإنسان كظاهر يكمن في بصماته، كما تكمن المطر في السحاب، وكما يكمن الزيت في حبة الزيتون، وهكذا يكمن الكائن في النطفة وتكمن السنبلة في البذرة، وبناء على ذلك قد يكون الكامن مشاهدا، وقد لا يكون، ولكن من اجل المعرفة العلمية ولكي تكون متكاملة ينبغي أثناء تحليل البيانات والمعلومات، أن يُربط المشاهد والملاحظ بالكامن حتى لا تكون المعرفة قاصرة.

3- **الشك:**

مع أن الباحث العلمي يستخدم أدوات هامه في تجميع المعلومات والبيانات كالمشاهدة، والملاحظة، والمقابلة، والاستبيان، والتصنيف القيمي المعياري، إلا أنه لا يثق في كل ما هو ظاهر، إلا بعد التأكد منه، بإخضاعه للقياس، والتحكيم العلمي، سواء أكانت تلك المعلومات معطيات أم براهين، لان الباحث ينبغي أن يتعرف على الأشياء بيقين لا بسداجة، ولذلك يبحث عن أسباب التسليم فيها. فالشك عملية عقلية واعية ووسيلة علمية في البحث والتقصي الفطن، والتتبع الدقيق، من اجل التعرف بقناعة وانتباه، ولهذا لا يمكن استخدام هذه الوسيلة عند ضعاف القدرات العقلية، مما جعل الواعين متميزين بها، وجعل البحاث مهتمين

وغير غافلين عنها. ويستمر الشك العلمي إلى أن يصل الباحث إلى الثقة في المعلومة التي يتقصى حقائق وجودها، أو إثبات عدم وجود ما يدل عليها، او بطلانه.

نحن نعرف أن الإنسان متميز عن غيره من الكائنات بالعقل والصورة، ولكن هل كل إنسان عاقل؟

إذا كان تحليلنا للمعلومة وفق المنطق الأرسطي المعتمد على مقدمتين ونتيجة وحسب صياغتنا لها في الآتي:

كل إنسان عاقل

وعبد الودود إنسان

إذا عبد الودود عاقل .

نقول: ليس بالضرورة أن تكون النتيجة علمية وموضوعية حتى وإن كانت منطقية ولهذا لا ينبغي أن نحكم بالمطلق وفقا للمقدمتين السابقتين والنتيجة الأرسطية التي تستوجب وفقا لشروطها أن يكون عبد الودود عاقلا، ولهذا يكون الشك سائدا في مدى تطابق عقل عبد الودود مع النتيجة الأرسطية، وسيظل هذا الشك إلى أن تتم مقابلة عبد الودود، أو مقابلة من هم على معرفة به، مع مراعاة إخضاع القول إلى التأكد بمصادق، بعدها يمكن للباحث أن يحكم على صدق النتيجة السابقة أو بطلانها، فإذا ثبتت صحة النتيجة السابقة كان لها مصادق، وإذا لم يكن لها مصادق كانت باطلة، ولهذا يحق للباحث أن يشك فيما تتضمنه المقدمات والنتائج إلى أن يتأكد من صحة مضامينها، وان لا يبنى نتيجة على مقدمات ليس لها مصادق.

وعليه ، التحليل العلمي هو الذي يعتمد على الشك من اجل اليقين، ولم يكن من اجل الشك في حد ذاته، ولهذا يشك الباحث من اجل أن يقبل أو يرفض بقناعة وعلم أو يثبت حقيقة بحقيقة.

4 . الثابت والمهتز:

في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع لا ثابت بالمطلق ولا مهتز بالمطلق وخاصة أحوال الناس وظروفهم الاجتماعية والسياسية والصحية والعلمية والمعرفية والنفسية والذوقية كل يوم الإنسان في شأن، ولهذا فالبحث العلمي عن معرفة الحقائق هو الممكن من معرفتها ثابتة أو مهتزة. وبالتحليل العلمي الموضوعي يتم التعرف على أسباب الاهتزاز وأسباب الثبات النسبي.

المنحرف لن يظل دائما منحرفا، فكثيرا من المنحرفين تغيرت أحوالهم ولم يعدّوا ثابتين على مسيرة الانحراف، وهكذا تتغير أحوال المرضى إلى متعافين وأحوال المتعافين إلى مرضى ولكل أسباب.

تقع المعلومة أو السلوك بين المهتز والثابت إلى أن تُصنَّف بمصادق، فالمعلومة المشكوك فيها مهتزة، والمعلومة المتأكد منها ثابتة. ومع ذلك لا ينفصل المهتز عن الثابت، لان المهتز موجود، والثابت موجود، فإذا عبر الثبات عن الجوهر عبر الاهتزاز عن الصورة.

4 –**الاحتواء على السابق:**

المعلومة وأية معلومة لا يمكن أن تظهر وتنمو وتشب إلا في بيئة اجتماعية مما يجعل لها مرافقة مع البشر والزمن والمكان، وهي دائما في حالة امتداد داخلي أو خارجي أو الاثنين معا، ولهذا فهي عند البحث تحتاج لباحث متقصٍ ودقيق في متابعتها من الزمن الحاضر إلى الزمن والبيئة التي ظهرت فيها من أجل معرفة الأسباب التي دعتها للخروج أو الظهور فكانت ذات أثرٍ سالبٍ أو أثرٍ موجبٍ، ثم يستقراء بها الحاضر وما تشير إليه في المستقبل، ولهذا فالمعلومة دائما تمتد مع الزمن مما يجعلها تحتوي على سابق لا يجب الإغفال عنه عند البحث والدراسة، وإن لم يتم ذلك يجد الباحث نفسه قد غفل عن معطية من المعطيات الرئيسة

للتحليل العلمي والبحث العلمي، ويكون أيضا غافلا عن موضوعية البحث والتقصي الدقيق الذي يستوجب على الباحث أن يتابع المعلومة والمتغيرات التي تحتويها.

يحتوى الزمن الحاضر على كل الماضي بالفعل، وينطلق إلى المستقبل بالقوة، فلو لم يكن هناك ماضٍ ما كان هناك حاضر، فالحاضر هو نتيجة تراكم الزمن الماضي وما يحتويه من معلومات كوحدة ثابتة بالفعل المتحرك (المتغير) الذي كان حاضرا، وبناء على ذلك ينبغي أن ينطلق التحليل الحاضر من الماضي ويحتوى عليه لا أن ينعزل عنه، وهكذا تتكون الأفكار الحاضرة بقوة الماضي وتبحث عن المتوقع بقوة شوق المستقبل وجذبه إليه. ولذا يحدث التغير والتقدم والتطور باحتواء الحاضر على الماضي معلومات وافرة وبيانات دقيقة وإحصائيات موثقة، وإذا لم يتم التعرف على السابق واحتوائه، لا يجد الباحث اللاحق مكانا لبحثه بين بحوث الذين سبقوه في ميادين العلم والمعرفة الواسعة، مما يجعل بحثه مصدرا أو مرجعا للباحثين عن المستقبل. ولذلك لا ينبغي أن ينعزل التحليل الحاضر عن التحليل الذي سبقه حتى وان كان بينهما اختلافا في المنهج والطريقة والأسلوب.

5 – **ربط الداخل بالخارج:**

المعلومة عادة تُستمد من مشاهد أو ملاحظ، أو أنها تنبع من الداخل، والمشاهد دائما خارج العقل والذاكرة التي هي في الداخل، ومن خلال مشاهدة الظاهر يتمكن العقل من الإدراك والاستقراء فيلاحظ ما يلاحظ بعقل وانتباه، وبمجرد أنه بدأ يلاحظ فهو على صلة ورابطة مع الخارج، ولهذا فكما ترتبط الحواس بعضها ببعض ترتبط الأفكار في تحليلها وتفسيرها للمواضيع والنتائج المعبرة عنها، والعلاقة قد تكون قوية وقد تكون ضعيفة بين الأفكار كما هو الحال بين الحواس، كل ذلك حسب درجة سلامته، والحواس هي التي تنقل الأفكار وتترجمها وتحللها وتفسر نتائجها، وتنتقل الأفكار والمعلومات من الداخل إلى الخارج أو من الخارج إلى الداخل، فالظاهر للحواس الخارجية ينتقل إلى الحواس الداخلية (إلى العقل). والمتدبِّر بالعقل

يُمكِّنه أن يُخرج جديدا فيكون شاهدا في الخارج (خارج العقل) أي قابل للملاحظة والمشاهدة، وهذه سَنَّة المبدعين الذين يضيفون الجديد إلى الجديد.

ولذا يرتبط المشاهد والمحسوس بالمجرد كما يرتبط الجوهر بالصورة، ولذلك الموضوع مادة للعقل ومجال للخيال المبدع عندما يثرى بالتفكير الذي يظهر الإبداع من الداخل إلى الخارج من العقل إلى ما يشاهد.

6 – **الاتصال:**

يعتبر الموضوع مادة للبحث، ويعتبر البحث وسيلة لدراسة الموضوع، والمجتمع هو الميدان الذي تجرى فيه دراسة الموضوع المتعلق به، وذلك من اجل التعرُّف عليه، وعند دراسة المواضيع تتصل الأفكار وتترابط في نسيج منهجي ينظم وحدة الموضوع ويظهره في شكله اللائق ليأخذ محله بين البحوث الناجحة التي سبقته في المضمار العلمي.

تتصل الأفكار والمواضيع وتتلاقح من اجل بقائها واستمرارها ونفعها لبني الإنسان، ولأجل كل ذلك فالإنسان في حاجة لأن يحلل متغيراتها ومنطلقاتها والأبعاد التي من ورائها وجعلت بينها صلة ورابطة، وتحلل المواضيع والأفكار علميا عندما يتمكن الباحث من معرفة نقاط الاتصال والترابط التي تنقله من الكل إلى الجزء ثم إلى المتجزئ أو من المتجزئ إلى الجزء ثم إلى الكل، وذلك خلال تقصيه للفكرة أو المعلومة أو المشكلة البحثية، ولا يمكن أن يتضح الموضوع بدون اتصال أفكاره ولا يمكن أن يحلل بدون معرفة نقاط اتصاله.

والباحث كمتقص للحقائق لا يسترسل في أفكاره أو بحثه ودراسته أو تشخيصه أو علاجه للأشياء ما لم تكن أفكاره متصلة وإلمامه بالموضوع متصلا وحدة واحدة، وهكذا تتكون الظواهر والمشاكل من علل وأسباب متصلة ومن الصعب أن تحلل المعلومات والبيانات ما لم يراع الباحثون ذلك الاتصال الذي يربطها فيما بينها في وحدة موضوعية.

7 – **الكل:**

الكل هو ما يدل على الشمول وهو في دائرة الممكن مهما كبر أو عظم فهو لا يخرج عن دائرة النسبية، والكل هو المتضمن للمختزل فيه، والمشتمل على الجزء والمتجزئ منه، فالإنسان كمفهوم كلي يختزل كل البشر من حيث المضمون والجوهر، ولذا ينبغي على الباحث أثناء إجراء عملية التحلي أن يُبيِّن من هو الإنسان المقصود، أي ينبغي أن يحلل هذا المفهوم بما يُمكِّنه من معرفة نوعه (ذكر أم أنثى) الفئة العمرية التي يندرج تحتها (طفولة أم شباب، أو نضج، أم شيخوخة) وأن يبين جنسيته (عربي أم غير عربي) ديانته (مسلم ، مسيحي، يهودي، أم بوذي أم غيره) ولهذا عند تحليل المعلومات يكون التحليل علميا واضحا أي إنسان أعني دون لبس أو غموض. وهكذا كلمة الطير تختزل كل الطيور، ومثلها كلمة النبات هي الأخرى تختزل كل النباتات بجميع أنواعها وأشكالها، ومثلها أيضا الحيوان؛ فأي طير اعني، هل اعني بذلك الحمام، أم الصقور، أم الإوز والبط أم ماذا؟ وكذلك أي نبات اعني؟ وأي حيوان اعني؟ وهل هي نباتات أم حيوانات برية أم بحرية؟

وعليه فالتحليل الكلى تحليل شمولي به يتم استيعاب الموضوع واستيعاب الفكرة التي تتمركز مشكلة البحث عليها، مما يوجب على الباحث الالتزام بالمنهج العلمي الذي يُمكِّنه من تبيان العلل والأسباب وإجراء المقارنات وإبراز نقاط الاتفاق أو الاختلاف أو الإثبات أو النفي.

8 – **الجزء:**

الجزء هو المختزل في الكلي والمحتوى على المتجزئ والمختزل له، فكلمة رجل تختزل كل الرجال فيها، وهى جزء من كلمة إنسان بمفهومها الكلي، وكلمة عصفور تتكون من كل العصافير المتجزئة من كلمة طير، وبمختلف أنواع العصافير وأشكالها وألوانها وأماكن تواجدها، فالتحليل الجزئي هو التحليل الأكثر دقة من

التحليل الكلي، وتختلف طرق التحليل وأساليبه من باحث إلى آخر، فهناك من ينتقل في تحليل المعلومة من الكل إلى الجزء، وهناك من ينتقل من الجزء إلى الكل، فهذه طرق وأساليب لا ينبغي قولبتها، بل يُفضَّل أن تكون المرونة في استعمالاتها حتى لا تكون المناهج وطرق البحث قيدا على العقل الذي دائما يبدع ويُطوِّر.

إذا المعلومة كوحدة واحدة هي كلية وبالتحليل تتجزأ ثم تتجزأ إلى متجزئات صغيرة من خلالها يتمكن الباحث من استبيان مكامن العلل والأسباب التي أظهرت مشكلةً للبحثِ والدراسةِ.

9 – **المتجزئ:**

هو المختزل في الجزء، والمتكون من المحتوى الذي يتضمنه ويميزه عن غيره من المتجزئات، فكلمة حسين كاسم متجزئ من الأسماء التي تشتمل على كل الذين اسمهم حسين، ولكن أي حسين اعني؟ مما يستوجب تمييزه عن غيره من الذين يندرجون تحت هذا الاسم، وذلك بكتابة اسم الأب، واللقب إن وجد ونوع المهنة والمرحلة العمرية، وعلاقته بالحالة المدروسة. وهكذا كلمة فلاح وصياد وطالب تتوحد في المهنة أو الحرفة وتتجزأ إلى جماعات، وكل جماعة تنقسم حسب النوع إلى ذكور وإناث، وكذلك فهي تتجزأ من حيث العمر، والدور الذي تقوم به، واللغة التي تتحدث بها، والدين الذين تدينه، والأمة التي تنتمي إليها. وعليه ينبغي أن يكون التحليل في تتابع من الكل إلى الجزء ثم إلى المتجزئ أو بالعكس تماما من المتجزئ إلى الجزء ثم إلى الكلي، مع مراعاة ما يتداخل بينهم من متغيرات.

10 – **المتداخل:**

المتداخل هو الذي يربط بين أطراف الظاهرة أو المشكلة ويجعل منها وحدة واحدة متماسكة وكأنها لا تنفصم لولا التحليل العلمي الذي يُمكِّن منها، ولذا فالمتداخل هو المختزل للنوع، أو الصفة، أو الشكل، أو المهنة أو الحرفة، وهو الذي وجوده يؤثر

فيه متغير مستقل، ويجعله مؤثرا في متغير لاحق، فكلمة ذكر تتداخل فيها الأنواع، باشتراكها في الذكورة؛ فالذكر من البشر، ومن الحيوانات والطيور، والنبات. وكلمة الغضب على سبيل المثال يتداخل فيها الحيوان مع الإنسان والطيور والأسماك وغيرها مما نعرف وما لا نعرف، ولذلك الغضب كمتغير تابع يتأثر بمتغير سابق أو مستقل، ويؤثر في متغير تابع أو لاحق.

وعليه فبالتحليل العلمي يتبيَّن الباحث هذه التداخلات ويبينها للآخرين، ويميزها عن بعضها البعض بالمحتوى والسلوك والفعل.

11 –**المقارنة:**

مع أن لكل معلومة تفردا بخاصية من الخصائص أو بصفة من الصفات أو بميزة من الميز أو عيبا من العيوب، إلا أنها في معظم الأحيان تتشابه أو تتماثل أو تتطابق مع غيرها من المعلومات ذات العلاقة بذوي الخصائص والصفات، ولذا يعتمد التحليل المقارن على المعلومات المتوفرة ووفق معطيات ذات خصائص أو صفات أو كميات، وتكون المقارنة بين المشاهد والمشاهد، وبين المجرد والمجرد، وبين المحسوس والمحسوس، مع مراعاة الظرف الزماني والمكاني عند تحليل المعلومات والبيانات، فما هو منطقي ومقبول أو مفضل في مكان من الأماكن، وفى زمن من الأزمنة ، قد لا يكون كذلك بتغير المكان والزمان أو تغير الظروف.

ولذلك عند التحليل المقارن، ينبغي مراعاة الآتي:

أ– مقارنة المشاهد بالمشاهد: من حيث الشكل، واللون، والوزن، والحجم، والامتداد، والمساحة، والعدد وغيرها من المشاهدات، من اجل المقارنة بالخاصية والصفة؛ فتكون مقارنة الوزن بالوزن، والمساحة بالمساحة، والجهة بالجهة (الشرق والغرب والشمال والجنوب أو ما بين الجهتين بما هو بين غيرهما من الجهات).

ولهذا لا يجوز المقارنة بين الأشياء المختلفة في الخصائص والصفات، أو المختلفة في المواضيع؛ فلا يحق مقارنة المربع بالمستطيل إلا من حيث الشكل والحجم أما

من حيث المضمون فإن المربع لا يقارن إلا بمربع آخر، ولذلك قد يقارن البعض زرافة بغزالة من حيث الشكل والحجم أو ليمونة بتفاحة، ولكن في التحليل العلمي كل نوع لا يقارن إلا بنوعه أو جنسه، ليكون الاختيار أو التفضيل بين ذات النوع فعندما تذهب للسوق لتشتري حذاء فلا يذهب عقلك لمقارنته إلا بأحذية أخرى، وهكذا لو كنت لتشتري غزالة من بين الغزلان ليس لك بدا إلا مقارنة ما تود أن تشتريه مع نوعه أو جنسه، وهكذا أيضا تكون مقارنة خروف بخروف وذئبا بذئبٍ.

ب – مقارنة المحسوس بالمحسوس: من حيث الذوق، والشم، واللمس، والسمع، فيقارن الصوت بالصوت، والرائحة بالرائحة، والمذاق بالمذاق، والنعومة بالنعومة، والخشونة بالخشونة، وهكذا.

ت – مقارنة الموضوع بالموضوع: وذلك من حيث المعنى، والفلسفة، والمبادئ، والأهداف، والقدرات والاستعدادات، أي مقارنة المفهوم بالمفهوم، والشيء بالشيء ذاته، لا أن يقارن الشيء بالآخر الذي لا خصائص ولا صفات تربطه به، فتقارن المهنة بالمهنة، والسبب بالسبب، والنتيجة بالنتيجة، والفرض بالفرض، والتساؤل بالتساؤل، والجنس بالجنس (سامي، مغولي ، آري) وهكذا تقارن السلطة بالسلطة، والاقتصاد بالاقتصاد، والهدف بالهدف، والمبدأ بالمبدأ.

تهدف المقارنة إلى التقريب أو التبعيد وفق المقاييس المقارن بها، فإذا قارن الباحث بين ذئب وكلب فيجوز ذلك من حيث الشكل المتقارب إلى درجة عدم التمييز بينهما أحيانا، ولكنهما يختلفان في الخصائص والصفات، ولهذا مهما قارن بينهما لن يكون الكلب ذئب ولا يكون الذئب كلبا، لأن المقارنة الموضوعية والعلمية تكون بين خصائص وصفات مشتركة، لا بين الأشياء التي لا علاقة بينها. ولهذا فالمقارنة دليل إثبات وجود علاقة بين الأشياء المستهدفة بالمقارنة في دائرة الممكن ودائرة النسبية.

إن موضوع المقارنة كأسلوب علمي دقيق، يهدف إلى إبراز نقاط التوازن، والاتفاق، والاختلاف، ودرجات التشتت والتمركز والتباين، ولذلك تستوجب المقارنة العلمية إيجاد معيار أو معايير للتعرف على الكميات وجودتها والكيفيات وجودتها.

التحليل الإنتاجي:

مع أنَّ المناهج العلمية ضرورة في نظم المعلومات وتتبعها وسبر أغوارها إلا أنَّ اتباعها وفقا لتدبر من صاغها قد يقولب العقل الإنسان وتفكيره مما يجعله تفكيرا استهلاكيا وليس بتفكير إنتاجيا، ولذا فإن المناهج الجاهزة كثيرا ما تهتم بتكديس المعلومات وعرضها في جداول، وأعمدة ومنحنيات مما جعلها مناهج عنعنة ودعاية ساكنة وكأنها غاية في ذاتها، أمَّا الذين يعتمدون على المنهج التحليلي وهم غير منغلقين على منهج بعينه وكأنه كاملا؛ فلابد أن يكونوا من المبدعين، والمخترعون الذين يساهموا في زيادة التطور المعرفي والعلمي الذي يُحفِّز على الإنتاج، والاكتشاف، والاختراع. ولأنه لا يمكن أن نصل إلى أي نتائج علمية مهما استخدمنا من مناهج وطرق بحثية إلا بعد تحليل المعلومات التي تم تجميعها بالوسائل المستخدمة، ولهذا فالمنهج التحليلي هو منهج التوليد والاكتشاف والإنتاج الذي يمدَّنا بالجديد باستمرار، ولا قيمة لطرق البحث ما لم تعتمد على المنهج التحليلي في تفكيك المعلومة وتركيبها ونظمها في موضوع متماسك الأوصال.

وعليه لا يمكن أن تتحقق أهداف البحث العلمي في العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية إلا به، ولهذا لا يُعد التحليل العلمي مرحلة مستقلة بذاتها، أي لا يمكن أن ينفصل عن المعلومة التي يكمن فيها، ولذا فإن الحقيقة دائما تكمن في المعلومة الصادقة.

وعليه، أتساءل:

. هل يستطيع الباحث أن يفصل تفكيره التحليلي عن المعلومات التي يجمعها؟

. وهل من الأفضل أن يهتم الباحث بهذه التحليلات في وقتها أم يتركها إلى النهاية التي تهددها بالنسيان؟

ـ وهل التحليل أثناء تجميع المعلومات يساهم في اتساع مدارك الباحث على الموضوع أم يحد منها؟

في اعتقادنا أن التحليل عملية متصلة ومترابطة من الكل إلى الجزء إلى المتجزئ ولذلك فبعض المعلومات يتطلب تحليلها في نفس الوقت، والبعض الآخر يتطلب انتظار معلومات أخرى ذات علاقة، ولهذا التحليل متداخل مع المعلومات أثناء تجميعها وبعد تصنيفها وعرضها مفرغة في جداول إحصائية وهي جاهزة للتحليل الموضوعي.

التحليل العلمي هو تفحُّص وتتبُّع دقيق للمتغيرات وعلاقاتها وأثارها المباشرة، وغير المباشرة، ويعتمد في أساسه على الملاحظة الجادة، والجدل الموضوعي الذي يستوعب الظواهر والمواقف ويزيل المخاوف والشكوك ويؤدى إلى اليقين، وليس معنى ذلك أن الجدل هدف في ذاته، بل أنه الأسلوب العلمي المحقق لأهداف .

والمنهج التحليلي منهج ديناميكي، يولِّد حركة من متحرك (من معلومات) فالمعلومات كمتحرك مترابطة ومتصلة من الأسباب والمبادئ، إلى الأهداف والنتائج، وتتولد الحركة من المتحرك بملاحظة الباحث للمتغيرات وعلاقاتها أثناء النزوع والتشتت، وكلما تمكن الباحث من توليد حركة من متحرك كان له إنتاجا خاضعا للمراجعة وقابل للتفسير، ويتم الاتفاق مع الفيلسوف توماس هوبز في قوله: "نحتاج إلى المنهج التحليلي من اجل أن ندرك كيف أن الظروف تفضي إلى إنتاج المعلومات"[4].

---

[4] تيودور أويوزرمان ، تطور الفكر الفلسفي . " ترجمة سمير كرم " ، بيروت : دار الطليعة ، الطبعة الثالثة ، 1982م ، ص 259 .

يعتبر المنهج التحليلي منهج عرض المحتوي وتفحصه من خلال فالزمن مكوناته متصلة ثانية بثانية، وبرهة ببرهة، أما الإنتاج العلمي فمنفصل، فقد يحدث اليوم اختراع علمي (إنتاج علمي) وبعد فترة أخرى ينتج آخر، وهكذا هناك انفصال من وقت إلى آخر بين إنتاج وإنتاج، ولا يربط بينهما إلا الزمن أو الموضوع، لأن العلوم المنتجة تستوعب أثر تغير الزمان والمكان على الموضوع الواحد، مما جعل نتائج التحليل في الماضي قاعدة أساسية لعلوم اليوم والغد، ولا أمل أمام تحليل الماضي إلا اليوم والغد، ومثلها تكون العلاقة بين الحاضر والمتوقع[5].

المنهج التحليلي منهج العلوم بمختلف ميادينها وتخصصاتها، فهي المستخدمة له، ولا قيمة للمعلومات المجمعة إلا به (بتحليلها)، ولذا لا يمكن أن تصل المعلومات إلى تحقيق الإنتاج العلمي والإبداع إلا به، وكل معلومة ناقصة لا تكتمل إلا بالتحليل، والتحليل المنتج هو الذي يتابع المعلومات أولا بأول، من خلال الملاحظة العقلية والحسية والمشاهدة الواعية التي لا تنجر خلف خدعة الحواس، مع أن العلوم بمختلف تخصصاتها ومتخصصيها تستخدم مناهج أخرى حسب أهمية ذلك للموضوع المدروس، إلا أنها لا تستغني عن استخدامات المنهج التحليلي الذي به تتمكن من الوصول إلى النتائج العلمية المرموقة.

ولأن المنهج التحليلي منهجا إنتاجيا؛ فهوى يؤثر تأثيرا مباشرا في تغيير طرق البحث العلمي من الاستهلاك إلى الإنتاج إذا ما أحسنت استعماله وفقا للغايات المرجوة منه، ولنرى كيف يمكن لطرق البحث الاستفادة من المنهج التحليل:

1 ـ الطريقة التجريبية: إن استخدام الطريقة التجريبي أثناء تكرار تجربة من التجارب سبق وان أجريت من أجل معرفة نتائجها في المختبرات، فإن تكرارها لم يأت بالجديد عندما يقتصر تفكير الباحث على إعادتها فقط، من خلال تتبع

---

[5] جون ب . ديكنسون ، العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث . " عالم المعرفة " ترجمة شعبة الترجمة باليونيسكو ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد 122 ، 1987م ، ص 244 .

خطواتها، والتحكم في عناصرها بنجاح، ولكي لا يكون المنهج التجريبي استهلاكي، ينبغي ألا يقتصر التفكير على إعادة التجربة وعلى المشاهد، بل ينبغي أن يكون التركيز على التفكير في العلل التي ورائهما والأمل الذي به يُصنع المستقبل الأفضل، فعندما يستوعب الباحث التجربة بهذه المعطيات ويستوعب محيطها العلمي، وإطارها المرجعي، تساهم في اتساع مداركه، وخيالاته الإبداعية، وتحفِّزه على البحث الدءوب، وعلى معرفة كل ما من شأنه أن يُسهم في صناعة المستقبل.

ويكون المنهج التجريبي منتجا في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، عندما يستوعب تجربة المجتمع، ويستخلص منها العبر التاريخية التي تفيد الأفراد والجماعات والمجتمعات في حياتهم الخاصة والعامة، وتجربة المجتمع هي التي يخوضها المجتمع بكامله وفق قدراته، واستعداداته، وحسب المتغيرات التي تتواجد فيه، أو تدخل عليه. وفي تجربة المجتمع تشترك أجيال متلاحقة، وفى هذه الحالة يصبح لا مجال للمقارنة بين تجربة المجتمع وبين تجارب المجموعات التجريبية والضابطة، أمام نتائج تجربة يشترك فيها المجتمع بأسره، ويكون المجتمع هو الضابط، وهو المجرب، وهذه التجربة تفوق كل التجارب في العلوم الطبيعية والسلوكية، لأنها أوسع مجالا وأكثر أهمية.

فإذا قرأنا التاريخ، نلاحظ أن هناك حضارات سادت ثم بادت، ولسيادتها أسباب، ولإبادتها أسباب، وإذا تأملنا حياة أممها وشعوبها، نجد أنها عاشت، ومارست تجارب كبيرة وكثيرة جدا، إذا ما قورنت بتجربة جربت على فأر، أو قطعة قماش، أو رأس بصل، أو شريحة ثوم؛ وبدون تحيز فإن تجربة يقوم بها مجتمع بأسره، أهم وأعظم من تجربة تجرى على فأر، أو حتى على مجموعة من الأفراد الذين لا يمكن أن تكون نتائج تجربتهم المصطنعة مماثلة لنتائج تجربة المجتمع.

تجربة المجتمع هي تجربة المعايشة، والحياة الطبيعية، التي لا تستدعى وجود باحث لإجرائها أو القيام بها، وهى تجربة نزيهة، لأنها خالية من تدخلات الباحث

وتحيزاته، وخالية من التصنع السلوكي الذي قد يلتجئ إليه المبحوث، إذا أحس بأنه تحت ظروف الملاحظة أو أثناء المقابلات، أو أثناء ملء استمارة الاستبيانات التي تصاغ وفق رؤية الباحث عن الموضوع، لا وفق رؤية المبحوثين الذين يتعلق بهم أمر الموضوع. وإذا راجعنا حياة الأمم، أو بعض منها، نلاحظ أنها عاشت تجارب اجتماعية وإنسانية، جعلتها في صدارة التقدم، والأمثال في هذا الصدد كثيرة، فللمجتمع اليوناني تجربة لا يمكن إغفالها، أو التغافل عنها، وللمجتمع الروماني تجاربه السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وللمجتمع الصيني، والهندي تجارب كبيرة وكثيرة، وللمجتمع العربي تجاربه، الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية التي جعلت له نمطا متميزا وحياة إنسانية متميزة، ومتغيرة من فترة إلى أخرى، حسب المتغيرات والعوامل التي نبعت منه، أو دخلت عليه، مما جعل للمجتمع العربي تجارب قبل الرسالة تختلف عما بعدها من تجارب. ولا ننسى التجربة الحديثة التي أجراها المجتمع الماركسي على أوروبا الشرقية وبعض من دول العالم الأخرى. وبمقارنة التجربتين العربية بعد الرسالة، والماركسية، نلاحظ النجاح للعربية، والفشل للماركسية لأن معطيات الأولى ومسلماتها، وبراهينها، تستهدف الإنسان كقيمة ثابتة في الوجود ينبغي الحفاظ عليها، مما جعلها تعتمد الاختيار الإرادي، وتبتعد عن الإجبار والإكراه حيث لا إكراه في الدين وهذا ما ينبغي أن يكون بين البشر في حياتهم الاجتماعية أما بالنسبة لعلاقتنا بربنا، فهي طوعا وكرها مصداقا لقوله تعالى: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا}[6].

أمَّا التجربة الماركسية من أهم أسباب فشلها، أنها إجبارية قمعية، لم تبدأ مع الناس من حيث هم، مما جعل المجتمعات تقاومها بأسلوبها الذي انتهجته، وهو الكره، أي بادلتها كره بكره، وهكذا من يبادلك الحب، تبادله المحبة، وهكذا كانت أيضا

---

[6] آل عمران 83.

التجارب الاستعمارية التي تأسست علاقاتها بين الدول الاستعمارية، والدول المُستَعمرة على الإكراه، فبداية تُكره بالقوة الشعوب حتى يتم احتلالها، ونهاية يُكره المستعمر بالقوة حتى يتم رحيله أو رحيل من تبقى على قيد الحياة، ولهذا الحياة تجارب مملوءة بالدروس لمن يُريد أن يتعظ، وهذا التعليل هو إجابة على السؤال: لماذا كان الاستعمار؟ ولماذا رحل؟

وعليه عبر التاريخ تنتهي تجارب بالإكراه، كما انتهت التجربة الماركسية وتجارب الاستعمار، وتبقى نتائج التجارب بالاختيار والإرادة الحرة كما بقيت اليهودية، والمسيحية، وكما يبقى الإسلام مستوعبا وخاتما لها.

2 . طريقة دراسة الحالة:

لا يمكن أن تكون طريقة منتجة إلا إذا خرجت عن قولبتها المنهجية، لأن تتبع حالة معينة واستعراض المعلومات التي مرت بها، لا يأتي بجديد، مما جعل طريقة دراسة الحالة متمركزة على قاعدة: (أعطني معلومات أعطيك حلا). وغفلت عن القواعد الآتية:

1 . (وراء كل سببٍ مسبِّبٍ).

2 . (تفهُّم الظروف يؤدي إلى تفهُّم الحالة ويُحدث النقلة).

3 . (مشاركة المبحوثين في عمليات تحليل المعلومات وتشخيص الحالات يؤدي إلى تحقيق المُرضي الذي يُخرج من التأزمات).

4 . (دراسة الحالات الموجبة يُسهم في صناعة المستقبل، ودراسة الحالات السالبة يُسهم في إصلاح التأزمات).

إنَّ احتيار الباحث لطريقة دراسة الحالة على هذا الأساس هو الذي يجعلها طريقة تُسهم في زيادة الإنتاج العلمي والمعرفي خاصة عندما لا تقتصر على دراسة الحالات السالبة، ولذا فإن دراسة الحالات الموجبة يؤدي إلى استنباط العبر منها بما يفيد الآخرين.

تهتم طريقة دراسة الحالة بتثبيت الإرادة في الحالتين:

1 . الموجبة.

2 . السالبة.

وذلك من أجل الاعتماد على النفس، وبناء الثقة فيها، لأن تثبيت الإرادة يطمئن النفس ويقويها عندما تكون الحالة فردية، ويقوى الجماعة عندما تكون الحالة جماعية، ويقوى المجتمع عندما تكون الحالة مجتمعية، فمن يمتلك الإرادة، والقوة المنفذة لها، يمتلك السيادة، ومن يمتلك السيادة، ينتج، ويبدع.

ولهذا لا ينبغي أن يقتصر منهج دراسة الحالة كما سبق وأن ذكرنا على قاعدة: (أعطني معلومات أعطيك حلا) بل ينبغي أن يتعرف الباحث على المتغيرات الأساسية والثانوية، ويحددها، ويتعرف على آثارها، وعلى العلاقات المتداخلة بينها، وأن يبحث عن السبب والمسبب، والعلاج الأفضل، أو الحل الأنسب؛ وما هو الدور الذي ينبغي أن يقوم به المجتمع حيال الحالات السلبية والإيجابية؟

3 ـ طريقة تحليل المضمون:

لقد اعتبر البعض أن تحليل المضمون هو أحد الوسائل العلمية التي تفيد الباحثين في تحليل المعلومات والبيانات من مصادرها، وهذا في اعتقادنا غير صحيح، لان تحليل المضمون طريقة لتحليل المعلومات وليس وسيلة لجمع المعلومات، إنه أحد الطرق العلمية المهتمة بالتحليل والتقصي الدقيق للقضايا والمواضيع والحالات، ولأنها طريقة علمية فهي المستخدمة لوسائل علمية كغيرها من طرق البحث العلمي.

ولهذا أتساءل:

. هل يمكن أن يتم تحليلا علميا بدون استخدام وسيلة مشاهدة أو ملاحظة أو مقابلة أو استبيان أو تصنيفا قيميا؟

إذا كانت الإجابة (بنعم).

يكون الأمر كمن يقول يمكن أن يتم التحليل العلمي بدون استخدام للحواس، وهذا أمر غير ممكن.

وإذا كانت الإجابة (بلا).

إذاً اعترفنا بأن تحليل المضمون طريقة ولم يكن وسيلة كما يعتقد البعض.

ولان طريقة تحليل المضمون تهتم بالنصوص، والوثائق، والخطب، والأحاديث، والمطبوعات، وأخبار وسائل الإعلام كمصادر للمعلومات في دراسة الشخصيات والأفعال وردود الأفعال والمواقف، والاتجاهات، والثقافة، لذا يمكن أن تكون طريقة استهلاكية، ويمكن أن تكون طريقة إنتاجية، فهي من حيث كونها استهلاكية إذا درست النص أو الخطاب وكأنه غاية في ذاته. ومن حيث كونها إنتاجية، إذا درست وبحثت في النصوص والخطابات والوثائق وكل المصادر التي يمكن أن تعود إليها وهي مُوجَّهة إلى صناعة مستقبل أفضل، وذلك بأخذ العبر التي بها يتم تفادي السلبيات، واخذ العبر التي بها تُحدث النُقلة ويُصنع المستقبل.

4 . الطريقة المسحية:

تعتمد الطريقة المسحية كثيرا على استخدام العينات وتعميم نتائجها على من لم تجر عليهم الدراسة، وتتصدر استعمالاتها وسيلة استمارة الاستبيان التي تحتوي على أسئلة معدة مسبقا من قبل الباحث، ومصاغة بشكل يخرجه من الموضوع، ولا يدخله إليه، ويكون هذا الأمر في حالة ما إذا انصب تفكير الباحث على إتمام موضوعه وبأية طريقة، لأجل أن يتخلَّص من هموم البحث، ومتطلباته، ولهذا في مثل هذه الحالة لم يكن تفكير الباحث منصبا على اكتشاف الجديد، بل فقط لأجل أن يُنجز بحثه المستهدف منه نيل درجة علمية أو للحصول على المقابل المحدد مسبقا لأجراء بحثه أو دراسته لجهة من الجهات الرسمية التي تعتقد أن ما يقوم به أي باحث هو مفيد للمؤسسة أو الوزارة التي كلفت الباحث بالدراسة، ولهذا إن

اقتصرت هذه الطريقة على هذه الغاية فلن تخرج من خانة الطرق التي تستهلك الوقت والجهد والإمكانيات وهي لا تضيف جديدا.

ولكي يكون لهذا الطريقة فائدة علمية، ينبغي ألا يقصر الباحث دراسته على دراسة العينات، وأن لا يعمم نتائجها على من لم تجر عليهم الدراسة والبحث، بل عليه أن يتوجه إلى دراسة المجتمع (مجتمع الموضوع) دون أن يتم استثناء أي مفردة منه، ودراسة المجتمع لا يعني بها دراسة مجتمع البلد أو المجتمع الواسع بل يعني بها دراسة الذين يتعلق الأمر بهم، مع تحديد دقيق للمكان والزمان فظاهرة الطلاق في قرية من قرى البلد أو حي من أحياء المدينة أو شراعا من شوارعها يمكن دراسة مجتمع المطلقين خلال فترة زمنية محددة دون الالتجاء إلى استخدام العينات لكي تتم عملية المسح الاجتماعي للظاهرة التي بدراسة جميع عناصرها ينعكس الواقع للظاهرة (هي كما هي) سلبياتها وإيجابياتها حتى يتمكّن الباحث من بلوغ نتائج موضوعية تفيد في صناعة مستقبلا للأسرة النموذجية.

أما العلوم الطبيعية يمكن أن تكون دراسة العينات ذات أهمية، مثل أخذ عينة من جسم الإنسان، ولتكن عينة من الدم، أو البول، في هذه الحالة تمثل العينة المجتمع أحسن تمثيل، ويقصد بالمجتمع الدم أو البول الذي أخذت منه العينة، من المفردة (من الإنسان كفرد).

وعليه أتساءل:

في هذه الحالة، من تمثل العينة؟

هل تمثل الدم الذي أخذت منه؟ أم أنها تمثل الإنسان الذي أخذت منه؟ فإذا كانت ممثلة للدم، أو البول، فإنها في هذه الحالة تمثل مجموع الدم أو مجموع البول الذي هو من إنسان واحد فقط، وهي من حيث كونها تمثل الإنسان فهي تمثله كونه مفردة، ولذا فإن دم أو بول هذه المفردة لا تعمم نتائجه على غير المفردة التي أخذت عينة الدم أو عينة البول منها، وهنا يكون الفارق كبير بين نتائج العينة من

البشر لتمثل البشر الذين لم يشتركوا في البحث أو الدراسة وبين العينة في العلوم الطبيعية التي تمثل كل الدم أو كل البول الذي أخذت من مفردة واحدة، ولهذا نقول: العينة من المجتمع لا تمثل إلا نفسها، والعينة من الدم تمثل الدم كله.

5 . الطريقة التاريخية:

إن طريقة السرد التاريخي للأحداث دون أن يحللها الباحث ليتعرف على العلل والأسباب التي تكمن وراؤها تجعل الباحث عبارة عن مجرد باحث عن أخبار، وناقل لها، مما يجعل هذا الطريقة استهلاكية، لا جديد فيا، فعندما نقول أن صلاح الدين حرر بيت المقدس في الماضي، وفى زمننا أصبح تحت الاحتلال من جديد ونقف عند هذا الحد، هذه طريقة بحوث المستهلكين، ولذا فالطريقة التاريخية المنتجة هي التي تبحث عن الأسباب والدوافع التي جعلت من صلاح الدين محررا لبيت المقدس، والأسباب التي جعلته يحتل في عصرنا من جديد، والأسباب التي لم تجعلنا قادرين على تحريره، ولهذا فالطريقة التاريخية المنتجة هي التي تُمكِّن الباحث من الأقوال بالأفعال، لاستنباط العبر منها، ومقارنتها مع ما يحدث اليوم، وذلك لأجل التعرف على عوامل القوة والضعف في الزمنين، الماضي والحاضر، ومعرفة الأسباب التي كانت وراء كلا منهما وتثبيت ما هو مفيد، وإبعاد ما هو ضار وتصحيح الأسباب التي كانت وراء ذلك من أجل وضع خطط علمية مبنية على فلسفة هذه الطريقة المنتجة للجديد في مجالات العلم والمعرفة لتساهم في بناء مستقبل خالي من الانحراف عن القيم الحميدة.

وعليه فمن أراد أن يستخدم هذه الطريقة التاريخية عليه أن يراعى وحدة الزمن واتصاله وفقا للمحتوى الذي يحمله، وإذا أردنا لهذه الطريقة خيرا، علينا أن نحرر التاريخ من السيطرة السياسية التي تهيمن عليه وتزج به في مواقع لا يليق دخولها، ولهذا تأثر علم التاريخ، بتلك التيارات السياسية، والدينية، وأقتصر على المواقف ولم يوجه إلى المواضيع التي تهم الكل، فالتاريخ الذي يُمجِّد مذهبية معينة، أو اتجاها

سياسيا معينا، في أي فترة من فترات التاريخ ثم يُقرر هذا التاريخ المزوَّر على التلاميذ والمتعلمين أن مثل هذه المقررات لا يمكن أن توجد المبدعين والمنتجين في ميادين البحث العلمي، بل توجد التُبَّع والأزلام ولذا يكون التاريخ في حاجة لمن يصححه، ويُمكِّن المتعلمين من تعلُّم كيف يتعلمون، وكيف يحللون المعلومات بموضوعية، وكيف يفسرون النتائج.

وعلى البحاث أن يميزوا بين التاريخ، وعلم التاريخ ، والطريقة التاريخية، لكي تقدم المعارف على حقيقتها دون لبس وغموض، فالتاريخ ملكا عاما يستوعب كل العلوم والمعارف ويتكون من زمن، ومحتوى، مما جعله متصلا بزمنه برهة ببرهة، وثانية بثانية، ومنفصلا بإنتاجه، علم بعلم، وإنتاج بإنتاج، واختراع باختراع.

أما علم التاريخ فهو ذلك التفحُّص الدقيق الذي يتم استصعابه بالتخصص في فترات معينة من التاريخ وذلك بهدف البحث والدراسة الجادة في موضوعٍ من مواضيع التاريخ.

وأمَّا الطريقة التاريخية فهي الطريقة التي تُتتبع للبحث في أي علم من العلوم، وأي تخصص من التخصصات، ولذا فهي لا تقتصر على علم التاريخ كما يعتقد البعض، وإذا تساءل احد عن تسميتها بهذا المسمى التاريخي:

نقول:

ترجع تسمية الطريقة التاريخية بهذه التسمية إلى وضوحها في التاريخ العام، وليس لاقتصارها على علم التاريخ، ولهذا فلكل شيء تاريخ سواء في العلوم الطبيعية أو الاجتماعية والإنسانية فلا تترسب طبقات الأرض التي تُخضع للبحث والدراسة إلا بالزمن وما يحتويه من متغيرات موضوعية، ولا تكتمل تجربة إلا بالزمن وما يحتويه من متغيرات، وهكذا لا يتم شيئا إلا بالزمن الذي هو جزء من مكونات التاريخ، ولهذا البحث في متغيرات التاريخ وأخذ العبر منها هو الذي يجعل من الطريقة التاريخية طريقة منتجة للعلم والمعرفة.

التحليل الإبداعي:

هو الذي يستوعب الماضي ويحلله علميا ويُشخِّصه بموضوعية من أجل معرفة ما اشتهر به من ايجابيات وما علق به من سلبيات، وكيفية الاقتداء بالموجب، والابتعاد عن تكرار السالب، دون إنكار لجهود السلف، مع مراعاة العصر وما وصل إليه من تقدم، ولكي لا يكون الباحث مقتصرا على ما هو سلفي، أو أن يكون الباحث باسم المعاصرة هاملا لكل المعطيات الموضوعية ذات الأهمية العالية في زمن السلف الصالح عليه أن يكون منتقدا لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى خللٍ في الفضائل والقيم الحميدة في كل زمن من الأزمنة، وعليه أن يعرف أنه لا فرق بين السلفي والمعاصر، إلا الزمن (الماضي والحاضر)، لان كلا منهما يحلل بمنظور التقليد فقط؛ فالأول مقلد للسلف بما هم عليه من سلبيات وايجابيات، والثاني مقلد للعصر، بما هو عليه من سلبيات وايجابيات، ولهذا كلا منهما متقولب بأحكام مسبقة، وكأن السلفية، والمعاصرة، مبنيتان على الكمال ولا نقصان فيهما.

إن استمرار العلوم والبحوث العلمية في الزمن الحاضر بنظرة الماضي، قد لا تؤدى إلى مستقبل متطوِّر، وإن انفصال الحاضر عن نظرة الماضي قد يؤدى إلى الانسلاخ عن الأصالة العريقة، ولهذا فالمعاصرة لا تعنى الانسلاخ عن الأصالة بل أنها تعني استيعاب المعاصر دون إغفال عن أهمية السابق المتخلص من سلبيات السلفية العقيمة، والمستوعب للجديد الذي فيه أصالة، ولهذا الأصيل بالضرورة يكون معاصرا لان الأصالة لا تنتهي، بل أنها المستمرة.

التحليل الإبداعي لم يكن تحليلا دفاعيا، بل انه تحليلا تشخيصيا نقديا محاجج (حجة بحجة)، ولم يكن استسلامي يخضع لسيطرة الآراء الجاهزة، وعليه فإن التحليل الإبداعي يتناول المواضيع بما تطرحه، وبما تتضمنه وتشير أليه، ولا يعتمد على أحكام مسبقة إلا بعد التأكد منها، وهو المتتبع لخطوات البحث العلمي وفق

كل الموضوع، ودون ترويم أيٍ منهما للآخر (ترويم الخطوات للموضوع، أو ترويم الموضوع للخطوات).

إن التحليل الإبداعي تحليل متفحِّص للموضوع والواقع دون تحيز للانا، ودون انسلاخ عن الذات (ذات المجتمع أو الأمة المنتمى إليها)، وبنظرة تحقيق الأمل (تحقيق المستقبل) يسعى الباحثون إلى الاكتشاف والاختراع، وتسعى الشعوب إلى تنشئة أجيال مستفسرة، متسائلة عن موضوعها، وأسبابه، وعناصره، وأهدافه، وما يترتب عليه، وما الخطط التي ينبغي أن توضع له؟ وما هي البدائل والسُبل التي بها يُختصر الزمن والتكاليف، وتحقق الأمل؟ بطبيعة الحال هذا الأمر لا بتجميع المعلومات والوقوف عندها، بل يتحقق بتحليلها وتبيان نقاط ضعفها وقوتها، وما تنص عليه مضامينها ومحتوياتها، أو ما تشير إليه ضمنا. وهذا هو الآخر لا يتحقق إلا إذا كان الباحث حرا، ولذا إذا أردنا مجتمعا مبدعا، أو امة مبدعة، أو باحثا مبدعا علينا بإزالة الأغلال التي تمنع أو تحد من حركتهم أو تفكيرهم، وأن يُمكِّنوا من ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم وحمل مسؤولياتهم.

التحليل الإبداعي يسعى دائما إلى معرفة النهايات الموضوعية، مما يجعل له استمرارية واتصال، من الكل، إلى الجزء، إلى المتجزئ فكرة أو نصا أو خطابا أو قيمة ومبدأ، وعليه فإن التفكير في النهايات والبحث عنها ، يؤدى إلى الإبداع، أما التفكير فيما لا نهاية، فهو تفكير منفصل لا حقائق من وراءه، وبالتالي لا يؤدى إلى الإبداع، مع انه يؤدى إلى التكرار، والتكرار لا يؤدى إلى الجديد، ولأنه كذلك فهوى لا يؤدى إلى الإبداع.

الإبداع لم يكن تسليمي إلا بعد القياس والاختبار والتجريب لكل ما لم يسبق إثباته بعد، فلا تسليم إلا بمسلم مثبت أو مطلق؛ ولذا لا يكون التفكير الإبداعي ببغائي، بل أنه استيعابي يستوعب الموضوع ويعرِّضه للقياس والنقد الداخلي والخارجي، ولم يكن مثل آلة التصوير التي تصور الموسوعات والمؤلفات دون أن تحتفظ بمعنى

يفيدها، ولهذا الباحث الذي يتَّبع ويردد كل أمر واقع دون أن يَتبيَّنَ ذلك الأمر وأسراره والحكمة التي من ورائه لا يمكن أن يكون باحثا مبدعا للمعلومة العلمية ولا منتجا للفكرة العلمية.

التفكير العلمي المبدع هو التفكير المنظم والمرن حيث لا جمود فيه، وهو الذي لا يفكر للغد بنظرة الأمس، ولا بنظرة اليوم، بل من خلال تحليله للأمس واليوم ومعرفة خصوصية كل منهما، مما يجعل الباحث على معرفة واعية بأن للغد خصوصية ستميزه عن خصوصيات الماضين والحاضرين الذين تُستمد القوة منهما لأجل مستقبلا أقوى. ولذا فمن يفكر ويحلل الغد بنظرة الأمس واليوم فقط، سيجد نفسه متخلفا عن حقيقة الغد ومنظوره، ومع أن الأيام مستقلة (بدايتها ونهايتها) عن بعضها البعض إلا أنها متصلة بإنتاجها، وإبداعها المتراكم الذي يجعل بينها رابطة، ويجعل المفكرين دائما مع الأمل بتحليلهم للأمس واليوم وتفكيرهم في غد أفضل.

النتائج والاستنتاجات:

أولا: النتائج: results

هي ما يتوصل إليه الباحث بعد جهود بحثية منظَّمة مؤسسة على أهداف واضحة وخطة مُعدَّة على فروض أو تساؤلات علمية، تُمكِّن من تجميع معلومات وافرة عن الموضوع قيد البحث، وتحليلها بكل موضوعية وفقا لمتغيرات البحث الرئيسة والثانوية.

النتيجة هي التي تنتج عن تلك الجهود التي بُذلت من بداية البحث إلى نهايته، ولذا فهي تحصيل حاصل ذلك الجهد الكبير، وهي التي بها تتحقق الأهداف أو تُنجز ولهذا لا يمكن أن تكون النتيجة العلمية مخالفة لأهداف البحث مع أنها يمكن أن تكون مخالفة لفروضه، مما يستوجب على الباحث صياغة الفرض البديل بدلا عن الفرض الرئيس الذي أُبطِلَ بالبحث والدراسة.

ترتبط النتيجة بالبحوث التجريبية والميدانية والمعيارية باعتبارها حقائق ذات علاقة بمتغيرات البحث التي تم إثباتها أو بطلانها بمعادلات ومقاييس معيارية إحصائية.

النتيجة لا يمكن أن تكون خارجةً عمَّا تمَّ البحث في متغيراته، فإن كانت من خارجة فهي لا تعد نتيجة علمية وذلك لخروجها عن قاعدة الالتزام الموضوعي.

النتائج هي مكمن الحلول والمعالجات أي هي التي تستمد منها الحلول والمعالجات للظاهرة أو المشكلة البحثية.

ثانيا: الاستنتاج:

هو استنباط الأثر الذي أنتجته العلاقة بين المتغيرات وأهداف البحث، ليكون علامة دالة على وجود علل وأسباب لوجود الظاهرة أو المشكلة البحثية.

الاستنتاج هو مكمن الحلول والمعالجات، فإن كان استنتاجا موضوعيا نتجت عنه حلول ومعالجات موضوعية.

الاستنتاج لا يكون إلا في البحوث النظرية والمكتبية ولم يكن من البحوث العملية والمعيارية والميدانية التي تعتمد على الحقائق المقاسة والمجرَّبة.

ومن خلالا متابعة الباحث وتقصِّيه بالملاحظة الموضوعية يُمكِنه أن يستقراء استنتاجات بحثه، ولذا فأمر الاستنتاج العلمي ليس أمرا هينا فهو يستوجب خبيرا أو مشرفا متمكِّنا ذو مقدرة على الاستنباط والاستقراء وإلا قد يغفل عن تلك العلاقات التي تربط متغيرات البحث بعضها ببعض، ولهذه الضرورة تُقِرّ الجامعات ومراكز البحوث العلمي المتقدمة ضرورة الأستاذ المشرف على البحاث الذين يسعون لنيل درجة الماجستير والدكتوراه.

إذا الاستنتاج عملية عقلية إدراكية تترتب على مقدرة الباحث على التمييز بين الدقيق والأدق منه دون لبس أو غموض، وهي لا تخرج مطلقا عمَّا يسعى الباحث إلى تحقيقه أو انجازه وفقا لِما صاغه من أهداف علمية.

وكما أن النتيجة ترتبط بالأسباب والعلل فكذلك الاستنتاج يرتبط بالأسباب والعلل التي كانت سببا في كشف الحقيقة ومعرفتها حتى تمكَّن الباحث من الاستنتاج الذي يفيد معالجة الحالة أو الظاهرة أو المشكلة.

تفسير النتائج:

التفسير explication جهد عقلي ومعرفي يتم به استقراء ما تشير إليه النتائج المتوصل إليها، ولذا فالتفسير دائما للنتائج التي يتوصل إليها الباحث بنهاية بحثه أو إتمامه وإنجازه، وهكذا تُفسَّير التجارب التي ثبتت بالمعايشة مع تجارب الحياة الخاصة أو العامة.

ووفقا لقواعد طرق البحث في مهنة الخدمة الاجتماعية تخضع المعلومات للتحليل وتخضع النتائج للتفسير، ولذا فإن من يفسر المعلومات لا يمكن أن يصل إلى نتائج موضوعية ولا إلى رأي صائب، ومن يريد أن يصل إلى رأي صائب أو أن يُكوِّن رأيا سليما عليه بتجميع المعلومات أولا، وتحليلها ثانيا، وتشخيص الحالة ثالثا، حتى يتم بلوغ النتائج بموضوعية، ومن بعد ذلك بإمكانه أن يُفسِّرها ويصل إلى رأي سديد ونافع وله الحق بعد ذلك أن يصوغه في توصيات لِمن يريد أن يستفيد أو يفيد.

بعد أن تتم عملية تحليل المعلومات والبيانات، يصل الباحث إلى نتائج علمية، أو مقترحات عملية، قد تفيد الذين أجريت الدراسة أو البحث من أجلهم وقد تفيد الآخرين الذين تربطهم علاقات اجتماعية أو إنسانية بهم، ولذا فالباحث في حاجة لأن يُفسِّر نتائج بحثه لكي يبني رأيا موضوعيا يُمكن أن يوصي به المجتمع أو الجهة التي طلبت منه أن يجري هذا البحث أو ذاك، ومع أن النتائج حقائق موضوعية إلا أنها قابلة للتفسير الذي على أساسه توضع الخطط وتُحدد المعالجات أو الإصلاحات.

النتائج تتطلب تفسيرا يُبيِّنَ العلاقات بينها وبين ظرفها ألزماني والمكاني، الذين ظهرت فيهما، وكذلك المعطيات التي كانت وراءها، والمتغيرات التي أثرت فيها تأثير مباشرا، أو غير مباشر.

التفسير العلمي هو تعليل الباحث لبراهينه العلمية على تلك الحقائق التي استكشفها، أو استنباطها بالتقصي الدقيق والانتباه الجاد والتتبع عن وعي.

يعتمد التفسير على قدرات الباحث، وتخصصه، وخبرته ومهارته، ومدى مصداقية المعلومات والبيانات المتحصل عليها، حتى يكون قادرا على التمييز بين الآثار المباشرة وغير المباشرة التي كانت وراء الظاهرة أو موضوع البحث، سواء أكانت ذات تأثير موجب أم ذات تأثير سالب على الموضوع. ويستمد الباحث تفسيره من صلب الموضوع ومن خلال عوامله وعناصره ومتغيراته، وتصنيفاته، ونتائجه.

التفسير مع أنه للنتائج إلا أنه على علاقة بمعرفة تلك الأسباب التي أظهرت النتيجة العلمية، ولذا فالتفسير العلمي لم يكن حكما مطلقا بل إنه تحصل حاصل الجدل بين القضايا وعللها.

التفسير هو عملية واعية بالمعطيات من خلال اكتشاف العلاقة بين المبادئ، والأهداف وما يؤدي إلى التطلُّع إلى الأفضل.

وهكذا تستمر العلاقات بين التحليل والتفسير، ويستمر الترابط بينهما إلى النهاية مثل استمرار الترابط بين حاجاتنا ومشبعاتها المتطورة، فعندما تحلل الأسباب التي تجعل الإنسان على سبيل المثال يبحث عن الماء، أو الأكل، أو الجماع وبأي وسيلة ممكنة، يفسر ذلك بأنها غرائز، والغرائز بطبيعتها تحتاج إلى الإشباع، فالماء ارتواء للعطش، أي أنَّ العطش غريزة تحتاج إلى الارتواء، والماء باعث مشبع لها، والجوع غريزة تحتاج إلى الإشباع بالأكل، مما يجعل الأكل باعث إشباع الغريزة، وهكذا يكون الجماع باعثا إلى إشباع اللذة، بشهوة الممارسة الجنسية، وتستمر الحياة إلى النهاية بين الحاجات ومشبعاتها، وتتغير الحالات بتغير ظروفها، مما

جعل ظروف الإشباع غير ظروف الحرمان، وكل هذه الغرائز ترتبط فيما بينها بالشهوة (الشهوة للماء، والشهوة للأكل، والشهوة للجنس).

وعلى أية حال التفسير عملية فكرية تتأثر بقدرات الباحث، واستعداداته، ولهذا يختلف المفسرون فيما يفسرون أحيانا مع أن النتيجة واحدة، وذلك بأسباب اختلاف الثقافات والخبرات والمهارات ودرجة الفطنة لدى كل مفسرٍ، ومدى درجة الإلمام بالموضوع الذي يخضعونه للتفسير.

أما التفسير للاستنتاجات فقد يكون صائبا وقد يكون خاطئا، وذلك لتأسيسه على الاستقراء والاستنباط المجرد، الذي في بعض الأحيان لا يُلم بأبعاد مفاهيمه بيسرٍ وسهولة من قبل المفسرين إذا كان المفسرين غير الذي أجرى البحث أو الدراسة.

وعليه: يهتم التفسير العلمي بالآتي:

أولا: النتائج وعلاقتها بالموضوع.

ثانيا: علاقة الموضوع ونتائجه بالنظريات السابقة.

ثالثا: ارتباط النتائج بالإطار المرجعي الذي أثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشرا في الدراسة أو البحث .

رابعا: علاقة النتائج بالمستهدفات التي دفعت الباحث إلى إجراء البحث أو الدراسة.

خامسا: علاقة النتائج بالفروض أو التساؤلات العلمية فهل هي حققت ذلك ووصلت له بكل وضوح أما أن العلاقة ليست كذلك.

وعليه التفسير هو محاولة الإجابة على السؤالين الاثنين:

1 . لماذا؟

2 . وكيف؟ .

لماذا كانت هذه العلائق؟، وكيف ظهرت؟ .

وعليه يختلف التحليل عن التفسير من حيث أن التحليل يستهدف للمعلومات، والتفسير يستهدف النتائج.

المراجع العربية والمترجمة للعربية

1 الموسوعة العربية العالمية. شركة أعمال الموسوعة، الطبعة الثانية، 1999.

2 . الموسوعة الفلسفية. وضع لحنة من العلماء والأكاديميين السوفيت "ترجمة سمير كرم". بيروت: دار الطليعة..1974

3 . الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي، بيروت، 1997.

4 . الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، عقيل حسين عقيل، 2007.

. إبراهيم الدوسري، إطار مرجعي في التقويم التربوي بدول الخليج العربية، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، 1999م.

5 . أحمد كمال أحمد، تنظيم المجتمع نظريات وحالات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الثاني، 1975.

ـ أحمد عودة سليمان، فتحي مكاوي،أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، الأردن، مكتبة الكتاني، الطبعة الثانية.

6

6 . أنتوني روبنز، أقيظ قواك الخفية كيف تتحكم فورا بمستقبلك الذهني والعاطفي "ترجمة حصة إبراهيم المنيف". الرياض: مكتبة جرير، الطبعة التاسعة، 2004.

7 . الكسندر بوزويف، مبادئ المعارف الاجتماعية "ترجمة اليأس شاهين". موسكو: دار التقدم، 1987.

8 . إيان ماكديرموت، ويندي جاجو، البرمجية اللغوية العصبية (الدليل الشامل لتحقيق السعادة الشخصية والنجاح المهني. الرياض: مكتبة جرير، 2005.

9 . إبراهيم ألفقي:

أ . ـــ، المفاتيح العشرة للنجاح. كندا: المركز الكندي للبرمجة الغوية العصبية، 1999م.

ب . ـــ، قوة التحكم ف الذات. كندا: المركز الكندي، 2000.

ج . ـــ، البرمجية اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود. كندا: المركز الكندي، الطبعة الرابعة، 2003.

10 . آرنولد ج. هايدنهايمر وآخرون، السياسات العامة المقارنة سياسات الخيار الاجتماعي في أميركا وأوروبا واليابان "ترجمة أمل الشرقي". عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1999م.

11 . آلان تورين، نقد الحداثة ولادة الذات "ترجمة صيّاح الجهيم". دمشق: وزارة الثقافة، 1998.

15 . بيار أنصار، العلوم الاجتماعي المعاصرة "ترجمة نخلة فريفر". بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992.

16 . برنامج مكافحة الفقر ومنظمة العمل الدولية. بيروت: المعهد الدولي لدراسات العمل، 2000.

. جابر عبد الحميد، وأحمد خيري كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة الطبعة الثانية، 1978م.

17 . جياني فاتيمو، نهاية الحداثة "ترجمة فاطمة الجيوشي". دمشق: 1998.

18 . جيل دلوز، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو "ترجمة سالم يفوت". بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1987.
ـ حامد طاهر، منهج البحث بين التنظير والتطبيق، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة،1991م.
ـ ديوبولد ب فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1997م.
ـ زيدان الحارثي، بناء الاستفتاءات وقياس الاتجاهات، دار الصفا، 1992م.

ـ عبدالرحمن، سعد،القياس النفسي،الكويت:مكتبة الفلاح،الكويت،الطبعة الأولى 1403هـ،1983.
19 عبد السلام أبو قحف، أساسيات الإدارة الإستراتيجية. الإسكندرية: الدار الجامعية، 2005.
20 . عقيل حسين عقيل، عز الدين أبو التمن، التصنيف القيمي المطوّر. مالطا: منشورات ELGA، 2001.
21 . عقيل حسين عقيل:
أ. ـــ، الديمقراطية في عصر العولمة. مالطا: منشورات ELGA، 2001.
ب . ـ ، خماسي تحليل القيم. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2004م.

21 . عبد الخالق محمد، تنظيم المجتمع في المجتمعات النامية. القاهرة: مؤسسة الكوثر للطباعة، 2003.
22 . عبد اللطيف ألعزيزي، تقنيات برمجة العقل. دبي: مركز التميّز للاستشارات الدولية، 2005.

23 . عبد الناصر بن عبد الرحمن، البرمجة اللغوية العصبية. بيروت: دار ابن حزم، الجزء الأول، 2005.

24 . فرنسيس فوكوياما:

أ . نهاية التاريخ وخاتم البشر "ترجمة حسين أحمد آمين". القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1993.

ب . ـــــ: الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي "ترجمة معين الإمام ومجاب الإمام". دمشق: 1998م.

ج . ـــــ: نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجيا "ترجمة أحمد مستجير". القاهرة: الطبعة الأولى، 2002.

ـ فؤاد أبو الخطيب، وآمال صادق، مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى 1991م.

25 . كارول هاريس، البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة. الرياض: مكتبة جرير، الطبعة الثالثة، 2004.

26 . كولن ويلسون، سقوط الحضارة "ترجمة أنيس زكي". بيروت: منشورات دار الآداب، 1982.

27 . لستر ثورو، مستقبل الرأسمالية "ترجمة عزز سباهي". دمشق: دار المدى، 1998.

12 . موسوعة العلوم الاجتماعية "ترجمة عادل مختار، وسعد عبد العزيز". الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999.

13 . موسوعة مدربون بارعون الإبداع القواعد غير المكتوبة. مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

14 . موسوعة مدربون بارعون، التفكير والعمل معا المهارات والقدرات. مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

28 . ماهر عبد القادر، نظرية المعرفة العلمية. بيروت: دار النهضة، 1985.

29 . محمد جابر الأنصاري، الفكر العربي وصراع الأضداد. عمّان: دار الفارس، 1996.

30 . مازن فارس رشيد، إدارة الموارد البشرية. الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، 2004.

31 . مجد الدين خيري خمش، أزمة التنمية العربية مفهوم التنمية التقليدي والعلاقة مع النظام العالمي. عمان: دار مجدي لاوي للنشر والتوزيع. 1996م.

32 . مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: معهد الإنماء العربي، 1980.

33 . محمد بن راشد، رؤيتي التحديات في سباق التميُّز. دبي: موتيفيت للنشر، الطبعة الأولى، 2006.

- وزارة التربية والتعليم والثقافة بدولة قطر، بحوث في المناهج، مجموعة من الباحثين، يناير 1997م.

المراجع الاجنبية

1 -Anderson & Liddell, The Physiological of Behavior, New York, Macmillan, 1964.

2 -Boring, Edwin, A History of Experimental Psychology, Appleton Century, New York, 1960.

3 - Bandera, A., & Walters, R. H., Social Learning and Personality Development, John Wiley & Sons, New York, 1965.
4 -Bischof, Ledford, Interpreting Personality Tgeories, New York, Harper & Row, 1964.

5 -Barnettm Hamer G., Innovation: The Basis of Culture Change, New York: McGraw-Hill Book Company, 1963,
6- Francis Fukuyama. Trust: social Virtues and the creation of prosperity, London, Hamilton, 1995.
7 -Hebb, R. C., The Organization of Behavior, New York, John Wiley & Sons Inc.,1979.
8 - Honigmann, John, J., Culture and Personality, New York, Harper & Brothersm, 1961.
9 -Herbert Fe148- Kluckhoon, Florence, Culture and Behavior, New York, The Free Press of Glencoe,1962.
May Brodbeck (Eds.): Reading in the Philosophy of Science, Appleton Century, New York, 1972.
10 -Herskovits, Melville J., The Process of Culture Change, The Science of Man in the World Crisis, ed., Ralph Linton, New York University Press, 1965
11 - Kluckhoon, Florence, Culture and Behavior, New York, The Free Press of Glencoe,1962.
12 -Lewin, K., Dynamic Theory of Personality, New York, McGraw-Hill, 1965.
13 -Michael. J. Wertheimer, Introduction to Psychological Research, New York, Wilew, 1967.
14 -Morgan, Lewis H., Ancient Society, New York, Henry Holt and G., 1977.
15 -Parsonism Talcott, Structure and Process in Modern Societies, Illinois, Free Press of Glencoem,1970.
16 -Radclifte, Brown, A. R., Stricter and Function in Primitive Society, London, Oxford University Press, 1972.
17 -Radcliffe, S. F., The Theory of Social Structure, New York,: The Free Press, 1967.

18 -Rescher, N., Introduction to Value, Theory, Prentice-Hall., 1977.
19 -Stephen, C. Pepper, The Sources of Value, Basic Books, New York, 1977.
20 -Sanford Nevitt, Self and Society Social Change and Individual Development, New Yorkm Atherton, 1966.
21 -Stockard. C. R., The Physical Basis of Personality, New York, Norton, 1963.
22 - Tomas L. Friedman. The worled is flat, 2005.

الفهرسة

الفصل الخامس طريقة دراسة الحالة.

دراسة الحالة.

تشخيص الحالة.

أهمية دراسة الحالة.

أهداف دراسة الحالة.

مصادر دراسة الحالة.

وسائل دراسة الحالة.

أنواع دراسة الحالة.

مميزات دراسة الحالة.

المآخذ على دراسة الحالة.

الفصل السادس طريقة تحليل المضمون.

طريقة تحليل المضمون.

الوسائل العلمية لتحليل المضمون.

أسس تحليل المضمون.

خطوات طريقة تحليل المضمون.

أهداف طريقة تحليل المضمون.

الفصل السابع الكيفية الموضوعية التي بها يتم تحديد الإطار النظري للبحث.

الإطار النظري للبحث.

الدراسات السابقة وكيفية استطلاعها.

النظريات وكيفية ربطها بمتغيرات البحث.

تتابع فصول الإطار النظري.

الفصل الثامن الإطار التطبيقي للبحث (عملي أو معياري).

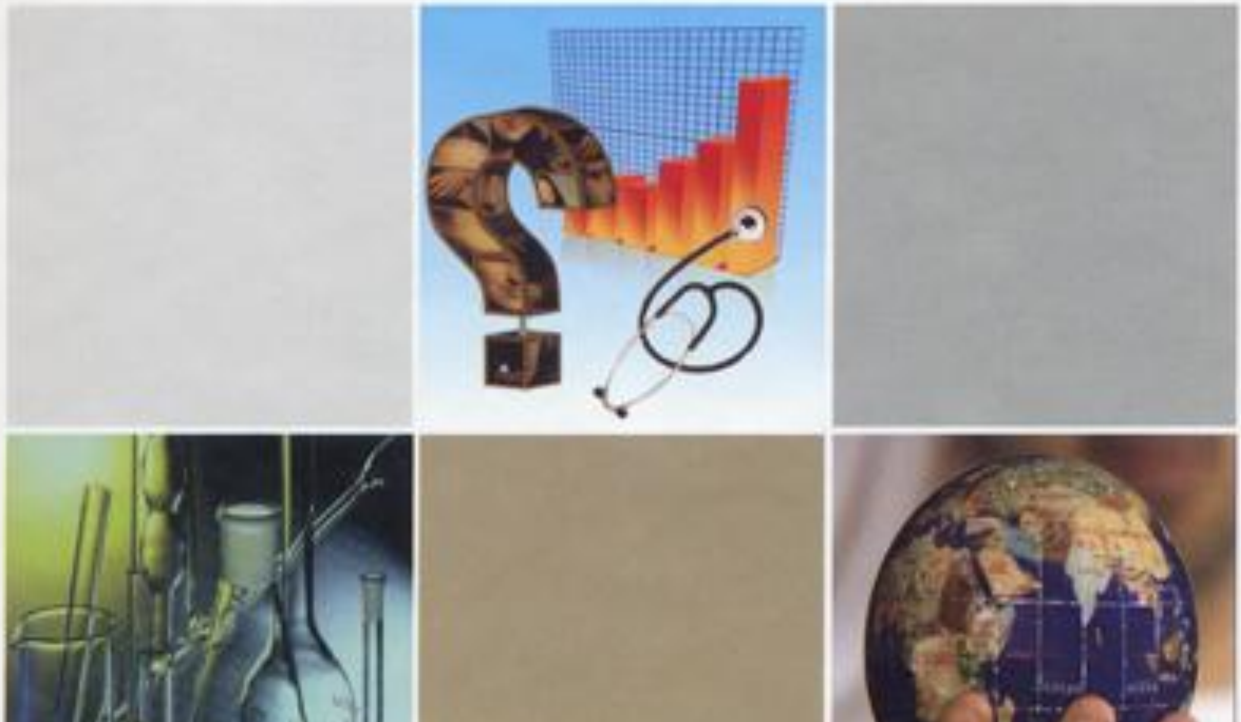
تحديد الإطار التطبيقي للبحث.

وسائل جمع المعلومات للإطار التطبيقي.
الاستبيان.
أنواع الاستبيان.
الاستبيان المصور.
الاستبيان اللفظي المكتوب.
نشر وعرض الاستبيان عن طريق الصحف والمجلات.
نشر وعرض الاستبيان عن طريق الإذاعتين المسموعة والمرئية.
نشر وعرض الاستبيان عن طريق شبكة المعلومات المتطورة (الإنتر نت).
أنواع الاستبيان من حيث صياغة أسئلة الاستمارة.
شروط الاستبيان.
الخطوات التي تُحفِّز المبحوثين على ملء استمارة الاستبيان.
الفصل التاسع الملاحظة والمشاهدة.
الملاحظة.
أهمية الملاحظة.
أنواع الملاحظة.
الملاحظ غير المشارك.
الملاحظ المشارك.
المشارك التام.
المشارك الملاحظ.
المشاهدة.
علاقة المشاهدة بالملاحظة.
أهمية المشاهدة.
خطوات الملاحظة والمشاهدة.

أ.د عقيل حسين عقيل

خطوات البحث العلمي

من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة



دار ابن كثير